﴿الجزء الاول﴾ ﴿المجلد العشرون﴾

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

١١ شوال ١٣٣٥ — ١٧ الاسد (ص٢) ١٢٩٥ هـ ش ٣٠ يوليو ١٩١٧

فاتحة السنة العشرين للمنار

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى واشكر له توفيقه وتأييده، حمدا يوافي نعمه وشكرا يكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله، ورحمته العامة المرسلة وحجته البالغة على خلقه، محمد النبي الامي العربي الذي بعث في الاميين، ليعلمهم الكتاب والحكمة ويجعلهم الأئمة الوارثين، ويصلح بهم فساد الامم والشعوب المتعلمين وغير المتعلمين، وعلى عترته آل بيته الطاهرين، وأصحابه الذين نشروا دعوته بين العالمين، وعلى التابعين لهم في هدايتهم وهديهم الى يوم الدين

اما بعد فقد دخل المنار في العام العشرين ، داعياً الى الاعتصام بحبل الله المتين ، والاهتداء بنوره المبين ، والاستمساك بسنة رسوله الامين ، والسير على منهج السلف الصالحين ، — ناهياً عن الأحداث والبدع ، وتقليد الاحزاب والشيع ، — مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف ، وان الشر كل الشر في ابتداع من خلف ، لأن الله تعالى قد أكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه كالنقص منه خزي وضلال ، وانما الناقص الذي يحتاج دائما الى الاكمال والاصلاح ، ما كان من أوضاع البشر عرضة للنقص والفساد ، — مثبتاً أن ضعف الشعوب الاسلامية ، انما جاء من عملهم بعكس هذه القضية ، أعني الابتداع في الامور الدينية ، واتباع من قبلهم في الامور الدنيوية . فالأمم في ارتقاء دائم ، وهم في جمود ملازم ، غلب عليهم الجهل المركب فهم للعلم يدعون ، ورزئوا بالفقر المدقع وهم في الدنيا طامعون ، وخنعوا للضيم والذل وهم معجبون متكبرون ، وخضعوا لظلم المتغلبين وهم بالملك والسيادة مفتونون ، (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ على آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ)

خسروا أنفسهم فخسروا كل شيء ، وهل خسران النفس ، الا فقد استقلالها في الفهم والعلم والحكم ؛ وتقليد الآباء والاشياخ المتأخرين ، في جميع أمور الدنيا والدين ؛ فالتحقيق انهم مقلدون حتى في الابتداع ، لانهم فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع ؛ وقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، سنة الله في التدريج والارتقاء ، على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمي هذه الامة خير من متأخريها في جميع العلوم والاعمال ، لان

الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ، ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ماهو من كسب الناس . وهم انما يقلدون المتأخرين، لانهم لايرون أنفسهم أهلا لاتباع المتقدمين ، اذ يزعمون أن المتأخر أضعف من المتقدم عقلا وفهما، وربما اعتقدوا أنه أقل قوة وأنحف جسما، وأن هذا التفضيل منحة إلهية وهبية، لايمكن ادراكه بالاسباب الكسبية، غافلين عن سنة الله تعالى في سائر الامم والاجيال ، وسبق المتأخرين للمتقدمين في جميع العلوم والاعمال ، حتى ان الله تعالى سخر لمراكبهم الهواء ، كما سخر لها الماء ، وسخر لها من البحار لججها وأعماقها، كما سخر لها متونها وأمواجها ، بل سخر الله تعالى لهم ما في السموات وما في الارض ، فما كان مسخرا لغيرهم بالقوة صار مسخرًا لهم بالفعل . فما بال جماهير المسلمين لايسمعون ولا يبصرون، ولا ينظرون ولا يتفكرون،(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

كل ما هو مسخر للبشر ، وكل ما هو من كسب البشر ، فهو قابل للارتقاء ، اذا لم يجمد الابناء فيه على ما ورثوه عن الآباء . وكل ما ينفع الناس من العلوم والفنون والاعمال ، فهو مما يتناوله كسبهم وتصرفهم بمقتضى الاستعداد الخاص والتسخير العام ، الا الدين الإلهي ، والوحي السماوي ، وقد أكمل الله لنا الدين، كما ثبت بنص الكتاب المبين ، فما بالنا قد ابتدعنا فيه كثيرا من الشعائر، كمواسم الايام الفاضلة والموالد، وكثيرا من العبادات التي لا أصل لها من السنة والكتاب ، كأذكار أهل الطرق وما استحدثوا من الاوراد والاحزاب ، بل ما بالنا نبني المساجد على ما

نشرّف من القبور ، ونوقد عليها السرج والشموع ؛ ونحن نعلم أن فاعلي ذلك ملعونون على لسان الرسول، بل ما بالنا نطوف بهذه القبوركما نطوف ببيت الله، وندعوها مع الله أو من دون الله ، ونحن نعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، ان هذا عبادة لها من دون الله؟ أنتبع في هذا عمل الآباء المتأخرين، ونحن نتلو ويُتلى علينا قول الله تعالى في المشركين، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟)

إنا لندعو الناس الى عقيدة السلف ونحن بها موقنون ، ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقتها ان شاء الله مستقيمون، وانما نورد في باب التفسير وغيره من المنار، بعض تأويلات الخلف للآيات والاخبار، وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة في مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة ألجأت اليها ، بتوقف إقامة الحجة اودحض الشبهة عليها، فان المنار ليس خاصا بالمذعنين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمنافقين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل المعاند، ومنهم المشتبه المغرور بشبهته ، والمرتاب المتردد في ريبته، وحسبنا من الفلج أن نقنع بتأويل الخلف ، من تعذر اقناعه بتفويض السلف ، وأن ندحض الشبهة برأي جديد ، اذا أعيا دحضها برأي تليد، اذ يكفي في صحة الايمان الجزم بأن كل ما جاء به الرسول عن ربه فهو حق ، وفي صحة الاذعان موافقة السلف في مسائل الاجماع العملية وما لا يحتمل التأويل من النص، ولا حرج في دين الفطرة فيما اقتضته الفطرة من تفاوت الافهام ، مع صحة

قواعد الايمان وإقامة أركان الاسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على مثل ذلك في مسائل الأحكام ، كتارك الصلاة والمصلي بالتيمم للجنابة ، والمختلفين في صلاة العصر يوم بني قريظة.[1] ورب فهم جديد ، يؤيد دين الحق أعظم التأييد ، ومن مزايا القرآن انه لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، وان من آياته ما يظهر في زمان دون زمان ، وهل يظهرها الا افهام أهل العرفان ، الذين هم حجة الله في أرضه ، على الجاهلين والجاحدين من خلقه ، ولن يخلو عنهم عصر من الاعصار ، وان خلت منهم بعض البلاد والامصار ، وكم من عالم ينتفع بعلمه الغائب البعيد ، ويحرم منه القريب العتيد (قُلْ فَلِلَّهِ الحجةُ البالغةُ فلو شاء لهداكم أجمعين)

تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصبي الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لأجلها الظالمون فصبرنا لله بالله ، ولم نكن كمن أوذي في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المغرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيدا خفيا ، أضرّ بنا ضررا جليا ، اذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمنا بذلك وبغيره كثيرا من المال ، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الاصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ، وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، فقليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام

(١) الاول في سنن النسائي والثاني في الصحيحين

في هذا الزمان، وكثير من الشيوخ والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد، ورمي جماهير علماء العصر بالجمود والتقصير ، والسواد الاعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريظ او انتقاد، وعن كل ما يتجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد ، وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الازهريين ، الا انه قام في هذا العام شاب متخرج في الازهر ، فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفَّر ، بانيا ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على ان المنار قد صرح باثبات هذه الابوة تصريحات آخرها ما في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر ، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأبين ، ومن لا يزعه هدي القرآن، عن السب والكذب والبهتان ، قد يزعه عقاب السلطان، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن الى محكمة الجنايات ، بعد ان أنذرنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تائبا من ذنبه ، فلم يزده ذلك الا اصرارًا على الذنب ، وتماديا في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكمة للسلم ، وطلب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح ، على ان يعتذرا عما اتهما به من المطاعن الشخصية ، ويعترفا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية . وقد قبلنا ذلك منه [illegible] وكان خيرا لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما، على أنهما عادا الى مثلهما ، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه مما يقال لصاحبه سلام ، وانما ذكرناه في

فاتحة المنار، التي نشير فيها عادة الى ما تجدد في تاريخ الاصلاح، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية، من تأليف جمعية أزهرية، لاجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية، وبيانها للناس وللحكومة المصرية؛ ذكرت ذلك الجريدةُ التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار، متوهمة انه سيترتب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ؛ ... فنقول للواهمين، ولمن يمدونهم في غيهم من المغرورين: انا نعلم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون، فاعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون (٩ : ١٠٦ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

إننا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم وبينة، ولكننا كغيرنا عرضة للخطإ والغلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاوهام، لننشره فيه، فيطلع عليه جماهير قارئيه، وانا لنتمنى أن تؤلف لجنة من علماء الازهر، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة أهل العلم، من صحة النقل والتروي في الحكم، واجتناب الطعن والبذاء، والسخرية والاستهزاء، وانا نعدّ ذلك اذا سمت اليه همة بعض الازهريين، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين، مقرين إياهم

على ما نراه فيه من الصواب، مبينين ما نراه من الخطإ مع التزام الآداب، وترديد عبارات الحمد والشكر، التي تبقى ببقاء الدهر، ولثواب الله خير للذين يصلحون في الارض ولا يفسدون، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وإننا على ضعف أملنا بتحقق تلك الأمنية، واحتقارنا لكل ما يكتب بجهالة وسوء نية، ليحزننا أن يقوم في الازهر بعض علمائه، ورئيس جمعية من جمعياته، ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه، بافتراء الكذب عليه،[1] ونسبة ما ينقله عن غيره إليه،[2] وتحريف آيات القرآن، استدلالا بها على ما رماه به من الكفر والفسوق والعصيان،[3] بذلك الكذب والبهتان، الذي زاد فيه حتى ما سبقه إليه دجالو الضلال، وإننا لنكرم كلا من المنار والازهر بعدم ذكر اسمه، ونسأل الله ان يهديه الى رشده ويتوب من إثمه، (٤٩: ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ـ ١١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

كتبه منشئ المنار: السيد محمد رشيد رضا

---

(١) ادعى أن صاحب المنار قال إن آدم عليه السلام من سلالة القرود وأنه ليس أبا جميع البشر — وهذا كذب وافتراء — وادعى أنه [illegible] أشهر كتب شميل وهذا كذب مفترى أيضاً (٢) عزا إلى صاحب المنار أقوالاً في [illegible] الانسان وفي تكفير من يحكم على السارق بغير الحد الشرعي [illegible] من مقول [illegible] لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها

(٣) استدل بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالاة أعداء الله على ضد ما تدل عليه وأهمل ما قيدته به السورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين الخ

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الرقيق الابيض والاسود ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في قليوب

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد وصاحب المنار المنير

تحية وسلاماً — وبعد أعرض على مسامع فضيلتكم المسألة الشرعية الآتية وأرجو نشرها في باب السؤال والجواب المفتوح في المنار المنير خدمة للشرع الشريف لاحرمنا الله منكم وها هي :

ما قولكم دام فضلكم في مسألة الرقيق الابيض والاسود ومسألة مشتراه في الزمن الماضي قبل مقاومة الحكومات لهذه العادة . وهل هذا البيع حرام أم حلال شرعاً — وما الفرق في الدين الاسلامي بين العبد والحر وما هي ميزة الحر على العبد في الدين . وهل سواد (العبد) من الاقليم القاطن فيه أو منحة إلهية للفرق بين الحر والعبد . وما يستحقه العبد في الميراث الشرعي اذا كان من والد حر وله أخوة

أحرار . وكيف كان البيع في زمن الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين وما هي حجتهم في ذلك . نرجو الرد على هذه الاسئلة كما عودتمونا ذلك ولفضيلتكم الشكر سلفا وفي الختام أهدي فضيلتكم أزكى تحياتي وسلامي

كاتبه أحمد حسين فراج

بعيادة الدكتور محمد عبد الحميد بك الخصوصية بقليوب

(ج) الظاهر أن السائل يظن أن كل من كان أسود اللون فهو عبد رقيق وكل من كان أبيض اللون أو قريبا من الابيض — كالاصفر والاسمر — فهو حر وأن الرقيق الابيض عبارة عما هو معروف في القطر المصري من الاتجار بأعراض البنات اللواتي يحتويهن المشتغلون بهذه التجارة وهن صغيرات بضروب من الاغواء والحيل . والصواب أن الاصل الفطري أن يكون جميع البشر أحرارا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص: منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ وانما الرق أمر عارض أحدثه تحكم الاقوياء في الضعفاء فكانوا يقتلون الاسرى ثم عطفوا عليهم فاستبدلوا الاسترقاق بالقتل، وكان عاما لجميع أقطار الارض الآهلة بالبشر، وقد أقرته الشرائع القديمة كلها حتى صار من شؤون العمران وضروريات الحياة الاجتماعية، وقد جاء الاسلام وهو على هذه الحال فلم يكن من الحكمة أن يبطله دفعة واحدة كما أبطل الربا والفواحش والتبني اذ لو أبطله لتعطل كثير من أمور المعايش والاعمال فشرع الاحكام لازالة مفاسده كإذلال العبيد وإهانتهم وتحميلهم من العمل ما لا يطيقون حتى نهى الشارع أن يقول الرجل عبدي وأمتي، وجعل العبيد اخوانا لسادتهم وأمر بأن يطعموهم مما يأكلون وأوجب عتقهم في الكفارات وغير الكفارات من الاسباب المعروفة في كتب السنة والفقه ، وجعل العتق من غير سبب قربة من أفضل القربات حتى ان من العتق ما يوجبه الشرع بغير اختيار المالك ومنه أن من مثل بعبده بقطع عضو أو تشويه أعتق عليه قال (ص) « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه» رواه مسلم وأبو داود من حديث ابن عمر وقد عمل به ابن عمر. ورويا هما والترمذي عن سويد ابن مقرن قال كنا بني مقرن ليس لنا على عهد رسول الله (ص) الا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال «أعتقوها» قالوا ليس لهم خادم غيرها

قال « فليستخدموها فاذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها » وانما أبقى أصل استرقاق الاسرى والسبي من الكفار في الحرب الدينية مباحا لانه قد تقتضيه المصلحة حتى مصلحة السبي نفسه أحيانا . مثال ذلك أن تقتل رجال قبيلة في الحرب ولا يبقى منهم أحد يستطيع أن يقوم بأمر النساء والذراري ، اذ لم تكن الشعوب والقبائل في الازمنة الماضية ولا هي الآن كلها أيضا ذات دول غنية كدول أوربة وما يشبهها في النظام الاجتماعي ، فاذا أخذ الغالبون السبي في مثل تلك الحالة وربوه على ما يوجبه الاسلام من الرفق والتكريم وتسروا النساء حتى صرن أمهات أولاد لهم يعتقن بمجرد موتهم — فلا شك ان هذا قد يكون خيرا لهم من تركهم هائمين على وجوههم . على ان الاسلام لم يوجب ذلك بل شرع لنا ان نمن عليهم باطلاقهم بلا مقابل كرما واحسانا وأن نفدي بهم أسرانا ان كان لنا أسرى عند قومهم ، كما قال في سورة القتال (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد واما فداء)

واذا عرفت أصل الرق الشرعي علمت أن ما اشتهر عن النخاسين من شرائهم بعض بنات الشركس من آباء ن الفقراء ليبيعهن في الآستانة وغيرها ومن شرائهم أو خطفهم لاولاد السودانيين أيضا — كله باطل ، فالاب لا يملك بيع أولاده ، ومن دونه من الاقارب أولى بأن لا يجوز له ذلك ، والمشتري لامثال هؤلاء لا يملكهم شرعا ، ويجب على الحكام ابطال مثل هذا الرق قطعا ، لما يترتب عليه من مفاسد التسري والتوارث وغير ذلك من الاحكام الباطلة

وأما سواد السود من الناس فهو من تأثير الاقاليم كما هو مشهور وقد سكن كثير من العرب الذين يغلب عليهم اللون القمحي في البلاد الاستوائية وما يقرب منها فأثر ذلك في جلودهم حتى صاروا أقرب الى الزنوج منهم الى البيض ، وسكن كثير منهم في البلاد الشمالية الباردة وما يقرب منها فصار بياضهم كبياض أهلها

وأما الفرق بين الحر والعبد في الدين الاسلامي فهو انه لا فرق بينهما في الإيمان وتقوى الله تعالى والعمل الصالح وفضائل الدين وآدابه والجزاء عند الله تعالى وكم من عبد مملوك تقي خير عند الله من الف حر ، ولكن المملوك لما كان لا يملك المال عند الجماهير ولا يملك التصرف في نفسه لتقيده بخدمة مالكه كان له بذلك أحكام

خاصة لا يحتاج السائل الى معرفتها كلها ، فمنها ماهو تخفيف عليه ككونه لاتجب عليه الجمعة عند الجمهور خلافا للظاهرية ، وتصح منه اجماعا ، ولا الجهاد ولا الحج ، واذا حج باذن سيده أو معه صح منه ذلك وأثيب بقدر اخلاصه وقيامه بالمناسك على وجهها ولا تجب عليه الزكاة لانه لا يملك المال ، ويترتب على عدم ملكه المال انه لا يرث ولا يورث ، وحده نصف حد الحر ، ويترتب على عدم ملكه التصرف بنفسه انه لا يلي الولايات العامة كالقضاء ولا الخاصة كالنكاح والوصاية على اليتيم . وكل مسألة من هذه المسائل وأشباهها مفصلة في كتبها وأبوابها من كتب الفقه . وفي بعضها خلاف بين الفقهاء . وأما بيع الرقيق فكبيع غيره مما يملك ، وحسب السائل هذا البيان المختصر .

﴿ العوام والخواص ﴾

(س٢) من الحاج عبد العزيز . ن و . في بلد جكجاكرتا (بجاوه)

« نرجو من فضلكم ان ترشدونا في تعريف العام والخاص هل العام من لم يعرف اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها ، والخاص من يعرفها ؟ أو من هم ؟ هذا — فالمرجو من فضلكم أن لا تؤاخذوا بسؤالنا هذا ، لانه من مشكلات أهلنا « الجاوا » اه بنصه

(ج) العامّ اسم فاعل من العموم وهو الاحاطة والشمول والخاص اسم فاعل من الخصوص وهو اصابة بعض الشيء أو الافراد دون بعض . يقال نزل المطر فعم الارض فهو عام أو خص بلد كذا فهو خاص . والسائل لا يسأل عن هذا وانما يسأل عن معنى العامي والخاصي واحد العامة والخاصة . فالعامي هو المنسوب الى عامة الناس أي سوادهم الذين لاخصوصية لهم فيهم ويقال لجماعتهم العوام ، والخاصي المنسوب الى خاصة الناس وهم كبراؤهم وزعماؤهم كالعلماء الاعلام وكبار الحكام وأهل الفضل والجاه ويقال لجماعتهم الخواص . وعلماء اللغة العربية في جاوه يصح ان يكونوا من خواص أهلها وأما كونهم هم الخواص وحدهم فلا يتحقق الا اذا كان أهل البلاد يخصونهم بالاحترام والتكريم ويفضلونهم على سائر الناس ويعدون من عداهم سواسية لا فضل لاحد منهم على أحد ولا كرامة .

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فيها بيان تاريخ الاحتفال بالمولد وحكمه شرعا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه

أما بعد فان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي، والمشهور أن المحدث لها هو أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني الجنس الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل[1] أحدثها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فان السلطان صلاح الدين ولاه على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ وتوفي سنة ٦٣٠. وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد ألوفا كثيرة، ففي تاريخ ابن خلكان انه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للامراء وأعيان دولته، وكانوا يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة، وكان يكون في كل قبة جوق من الاغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والاغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الالوان المختلفة

---

(١) إربل بوزن إثمد وضبط في المتن بفتح الباء غلطا

فاذا كانت ليلة المولد (١) عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ،

ثم ذكر عرضه الجند وتوزيعه تلك الخلع بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ومد السماط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا الموسم في اربل من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين و بلاد العجم وتلك النواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول

لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف مارآه بعينيه لان ما يعمل بمصر الآن يشبه ما كان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ونفقة، فهنا تنصب قباب أوخيام النسيج الجيلة لعزيز مصر ولوزارات حكومته ولبعض الوجهاء في دائرة واسعة ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقيم بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء، ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزيز مصر بحاشيته وتقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سنية ، وتدار بعد قراءتها كؤوس الشراب المحلى وصواني الحلوى الجافة . ثم ينصرف العزيز الى خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيوخ فيمكث فيها ساعة زمانية، يشاهد في أثنائها زينة الالعاب النارية، ثم ينصرف و ينصرف الامراء والوزراء، و يظل الناس يطوفون على

---

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين او ليلة ١٢ منه على المشهور عند الجمهور وكان مظفر الدين يراعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في سنة وليلة ١٢ في أخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهربائية وغير الكهربائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم يحضر نائب العزيز قبة شيخ الشيوخ فتعرض عليه مواكب الطرق الصوفية يتقدم كل طريقة شيخها وهم يهللون أو يتلون الاوراد و يقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحييه ثم ينصرف

وقد استحسن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغاربها و يجتمعون لقراءة قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تتقيد بجعلها في تاريخ الميلاد النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولما يقترن به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه وبما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد ألف الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدإ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط فيأكلون و ينصرفون من غير زيادة على ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين ان الحافظ خرجه على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على انجائه فيه موسى نبيه واغراق فرعون عدوه ، قال : فيستفاد منه الشكر لله على مامنّ به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة و يعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر ، وتوسع قوم فنقلوه الى أي يوم من السنة

وفيه ما فيه . فهذا ما تعلق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل للآخرة ، واما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي ان ماكان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ماكان خلاف الاولى اه .

وقد يقال لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركماني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى ؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب اياه على تعليل صيام يوم الاثنين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة المخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخريج شيخه الحافظ وهو مارواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عق عن نفسه بعد النبوة (قال) مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب عق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات اه

وهذا التخريج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكر كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المهذب (ثانيها) انه لو صح لكان دليلا على استحباب عق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثها) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطلب عق عنه (ص) (رابعها) انه لوكان تشريعا لعمل به الصحابة وغيرهم وقال به أئمة الفقهاء أو من بلغه منهم (خامسها) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة انما كانت برسالته (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجعل من شعائر الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكمل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكمل الناس ايمانا واسلاما، وان كل بدعة ليست من هذا القبيل كالمنافع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالمدارس والمستشفيات والملاجئ الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وانما يطلق عليها اسم البدعة لغة فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين ، ولكنها تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » — الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضا) فقد رغب أمته بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يخترع في الدين نفسه شيئا .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لهما وإما ان تكون تخصيصا لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع . ومن هذا النوع عد الفقهاء صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان. وقد سمى الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافية وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلا

هذا وان ما يعهد من الاحتفال بالمولد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل دنيوي محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو ببعضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب ولهو بعضه مباح وبعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام يرقص فيها النساء المتهتكات مكشوفات الصدور والبطون كما يحصل دائما في غيره من احتفالات الموالد — كالمولد الحسيني والمولد البدوي — وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبطل هذا كله من الاحتفال الذي يكون في القاهرة ولله الحمد

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريجه على أصل شرعي بإبطال ما يكون فيه من اللهو والاقتصار فيه على عمل الخير ، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتلتبس بها لما احتيج في تخريجه الى ما تكلفوه .

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والخيام التي تنصب في العباسية ، وتزين بالمصابيح والانوار الكهربائية ، واظهار البهجة والسرور ، بذكرى مولد ذي الضياء المعنوي والنور ، وذكر اخراج الله الخلق بهديه من الظلمات ، وما آتاه من الهدى والآيات ، فهو في نفسه من المباحات المقرونة بالمستحبات والمندوبات ، بشرط ان يخلو من البدع والمنكرات ، وأن لا يعد من الشعائر الدينية ولا من العبادات ، فاذا كان بحيث يظن العامة انه مطلوب شرعا ، حرم فعله قطعا ، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات ، لئلا تظن العامة انها من الواجبات ، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام[1] بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيدا من البدع . وأفتى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر ان الناس يفعلونه تعظيما وقال « فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص » [2] وقد علل فتواه بأن القيام يوهم العامة انه مندوب ، ويزاد عليه ان بعضهم يظن انه واجب ، وقد يعلل أيضا بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالعدد في أثنائه . ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى ، فما زال العلماء يقومون كغيرهم ولم نر لهم ردا للفتوى بدليل أرجح من دليلها ، واهل أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام لالتزام العلماء وسائر الناس له ، ولو فطنوا أترك أحد له لعدوه فاسقا متهاونا بالدين أو كافرا مارقا منه ، ولعلك لو اقترحت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الاوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لما تجرؤا على ذلك . والحق ان قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع . فان من طباع البشر ان يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا . لان هذا التعظيم لا مشقة فيه على

(١) ص ٣٤ من الجزء الأول (٢) ص ٦٠ الفتاوى الحديثية له

النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وأما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بها أمره و يعتز دينه ان كان رسولا، وملكه ان كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء ، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل . ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم الساني . ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم ، وليس من التعظيم الحق له ان نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به ، وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل خلفنا الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضا، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الاصل فالواجب علينا أن نرجع اليه ونعض عليه بالنواجذ، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع محذرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم الفرائض والسنن مرغبين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والاقرار والترك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سننه لئلا تفرض

قال الامام الشاطبي في الاعتصام[1] : وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراره كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله واقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء أو عملوا بها فصارت تعد سننا ومشروعات كزيادتهم مع الاذان « أصبح ولله الحمد » الخ وقد أطال في هذه المسألة وبين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة و بعدها ولاسيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عموما وخاصة العلماء خصوصا » وذكر في هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة[2] — على

(١) ص ٢٦٩ ج ٢ (٢) ص ٢٧٦ ج ٢ من الاعتصام

ان بعض الفقهاء بعدهم قال بوجوبها — ونقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صيام ستة أيام بعد الفطر من رمضان انه لم يرأحدا من أهل العلم والفقه يصومها — قال — ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وان يلحق أهل الجهالة والجفاء برمضان ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك اه وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في صيامها وكلامه يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن سد ذرائع البدع قتضى ترك هذا المستحب، ومالك من أشد الائمة تشديدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا اه [(١)] وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالامر القديم وانما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن » اه [(٢)]

وجملة القول ان خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو وجعل ذلك عملا واحدا عن باعث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوهم العوام ان تلك العادات — وكذا العبادات المبتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها — من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كما قلنا

وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي ، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (موالد) حشوها بالاحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالتغزل بجماله . وكنت منذ سنين أتمنى لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع يتحرى فيها الصحيح المفيد ، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضار السيء التأثير ، بيد أنني كنت أتحامى أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

(١) ص ١٤٩ و ١٥٠ ج ٢ (٢) ص ١٦٨ ج ٢ من الاعتصام

ثم كان أن دعاني في غرة ربيع الاول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري [1] الى مأدبة أعدها في داره وسماع قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة ، وتوسلت بها الى تنفيذ تلك الفكرة ؛ اذ كنت علمت من أحاديث جرت بيني وبينه انه من محبي الاصلاح لطرق الصوفية وغيرها ، وهنالك كلمته في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك ، فقلت له أرأيت اذا كتبتُ شيئا في هذا الموضوع أتستبدل به ما يقرأ عندك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قال نعم. فانتهزت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلا وموضوعا، ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأتممته في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعا، وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلعه على ما أكتب فيسر به، ولكنه جاء طويلا لا يمكن ان يقرأ في الحفلة الرسمية كله، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحفلة الرسمية، فكانت موضع اعجاب أهل الفهم والذكاء من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية

ثم اطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الاصلاح فرغبوا الي في طبعه ونشره، ورأوا انه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الاسلام وكليات الدين وخلاصة السيرة النبوية ، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعثة وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام . طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حدته ، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوخى في هذا المقام، الذي اعتيد فيه الاختصار ، فجاء كتابا وجيزا حاويا لخلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية، وكتب التفسير والحديث والعقائد الاسلامية ، مبينا لكنه الاسلام وحقيقته ، وكليات أحكامه وحكمه ، بعبارة يسهل على الناس فهمها ، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها ، وحروف مضبوطة بالحركات ، وأسجاع غير متكلفات ، فهو جدير بأن يُقرأ في البيوت وفي المحافل، وبأن يلقن لطلاب العلوم الدينية والدنيوية في المدارس، واذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوتات مصر ينتسبون الى الصديق (رض) ويلقبهم الجمهور بلقب السيد كالعلويين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الاضافي

طريقة اختصاره في القراءة

هذا — وان لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق ان يختصر منه بعض الفصول كفصل الهجرة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ الى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة ٣٦ ويمكن ترك هذا الفصل أيضا الى الخاتمة في ص ٤١ واذا كان المقروء عليهم من العوام فللقارئ ان يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفاء الله لقومه وقبيله وآل بيته (ص) من أول الصفحة ٤ الى نهاية ص ١٠ لان هذا البحث لا يفهمه حق الفهم ، الا الخواص من أهل العلم ، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث الصحيح من اصطفاء الله تعالى كنانة وقريشا وبني هاشم ، وحكمة جعل دين العلم والمدنية ، على لسان نبي أمي بعث في أمة أمية ، ولم أر أحدا سبقني الى بيان مزايا العرب التي أعدهم الله بها لهذه المنقبة العظيمة ، ولله الحمد والمنة (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إربل	إرَبل	١٣	١٨	الثانيةِ عشرة	الثانيةَ عشرة
٦	١٥	وخُرافات	وخَرافات	٢٠	٨	الوحيَ	الوحيُ
٧	٣	يُعدّ	كان يعدّ	٢٤	١٦	أقرب	أقربَ

﴿ استدراك على الحواشي ﴾

شاعر الانصار صاحب الابيات المذكور بعضها في قصة الهجرة هو أبو قيس صرمة ابن أبي أنس كان قد ترهب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهمّ بالنصرانية فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحوا من ١٢٠

المسألة العربية

(مقالة التاريخ)

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية. اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعاجم ورأيهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عقبة في طلب العرب للاستقلال . لم ينهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . اتهام الخديو والانكليز بالميل الى استقلال العرب. حال أمراء الجزيرة وزيدية اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزيدية وأهل السنة . السبب الحقيقي لسكون العرب وسكوتهم هو الاسلام وأوربة . ازالة الاسلام لعصبية الجنسية . اجماع العرب على المحافظة على الدولة . يأسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الخلفاء على استقلال الشعوب أو تفويض أمر حكمها اليها

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فأنا قرشي علوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، وملته الحنيفية هي ملة جده إبراهيم ، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩ ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) فاسلامي مقارن في التاريخ لعربيتي— وان من الناس من هو أقدم نسبا في الاسلام، ومن هو أقدم نسبا في العربية، وهم من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم، وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عربيتهم واسلامهم واحد اذ كان اول أب لهم في العرب مسلما ؛ وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب على ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكأنهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية ، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة ؛ أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين وبنى البيت العتيق الذي هو أقدم بيت وضع لعبادة الله وحده في الارض، فمن البديهي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم ويخاطبهم به ، وأما مأخذ ذلك من

الآثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ القديم فهي أن علماء الآثار بينوا لنا ان مدنية الكلدان كانت عربية وان (حمورابي) الذي كان ملكهم وصاحب شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربياً، وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق منقوشة على عمود من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان حمورابي هذا كان في زمن ابراهيم، وانه كان يدعى ملك السلام وكاهن الله العليّ؛ وأنه بارك ابراهيم وان ابراهيم أعطاه عشراً من كل شيء (راجع تك ١٤ : ١٨)

قلت إنني عربي مسلم. فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من العرب وغير العرب، وأخ في الجنس لألوف الالوف من العرب المسلمين وغير المسلمين. أما دليل الاخوة الدينية فقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وأما دليل الاخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشعراء المصرحة بكون الانبياء المرسلين أخوة لأقوامهم المشركين، ولما كان شعيب عليه السلام قد أرسل الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد قال تعالى في سورة الاعراف (٧: ٨٤ والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) أي وأرسلنا الى مدين أخاهم في النسب شعيبا الخ. وقال في سورة الشعراء (٢٦ :١٧٦ كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ١٧٨ اني لكم رسول أمين) ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في عاد (أخوهم هود) وفي ثمود (أخوهم صالح) — مثلا — لانه لم يكن من جنسهم

واني احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة لمصلحة المسلمين السياسية كما أبينه في هذه المقالة، ولو تعارضتا اقدمت ما يوجبه عليّ ديني على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي، لانني أرجو بديني سعادة الدنيا والآخرة، وأنا موقن بذلك، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها، وما أنا على يقين من إدراكها، على انني راض بما آتاني الله منها، أما وقد اتحدتا فخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا، وأنا مؤمن بهذا وان كان يخفى على كثير من اخواني المسلمين

مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أمم الارض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم ، ومدنية عالية في التاريخ القديم والحديث ، ولغة ممتازة في لغات العلم والادب ، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضعفت هذه الامة الكريمة وضعفت مزاياها ولغتها ، وأهمل معظم شريعتها وكادت تفنى بفنائها ، كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ، اذ يستحيل ان ترتقي أمة بغير دولة .

ان السواد الاعظم من العرب يدينون دين الاسلام واللغة العربية هي لغة هذا الدين فلا تصح لمسلم عبادة بغير هذه اللغة ، فبالدولة العربية تحيا لغة القرآن ، وبحياتها شريعة الاسلام . فمن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذرا أو متعسرا ، ويخشون كما كان يخشى مسلمو العرب ان يكون السعي له مفضيا الى إضعاف الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كمثل من له دار تكنه فهدمها ليبني خيرا منها فعجز عن البناء وأمسى في العراء معرضا لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغرار المغرورين (جمعية الاتحاد والترقي) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خيراً للاسلام والمسلمين حتى دعتهم بل دعّتهم[1] الى طلب الاصلاح في الجملة ثم الى طلب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم غير الله ما تكون عاقبة ذلك ، لان العالم كله في طور تغير وانقلاب مجهول ، ولكن المعلوم قطعا ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طبيعية لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم مما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي[2] ولا في الدين ، ولا الدولة

---

(١) دعّتهم بتشديد العين دفعتهم بعنف

(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجمية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات الامم ومشخصاتها وهم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يجعلها على جعلهم مساوين لابناء جنسها ووطنها وان كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه الدولة الاغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم، فان أفراد البشر وجمعياتهم يتآلفون و يتعاونون على مصالحهم بكثرة ما يشتركون فيه من مقومات الامم ومشخصاتها ، وما يشترك فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والمشخصات كاللغة والعادات والآداب والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الافرنج الموافقين لهم في الدين، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين، ودين الاسلام دين مساواة في الحقوق وحرية تامة في العقائد . وقد ارتقى غير المسلمين في أرقى دول العرب الاسلامية مدنية الى أعلى المناصب ، حتى كان وزراؤهم وأطباؤهم يزاحمون الخلفاء العباسيين بالمناكب ، واذا كان لغير المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية (كجبل لبنان) فانه يمكنهم ان يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالمملكة العربية فيها استقلالا اداريا واسعا خيرا من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لو نهض زعماء العرب الى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين منهم بذلك وازالة جميع ما في البلاد من اسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين في اوائل العهد بالسعي لما كان ذلك موجبا لتركه واليأس منه . ولا اطيل في بيان هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لانه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال، واكتفي منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية أيام كان مدحت باشا زعيم الترك الاكبر واليا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين كانوا في طليعة العاملين ، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسينية

لاجل هذا كان سكون العرب العثمانيين وسكوتهم في الاجيال الاخيرة التي تحركت فيها عصبيات الاجناس وهبت لطلب الاستقلال مثارا لعجب من لم يعرف سبب ذلك السكون من العقلاء .

اتهام الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يمنعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالات (العرب والترك) التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار اني لا أعرف لهذه التهمة أصلا الا ماكان من افتراء جواسيس السلطان عبدالحميد وطلاب المنافع عنده أو استغلال أوهامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معقولة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوسل به اليه من الجمعيات السياسية والعصابات المسلحة ، ولم تتصد الامة العربية لذلك البتة - وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أومن دونهم من الزعماء أصحاب العصبية، ولم نعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موضعا لهذه التهمة اذ لا توجد شبهة يعتمد عليها في ذلك. الا ان المفسدين كانوا يتهمون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يُسمع لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة (محمد علي باشا) لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكتها، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطمع بمثل ماطمع به جده الاعلى، بل ولا بمثل ما كان يطمع به جده الادنى (اسماعيل باشا) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط لمكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونه ، ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب (عباس حلمي الثاني) اللورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجى معه اتفاق .

ان المطلعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ما كان يسعى لهذا الامر ولا يرجوه، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له . ويعلمون ان من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما للترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيح ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تجنح الى سياسة العطف على العرب واظهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدة طويلة،

أما امراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيما وراء حدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره، كما انه لم يكن يسهل على أحد منهم أن تعتدي الدولة على استقلاله أو تحدث في بلاده حدثا ما، لما استقر في أنفسهم من غريزة الاستقلال الموروثة في الامة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقيم شرع الله في بلادهم ، على ان للزيدية دولة أقدم من الدولة العثمانية مازالت تنعصب الأئمة من قريش عليها ويعتقدون ان الترك من البغاة الخوارج على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكام الترك أنهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب . ولكنهم مع ذلك يحبون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والعظمة لاجل صد الافرنج عن البلاد الاسلاميــة . وقد كان رجال الدولة في العهد الاخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني بما لقيه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنفيه من الكويت وان انكلترة منعتها من ذلك بدون طلب منه وانه مع ذلك محافظ على نسبته اليها ورافع لعلمها باختياره ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب « نحبهم ولا يحبوننا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم ، ويكبرون الصغير من حسناتهم ، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها انهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. ومما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يبقى الى قيام الساعة .

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامة تبع لهم ، لم يسمع لاحــد منهم نبأة ظاهرة ولا دعوة خفيــة الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد، اللهم الا ماكان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسعى لجعل الامير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

تأسيس امارة عربية في سورية كالامارة المصرية يكون هو الخديو عليها ، ومن أن رستم باشا متصرف لبنان الاجنبي الاصل كان هو الذي كشف للدولة دسيسة شيخ أحرار الترك وزعيمهم الاكبر ، وترتب على ذلك اخراج السلطان عبد الحميد لمدحت باشا من سورية ، وقيل ان تلك الحركة كانت مدبرة بدسائس الاستانة ليتوسل السلطان بها الى نفي مدحت باشا ثم الفتك به . وفي تلك الاثناء نشرت قصيدتا الشيخ ابراهيم اليازجي السينية والبائية (راجع ص ٨٣١ م ١٢)

ولما كنت أنشر في الاستانة مقالات (العرب والترك) وأشرت فيها الى هذه المسألة جرى بيني وبين الصدر الاعظم حسين حلمي باشا حديث في هذا الموضوع قال لي في أثنائه انه أقام في سورية عدة سنين أيقن في أثنائها بأنه لا يوجد فيها أحد من وجهاء المسلمين يكره الدولة الا بعض الافراد من بيت المؤيد ومن بيت الصلح ، وسائر الوجهاء مخلصون للدولة كغيرهم . ولا أدري من عنى بقوله ذاك . ولم أعلم عن أحد من المعاصرين لنا من أهل هذين البيتين شيئا يبين المراد لنا من قوله ، الا أن أحد أفراد البيت الاول كان قد جاء مصر في أوائل عهد مجيئي اليها وأسس جمعية دينية يشترط في أعضائها ترك المحرمات والمحافظة على أداء الفرائض وقد ساعدته على ذلك ولم أكن أسمع منه كلمة تشعر بأن له غرضا سياسيا منها وقد أفادت الجمعية فائدة دينية ظاهرة ، ثم انشق عنها عضو مصري تركي الاصل زاعما ان للمؤسس غرضا سياسيا منها ونبه على هذا جماعة من أعضائها في القاهرة صاروا يلغطون بذلك . ثم ان المؤسس سافر الى الآستانة ثم عاد الى سورية وأقام فيها . ولو صدق السلطان عبد الحميد انه كان يسعى الى تلك الغرض السياسي لما أفلت من قبضة انتقامه . وانما اتهمه بعض الناس بأنه تعمد القاء كلام لاولئك اللاغطين ليشتهر ويوصله الجواسيس الى السلطان

هذا كل ما نعلم عن سورية في هذا الامر . وأما العراق فقد قيل ان السيد سلمان القادري نقيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عربية وان طلب السلطان عبد الحميد [illegible] كعادة ملوك

من الاجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظهر المجن وأوقعوهم في هوة اليأس من الدولة

السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولا مستقلة؛ ولم يكن سببه تفرق العرب وتعذر اتفاق آرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم ، ولا الجهل الضارب بجرانه في البلاد العربيه فان محمد على الكبير لما غزا الدولة وكاد يفتحها كلها لم يكن من علماء السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح لسكون العرب وسكوتهم عن طلب استقلالهم وتجديد دولة لهم هو الاسلام وأوربة

دين الاسلام وسياسة دول أوربة سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال ، ولعله لو انفرد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي واستعداد لذلك

أما الاسلام فقد أزال من أنفس العرب عصبية الجنسية الا من غلبت عليهم البداوة فانهم بما توارثوه من الغرائز والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائرهم . وأما من غلبت عليهم الحضارة فما زالوا يألفون سلطة الاعاجم من الملوك والسلاطين الذين يتولون أمرهم من قبل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون لغتهم ويتركون لغاتهم اليها الى ان هان عليهم الخضوع لسلطة الاعاجم المصرّين على أعجميتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك ، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم الخلافة

النبوية ورضوا بذلك واطمأنوا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاهق القوة العسكرية، قد أطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، وتسرب الى أفكارهم من باب المصلحة الاسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتمين الى مذاهب علماء السنة الذين يوجبون طاعة المتغلب بالقوة، وان لم يكن جائزا لغير الاسلام من شروط الخلافة الشرعية، ومنها النسب القرشي باجماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف الفتنة. على انهم مختلفون في عد رعاية المصلحة حجة، أو داخلة فيما ذكروه للقياس من مسالك العلة، ومختلفون في سد الذرائع أيضا. ولما كانت الزيدية لا تقول بطاعة المتغلبين، ولا بمصلحة تبيح ترك اشتراط النسب القرشي العلوي وشرط العلم الديني في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل ظلوا ينصبون الائمة الحائزين للشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاتلون الترك الذين يتصدون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنين قليلة وأقروه على امامته في قومه ووطنه بعد أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجزأ ولا تتعدد. والحق ان الباعث الاخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصنا لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وانما بحثنا هذا تاريخي اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة، ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الاصلاح من العرب في السنين الاخيرة خلافا لاوهام الواهمين التي أثارها في مخيلاتهم لغط بعض الكتاب بها في عهد السلطان عبد الحميد لاجل استغلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من كتب الكلام والعقائد والحديث والتفسير تذكر فيه هذه المسألة. ومن أثر ذلك انه لما طبع كتاب المسايرة للكمال ابن الهمام وهو من أهم كتب العقائد عند الحنفية وكثير الرواج في الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخا حذف منها بحث الامامة (الخلافة) لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظن أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولا سيما شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عدو

الدولة وللاسلام أيضا. على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الاستانة قبل تشديد الحكومة الحميدية في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لاسماعيل حقي بك بابان الاتحادي الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف

تكوين الترك للعصبية العربية

فهذا وجه صد الاسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك ، وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على اعادة هذه العصبية الى العرب أو اعادتهم اليها بعد ان أبعدهم الاسلام عنها الا الاستانة أو تحامل الترك عليهم ببعث العصبية التركية. (١) وقد صدق الزمان هذا القول . واسس الاتحاديون بعصبيتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء العصبية العربية أو أحيوها بعد موتها . فان هؤلاء الاتحاديين قد تمرسوا برجالات العرب وشبانهم في الاستانة وغيرها فعلموا من أقوالهم وأفعالهم في دور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزمهم على تتريك العرب كغيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازمون بسهولة تتريك بلاد سورية والعراق في سنين معدودة وما يعسر تتريكه الآن من جزيرة العرب يعد من المستعمرات يوضع له قانون خاص لادارته ولا يكون لاهله ما لسائر العثمانيين من الحقوق المنصوصة في القانون الاساسي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستعمار

بهذا علم نبهاء العرب أن أمتهم ولغتهم عرضة للزوال من المملكة العثمانية — ولا يجهل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لغته العربية ويضعف بضعفها ولا نقول أكثر من ذلك -- فتوجهت قلوب كثير منهم لتدارك الخطب وألفوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتحرون هدي الاسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال وخلفه المقتضي لاحيائها، فقد كان المانع من ذلك اتقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار ولكنني لا أتذكر من مواضعها الا ما في ص ٢٥٢ و ٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والعبارة فيه تدل على أنها مسبوقة، والا ما في ص ٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب والترك وافضاء ذلك الى زوال الدولة واستيلاء الاجانب على بلادها ، وقد وقع ذلك من قبل الاتحاديين أي من قبل الدولة نفسها لانها في قبضتهم فلا معنى لاتقائه وقد حصل ، وخلفه المقتضي لاحياء هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على اللغة العربية والامة العربية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك وان كان حصولا ضعيفا فلم يكن باعثا على السعي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضطرب في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حزب اللامركزية أقصدها وأشدها اعتدالا

وما كان يخفى على أحد من هؤلاء أن مطالبهم معلقة بين الرجاء واليأس وان الحياة إنما هي حياة الاستقلال لاتحيا اللغة ولا ترتقي الامة بدونها، ولكن دونها خرط القتاد، اذ لاتحصل الا بثورة يصطدم بها الترك والعرب اصطداما يخشى أن يضعف الفريقين وينتهي بزوال الدولة واقتسام أوربة لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حمل هذه التبعة الثقيلة التي تئط من حملها الجبال الرواسي ؟ أيجهل أحد من طلاب الاصلاح العرب أن هدم آخر سلطنة اسلامية مهما يكن سببه الحامل عليه لايعقب الساعي اليه والقائم به الا لعن مئات الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟

لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يعتد برأيهم ، ويرجى تأثير علمهم ، على ان لا يكونوا سببا لسقوط الدولة وزوالها. ولا يسعوا الى ضررها ولا الى اضعافها ، وعلى أن يجعلوا همهم في اصلاح أنفسهم . وعمارة بلادهم ، مع النصح للدولة والاخلاص لها ، وطلب حقوقهم التي أثبتها لهم القانون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويعتزوا بأنفسهم فلا يسقطوا مع الدولة ان سقطت ، وتعتز الدولة وترتقي بارتقائهم ان بقيت، وأن يكون جل سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثيهم

ثم طرأ على بعضهم اليأس من بقاء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكر في عواقبه عند ماطلب البلقانيون الدولة في الحرب وكادت دولة البلغار التي تم لها استقلالها في عهد الدستور تستولي على الآستانة ، وتحدثت جرائد أوربة بحقوق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة وخص بالذكر بعض الولايات العربية، وطفق المفكرون يناجي بعضهم بعضا : ماحيلتنا اذا أقدمت دولة قوية على الاستيلاء على بلادنا كما استولت

ايطالية على طرابلس الغرب وبرقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعدها على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ،

صدعهم هذا اليأس بعد ان قوي رجاؤهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والائتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بثورة الاتحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحربية في الباب العالي وتأليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا ان زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حالها ، لبادروا عندئذ اليأس الشديد الى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها ، لعلمهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها ، فكيف تقدر على تجريد عسكر يخمد نيران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يائسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للاسلام ان بقيت والاتحاديون غالبون على أمرها ، فان افتاء مذاهبهم بوجوب طاعة المتغلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوربة أن تغتنم الفرصة وتستولي على البلاد

فتبين بهذا ان ماكان يصد زعماء العرب من المسلمين عن التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوربة ، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني ، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والاوقات مانعا واحدا أو سببا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

وبعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينها وبين الدول الكبرى على الاعتراف لهن بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليقرضنها عشرات الملايين من الجنيهات ، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوربة بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول الى مناطق نفوذ سياسي عند سنوح أول فرصة لذلك ، فثبت عند زعماء العرب ان الاتحاديين شرعوا في تنفيذ ماهددوهم به من بيع بلادهم وترقية الترك بثمنها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة ، فاشتدت عزيمتهم على طلب الاصلاح وعقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فذعرت الحكومة

الاتحادية ولجأت الى الحيلة والخداع لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الاتحاد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعدها باعطائهم تلك الحقوق بالتدريج وخداعها للسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وتصديقه إياها بما وعدت به

الحرب الأوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الاوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرت الى كتابة مقالة نصحت فيها لاخواني العرب بالكف عن طلب الاصلاح في حال الحرب وتأييد دولتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن الاتحاديين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في المملكة عسكرية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتنكيل بالعرب والارمن حسب خطتهم المقررة منذ سنين فصلبوا في سورية جميع من عرفوا من المطالبين بالاصلاح من نابغي العرب ونفوا من البلاد أرباب البيوتات والثروة الكبيرة وصادروا أموال الناس وغلات أرضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تحرشوا بالحجاز، فبادر الشريف أمير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بعد النصح لجمال باشا الحاكم العسكري الاتحادي المطلق في سورية وللحكومة الآستانة بالكف عن الفظائع في سورية والعراق فلم يقبل نصحه ، وانتهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما بايعه به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المبايعة منشوراً بين فيه سبب قيامه مع الحجازيين بما قاموا به ففهمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دونه من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب ، فان استقلال الحجاز الذي انتجته الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحلفين اللذين انقسمت اليهما دول أوربة الكبرى . فان النصر لأحد الحلفين على الآخر انما يكون بانتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخر ،ولكنه افاد العرب فوائد عظيمة فصدق عليه قولنا إما ان ينفع نفعا كبيرا أو صغيرا واما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الاتحاديين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذابح والفظائع وكان هذا من أجلّ منافعه التي تربي على ماترتب عليه من سفك الدم الذي اجتهدت الحكومة العربية الحجازية في اجتنابه بقدر الطاقة

عاقبة الحرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهن قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والارمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذا نفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم شعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه ، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوبة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي تخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا ممن فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بعمران العداء بين العرب والترك قد عم وتمكن فلا مطمع في زواله ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك . ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تيسرا له ، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال ، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ماتؤمر أن تقوله، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بتسميتها بغير اسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تحتج على الضعف بما تشاء ، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية ، وليس للشعب العربي العثماني حزب سياسي عامّ الا (حزب اللامركزية) ويمكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع زعماؤه أن يعربوا عن آرائهم، وله جمعيات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكة والنهضة اللبنانية في أمريكة فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا أخلصت في تنفيذ هذه القاعدة تقررها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالا جديدا لتأسيس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها ؛ ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك . فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خير العواقب . والله الموفق

مسألة استقلال الشعوب

نشر المقطم في العدد الذي صدر منه في ٢٣ شعبان (١٣ يونيو) مقالة عنوانها (الصلح الدائم وكيف ينال) قال فيها ما نصه :

وضعت روسية الدمقراطية على بساط البحث مسألة الغرض من الحرب الحاضرة في أواسط الشهر الماضي فحملت الدول المتحاربة على اعلان قصدها وغايتها، وحثت الامم الكبيرة والصغيرة على بسط آمالها وأمانيها، وكانت روسية أولى الدول التي أعلنت غايتها من الحرب فقالت أنها لا تتوخى ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية وأن غرضها الاساسي الوحيد انما هو ابرام صلح وطيد الاركان على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة وتحقيق آمالها القومية العادلة وتخويلها حقاً من أقدس حقوقها وهو ان تحكم نفسها بنفسها وتختار شكل الحكومة التي تلائم أخلاقها وعاداتها . وقام المسيو ريبو بعد ذلك فأعلن رغبة فرنسة في ابرام صلح عادل أساسه استقلال العناصر، ثم وقف في مجلس النواب الفرنسوي وقفته التاريخية المشهورة فجاهر في جلسة ٤ يونيو الحالي بأن فرنسة لا ترمي من هذه الحرب الا الى استرجاع الالزاس واللورين اللتين سلختا عنها سنة ١٨٧١ رغم ارادة سكانهما ومنح الامم الكبيرة والصغيرة الاستقلال التام . ووافقت بريطانيا العظمى على قرار حليفتيها العظيمتين اذا كان مبدأ عدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية يعني رد المسلوب والتعويض من الخسارة التي نزلت بالامم التي اعتدي عليها

وقد وافانا روتر أمس بنص المذكرة الكبيرة الشأن التي أرسلها الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الى روسية وبين فيها أغراض أميركا من هذه الحرب فقال « انها لا تروم الربح المادي ولا التوسع ولا تقاتل لجر مغنم ولكن لتحرير الشعوب في كل مكان ومساعدتها على النهوض والارتقاء في ظل الاستقلال من غير تسلط متسلط عليها، وان المشاكل الحاضرة يجب ان تسوى طبقاً لمبدإ واضح جلي وهو انه لا يصح اجبار شعب من الشعوب على ان يعيش في ظل حكم لا يريده ولا إجراء تعديل في الكون الا في ما يؤدي الى توطيد أركان السلام وسعادة الامم فيصير

اخاء البشر حينئذ حقيقة واضحة وقوة فعالة لصون الحياة من اعتداء المستبدين وطمع الطامعين »

هذه غاية الولايات المتحدة من الحرب وذلك هو الغرض الوحيد الذي وضعه الحلفاء كلهم نصب عيونهم وأعلنوا غير مرة عزمهم الاكيد على الوصول اليه مهما كلفهم الامر و بديهي أن الولايات المتحدة لم تخض غمار الحرب الحاضرة الا بعد ما اتفقت مع الحلفاء على تحقيق هذا المبدإ الشريف العادل فان المسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسوية سابقا أرسل اليها باسم الحلفاء جميعهم مذكرة مسهبة في ٣ ديسمبر الماضي قال فيها أن للحرب الحاضرة ثلاثة أغراض (أولها) اعطاء الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها (وثانيها) نيل التعويض من الخسارة التي نشأت عن اعتداء ألمانية الفظيع (وثالثها) الحصول على ضمان واف لمنع وقوع الحرب في المستقبل

على هذا الاساس تم الاتفاق بين الحلفاء والولايات المتحدة ومن أجل هذه الغاية الشريفة فقط بذلت أمريكة رفاهية شعبها والاموال الطائلة التي كانت تنهال عليها من أوربة . فالمجد لها والفخر لرئيسها العظيم نصير الانسانية وحامل لواء الحرية والعدل في العالم اه

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢٤ شعبان (١٤ يونيو) مانصه :

خطة روسية

دعا وزير خارجية روسية مندوبي الصحف الى مقابلته و بسط لهم خطة روسية الحاضرة وقال ما خلاصته :

ترمي روسية الجديدة الحرة الى ابرام الصلح العام في أقرب آن على أساس تحرير الامم وتخويلها حق انتقاء شكل حكوماتها وعدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية من الاعداء ، وهي تتوخى من مواصلة الحرب أمرين (أولهما) الحصول على صلح شريف يزيل الضغائن والاحقاد من بين الامم المتحاربة (وثانيهما) استقلال الشعوب استقلالا تاما وجعلها قوة عظيمة لصون الحرية ومنع اعتداء المعتدين في المستقبل.

ان الخطأ الذي ارتكب في حرب السبعين لايجوز أن نرتكب مثله اليوم، فسكان الالزاس واللورين الذين سلخوا عن فرنسا رغم ارادتهم لم ينسوا وطنهم الاصلي الى

الآن وكانت مسألتهم من أهم أسباب الحرب الحاضرة لان الظلم لا ينسى مهما تقادم عهده . لذلك ترى روسية الحرة أن تشيد الصلح المقبل على أساس العدل وحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة

لا انكر ان الحكم السابق ارتبط بمعاهدات سرية مع بعض الدول وأن هذه المعاهدات أقلقت الديموقراطيين الروس لاعتقادهم بأنها ترمي الى التوسع وضم الاملاك فألحوا على الحكومة الموقتة في نشرها في الحال خوفاً من وقوع الشقاق بين أحزاب الامة ولكن هذا الطلب لا يتفق مع مصلحة روسية لانه يؤدي الى قطع صلاتها بحلفائها او اكراهها على ابرام صلح منفرد مع علمها أن الصلح الوحيد الذي يلائم مبادئها هو الصلح العام على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة استقلالا تاماً ، فالواجب على روسيا في هذه الحال أن تنسى الماضي وتنظر الى المستقبل فقط بعد الانقلابات العظيمة التي طرأت على الكون كالثورة الروسية ودخول الجمهورية الاميركية العظمى في الحرب . وهذه الانقلابات ستؤثر أعظم تأثير في دمقراطية الامم المتحالفة ولا سيما ان صلاتها بممثلي تلك الدمقراطية على أحسن ما يرام . وبديهي أن مهمتي الاساسية في وزارة الخارجية هي التوفيق بين الدمقراطية الروسية ودمقراطية الامم الغربية على أساس يكفل السلم للعالم ، ولكن تحقيق هذه المهمة يتعذر علينا اذا أحجمنا عن القيام بالعهود التي قطعناها لحلفائنا

أما مسألة ضم الاملاك فلا تخطر على بال أحد منا وليست المعارك التي نخوض غمارها الآن الا معارك دفاعية ترمي الى طرد العدو من البلاد التي احتلها في روسية والبلجيك وفرنسة وسربية ورومانية ونيل الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها

هذا كل ما أستطيع أن أقول الآن عن غرض روسية والخطة التي تنهجها لتحقيق آمالها وأمانيها ، انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في يوم السبت ٨ رجب (١٩ مايو)

غرض بريطانية العظمى من الحرب

لندن في ١٧ مايو

ان الخطبة التي خطبها اللورد روبرت سسل في مجلس النواب في الليلة البارحة

تعد هنا وفي سائر بلدان الحلفاء من أهم ما قيل في بيان غرض بريطانية العظمى من الحرب

فتح المستر سنودن باب المناقشة ورد اللورد روبرت سسل عليه فقال ان عبارة « عدم الضم » راجت كثيراً وتناقلتها الافواه . ثم شرع يطرق أبواب هذا الموضوع باباً فباباً واستهل البحث بذكر بلاد العرب فقال ليس في الدنيا رجل يشير علينا بأن نبذل نفوذنا لرد بلاد العرب الى تحت سلطة الاتراك (هتاف) ثم ان أعظم ضم لارمينية بأوسع معنى السيادة والامبراطورية يفيد شعبها الذي عانى الويلات والنكبات بما اقترفه الاتراك به من الجرائم وما يقال عن أرمينية يقال مثله عن سورية وفلسطين

ثم انتقل الى الكلام عن مستعمرات ألمانية في أفريقية فقال اننا لم نهجم على تلك المستعمرات لننقذ أهلها الاصليين من سوء الحكم ولكن أتريدون ان نعيدهم الى ألمانية بعد ما أنقذناهم منها ؟ فهتف المجلس له هتافا شديدا لما قال: ان بدني يقشعر اذا فكرنا في رد أولئك الوطنيين الى حكم الحكومة التي ارتكبت بهم ضروب القسوة

وماذا أقول عن بولندا وهل فيكم من يعترض على إنشاء مملكة بولندية مستقلة. وماذا أقول عن الالزاس واللورين وهل من يقول(؟) ان ألمانية بعد ما أخذت ولايتين من فرنسة لا يجب ان تردهما اليها (هتاف) . وعندنا أيضا الولايات الايطالية الداخلة في حكم النمسا فهل توافق الحكومة البريطانية على عدم رد هذه الولايات الى ايطالية وسكانها من الايطاليين

ثم طرق اللورد روبرت باباً آخر من أبواب الموضوع وأشار الى عبارة « عدم عقد الصلح مع آل هوهنزلرن » فقال ان في هذه العبارة كثيرا مما يستصوب وهي مقبولة عند عامة البريطانيين ولكن الفطنة قد تقتضي بعدم اتخاذها قاعدة لتعريف سياستنا الوطنية

قال وقد سمعنا البعض يقولون «لا غرامة حربية» فهل يراد ان لا تعطى البلجيك غرامة؟ وماذا يكون نصيب سربيا وولايات فرنسة الشمالية؟ وهل يسعنا ان نغضي عن تعويض ما دمر من البواخر التجارية ؟ أما أنا فلست مستعداً للموافقة على ذلك

وعقبه المستر اسكويث فخطب خطبة كان لها وقع عظيم فقال ان عبارة « عدم الضم » التي وردت في بعض التصريحات الروسية لم تفهم تماماً لعدم وجود معجم واف للغة السياسة الدولية ولكني لا أعتقد أن زعماء روسية وحكامها المسؤولين استعملوها بغير المعنى الذي نسلم به نحن .

ولكن لضم البلدان أربعة معان مختلفة يمكن استعمالها لها (فالمعنى الاول) ان هذه الحرب اذا أريد ان تؤدي الى صلح وطيد الاركان فيجب ان تسفر عن ضم بعض البلدان لتحرير الشعوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد (هتاف) وهذا أمر مشروع والا فان الاغراض التي امتشقنا لاجلها الحسام في هذه الحرب لا تنال أو ينال جانب منها قط الا اذا قام الحلفاء حق القيام بعمل هذا التحرير بضم البلدان (هتاف) قال وإني واثق ان رجال حكومة روسية الجديدة لا يحتجون على ضم البلدان اذا كان هذا هو الغرض منه

(والمعنى الثاني) يسري على البلدان التي تحوي جنسيات فصلت عن أصولها مثال ذلك بلاد الترنتينو فضمها (الى ايطاليـة) ضروري لراحة ضمير العالم المتمدن (هتاف)

ثالثا (كذا) ان الضم قد يكون من الامور المطلوبة لنقل ملك أو أرض لاجل الاحتفاظ بمواقع حربية تكون ضرورية لا للهجوم بل للدفاع ووقاية البلاد من هجوم في المستقبل

و يبقى (الوجه الرابع) أي الضم بمعنى فتح البلدان للتوسع والتبسط للسؤدد السياسي بالربح الاقتصادي وهذا أمر لا يلقى شيئا من التأييد في البرلمان البريطاني ولا في بريطانية العظمى ولا بين حلفائها (هتاف)

ومتى جلونا هذا الابهام فهل يبقى خلاف بيننا و بين أصدقائنا ديمقراطيي روسية على القواعد العامة التي يجب مراعاتها في الكلام عن الصلح ؟

أما أنا فلا أعتقد بوجود شيء من الفرق (اسمعوا اسمعوا) روتر

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢١ رمضان (١٠ يوليو) ما نصه :

غاية الحلفاء من الحرب

رد فرنسة وانكلترة على المذكرة الروسية

أرسلت الحكومة الروسية المؤقتة في شهر ابريل الماضي مذكرة خطيرة الشأن الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها من الحرب وألحت عليهم في اعلان أغراضهم الحقيقية منها . وقد نشرنا المذكرة الروسية في حينه ورأينا الآن أن نوافي القراء برد فرنسة وانكلترة عليها لما فيه من الدلالة على حسن نيات الحلفاء وسمو مبادئهم ونبل مقاصدهم وهو الجواب الذي وصل الى بتروغراد في أواخر شهر يونيو الماضي . قالت فرنسة في مذكرتها :

جواب فرنسة عن مذكرة روسية

« اطلعت حكومة الجمهورية الفرنسوية بارتياح عظيم على المذكرة التي سلمها اليها سفير روسية في باريس باسم الحكومة المؤقتة وشاركتها في الثقة التامة بكل ما يتعلق بتحسين موارد روسية الاقتصادية وزيادة قوتها الحربية أو السياسية ثم رأت أن تعلن ما يأتي :

« ان فرنسة لم تفكر في استعباد شعب من الشعوب حتى أعدائها الحاليين ، ولكنها تريد أن يزول الخطر الذي يهدد العالم وأن يعاقب المجرمون الذين أضرموا نار هذه الحرب الهائلة وكانوا عارا على أعدائنا أنفسهم، وهي تترك لاعدائها عواطف الطمع التي امتازوا بها في الحرب والسلم ولا تطلب من البلاد الا ماهو لها شرعا

« لقد ذهبت مساعيها السلمية أدراج الرياح واضطرت الى امتشاق الحسام دفاعا عن حريتها واستقلالها ورغبة في اكراه العدو على احترام استقلال الامم . فكما ان روسية أعلنت احياء مملكة بولندة القديمة المستقلة هكذا فرنسة تحيي بسرور عظيم كل المساعي الحرة التي تبذلها الامم المستعبدة

« ولا ترمي فرنسة في هذه الحرب الا الى غاية واحدة وهي انتصار الحق والعدل سواء قامت الامم لاعلان استقلالها ووحدتها واعادة سالف مجدها ومدنيتها أو لخلع نير العبودية عن عاتقها وهو النير الذي كان يهدد جميع الامم التي لم تبلغ منزلة الجرمان من الارتقاء الظاهري

« ولا تطالب فرنسة لنفسها الا بتحرير الولايتين الفرنسويتين اللتين سلختا عنها بالقوة وهما الالزاس واللورين ولكنها تحارب مع حلفائها الى النصر الذي يعيد اليهم حقوقهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي ويعوضهم من الخسارة التي نزلت بهم ويكفل لهم منع كل اعتداء يقع عليهم في المستقبل

« وتعتقد حكومة الجمهورية اعتقادا تاما كاعتقاد الامة الروسية ان هذه المبادئ العادلة هي المبادئ الوحيدة التي يجب أن يضعها الخلق نصب عيونهم لابرام صلح دائم على أساس العدل والحق

« فعلى الحكومة الموقتة أن تثق ثقة تامة بمبادئ الحكومة الفرنسوية وتعلم أنها مستعدة للاتفاق معها ليس فقط على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب بل على طرق الانتهاء منها أيضا بشكل يتفق مع الغاية التي خضنا غمار الحرب من أجلها» انتهى.

قرار مجلس نواب فرنسا

ثم شفعت الحكومة الفرنسوية هذه المذكرة بالقرار الخطير الشان الذي أصدره مجلس نواب فرنسة في جلسته التاريخية في ٥ يونيو ونقلته الينا التلغرافات الخصوصية والعمومية في حينه [المنار وهذه ترجمته :]

باريس في ٥ يونيو

هذا نص قرار الثقة بالحكومة الذي وضعه مجلس النواب الفرنسوي : —

ان مجلس النواب الذي يعبر رأساً عن سلطة الشعب الفرنسوي يرسل الى الدمقراطية الروسية وسائر دمقراطيات الحلفاء التحية والسلام

ان مجلس النواب يؤيد الاحتجاج الاجماعي الذي قدمه مندوبو الالزاس واللورين المسلوختين عن فرنسة الى الجمعية الوطنية في سنة ١٨٧١ ويجاهر بأنه ينتظر ان هذه الحرب التي أكرهت ألمانية المحبة للفتح سائر بلدان أوربة على خوض غمارها لا تؤدي الى تحرير الولايات التي اكتسحها الالمان فقط بل الى رد الزاس واللورين الى وطنهما الاصلي وتعويض فرنسة مما أصابها من الضرر والخسارة

ان مجلس نواب فرنسة لا يفكر في فتح البلدان واخضاع شعوب أخرى ولكنه

ينتظر ان يؤدي جهاد جيوش الجمهورية الفرنسوية وجيوش حلفائها الى سحق الروح العسكري البروسي والحصول على ضمان وطيد لاستقلال الشعوب الكبيرة والشعوب الصغيرة

والمجلس واثق بأن الحكومة تكفل احراز هذه النتائج بالتعاون العسكري والسياسي مع حلفائنا — روتر

جواب انكلترة عن مذكرة روسية

وأرسلت الحكومة البريطانية المذكرة التالية الى حكومة روسيا وهي : —

« تلقت الحكومة البريطانية المذكرة التي سلمها اليها معتمد روسية في لندن وتضمنت أغراض روسية من الحرب الحاضرة

« وقد ورد في المنشور الذي أعلن على الشعب الروسي ووصل الينا مع المذكرة أن روسية لاتتوخى سيادة الامم الاخرى والاعتداء على أملاكها القومية واحتلال بلادها بالقوة فالحكومة البريطانية تشارك الحكومة الموقتة في مبادئها وتعلن أنها لم تخض غمار الحرب من أجل التوسع والفتح وانما خاضت غمارها في بدء الامر دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه المعتدين على احترام المعاهدات الدولية . أما الآن فقد صار لها غاية أخرى وهي تحرير الامم التي تئن من جور الاستبداد الاجنبي

« وقد قابلت الحكومة البريطانية بسرور عظيم عزم روسية على تحرير بولندا التي تحت حكمتها الاتقراطية الروسية و بولندا التي تئن من جور الاستبداد الجرماني فالدمقراطية البريطانية تحيي روسية وتتمنى لها النجاح في هذه المهمة من صميم فؤادها

« و يهمنا قبل كل شيء أن نجد طريقة حسنة لحل المشاكل الحاضرة حلا يكفل للامم سعادتها وهناءها و يستأصل جراثيم الحروب المقبلة من العالم

« والحكومة البريطانية تنضم الى حلفائها الروسيين من صميم فؤادها وتقبل معهم المبادئ السامية التي أعلنها الرئيس ولسن في خطبته الشهيرة في مجلس الامة الاميركية

« هذه هي الغاية التي تحارب الامم البريطانية من أجلها وتلك هي المبادئ التي تسير عليها في سياستها التي لها صلة بالحرب

« وتعتقد الحكومة البريطانية ان الاتفاقات التي أبرمتها مع حلفائها في الماضي

لا تناقض هذه المبادئ، ومع ذلك فانها تقبل أن تعيد النظر فيها اذا شاءت الحكومة الروسية ذلك وأن تعدل بعض موادها اذا اقتضت الحال » انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في ١٨ رمضان (٧ يوليو)

﴿ الحلفاء واستقلال الامم ﴾

أرسلت الحكومة الروسية مذكرة الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها الحقيقية من الحرب وطلبت منهم أن تعرف الغاية التي يتوخونها هم أيضا فأجابتها فرنسة بمذكرة طويلة قالت فيها انها لاترمي الا الى استرجاع الالزاس واللورين ومنح الامم الكبيرة والصغيرة استقلالها التام ثم شفعت هذه المذكرة بالقرار الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في ٥ يونيو الماضي

وقالت انكلترة في ردها على المذكرة الروسية انها خاضت غمار هذه الحرب دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه الآخرين على احترام المعاهدات الدولية . أما اليوم فصارت ترمي الى غاية ثالثة وهي تحرير الامم التي تئن من جور الاستعباد الاجنبي فانكلترا في هذه الحال توافق على المبادئ السامية التي جاهر بها الدكتور ولسن وأعلنتها الدمقراطية الروسية وهي مستعدة لاعادة النظر في المعاهدات التي أبرمتها مع روسية وسائر حلفائها

وقد قابلت الصحف الروسية هاتين المذكرتين بارتياح عظيم اذا استثنينا الصحف الثورية والمتطرفة والداعية الى الصلح . فقالت جريدة نوفوفريميا ما خلاصته : —

لا يمكننا ان نزيد حرفاً واحداً على جواب الحلفاء عن مذكرتنا فهو في غاية الوضوح في ما يتعلق بخطة الفتح الذي يتهمهم أعداؤنا بها

وقد أعلن حلفاؤنا غايتهم الحقيقية من الحرب فاذا هي غاية روسيا وغاية اميركا حليفتنا الجديدة . انتهى

وقالت « البورص غازت» انجواب الحلفاء أرضى روسية الدمقراطية وأكد لها أن دمقراطيات العالم كله متفقة على الدفاع عن استقلال الامم وسحق الاستبداد البروسي

﴿ استقلال ألبانيا ﴾

رومية في ٤ يونيو — صدر منشور في ارجيرو كسترو يوم ٣ يونيو باستقلال البانيا وتوحيدها كلها تحت حماية ايطاليا — روتر

رومية في ٤ يونيو

هذا بعض نص المنشور باعلان الحماية الايطالية على البانيا وهو بامضاء الجنرال فريرو :

« أيها الالبانيون انكم بهذا القرار سيصير لكم معاهد حرة وجنود ومحاكم ومدارس يديرها أبناء قومكم ويتيسر لكم ان تدبروا أملاككم وتجنوا ثمرة تعبكم لانفسكم ولزيادة خير بلادكم وإسعادها

« أيها الالبانيون انكم أينما كنتم سواء في بلادكم الحرة الآن أو قاربن في سواها من البلدان أو كنتم خاضعين لحكم أجنبي يمنن عليكم بالمواعيد الكثيرة ولكنه في الحقيقة يسلبكم ويعاملكم بالشدة أنتم سلالة جنس عريق نبيل تربطكم عدة قرون من التقاليد القديمة بحضارة رومية والبندقية . انكم لا تجهلون اشتراك المصلحة بين الايطاليين والالبانيين في البحار التي تفصل بيننا والتي وحدت بيننا أيضاء انكم لحسنو النية واليقين تعتقدون بحسن مصير وطنكم المحبوب فأنتم تقفون الآن في ظل راية ايطاليا والبانيا وتحلفون يمين الاخلاص الابدي لالبانيا المستقلة التي تنادي بها اليوم باسم ايطاليا وتتمتعون بصداقة ايطاليا »

وقد تلي هذا المنشور على جمهور كبير من ألبانيي ارجيرو كسترو فقابلوه بالحماسة ونشر في سواها من الجهات التي تحت ادارة الايطاليين والقى الطيارون نسخا منه في البلاد الواقعة وراء فوجوزا — روتر

(المنار) هذا وان البرقيات العامة نقلت الينا أن روسية الحرة لم تعترف بهذا الاستقلال بل صرحت بأن مؤتمر الصلح هو الذي يفصل في أمرها

ومن تأمل أجوبة الحلفاء كلها رأى ان جواب فرنسة أبعدها عن مظان التأويل وأقربها الى مقصد المذكرة الروسية ، ولما كان المعهود في السياسة ان يكون لكل كلام ظاهر وباطن وان يكون ظاهره محتملا للتأويل كتب أحد كتاب فرنسة الاحرار (المسيو اولار) مقالة في الموضوع الذي نبحث فيه لخصتها جريدة المقطم في العدد الذي صدر منها يوم الجمعة ١٣ يوليو (٢٤ رمضان) بما يأتي :

غرض فرنسا من الحرب
من مقالة للمسيو اولار

انشأ المسيو اولار الكاتب الفرنسوي الشهير مقالة شائقة في جريدة « الباتري » (الوطن) الباريسية بسط فيها غاية فرنسة من الحرب والاغراض الحقيقية التي ترمي اليها . والمسيو اولار من أعظم الكتاب الفرنسويين وأشدهم تأثيرا في الرأي العام وأكثرهم خبرة بشؤون الشرق الادنى ولا سيما سورية التي زارها لآخر مرة سنة ١٩٠٧ وأسس فيها مدرسة بيروت العلمانية ومدرسة دمشق للبنات . وهو أستاذ التاريخ في جامعة السوربون وصاحب المؤلفات العديدة عن الثورة الفرنسوية ومن زعماء الماسون والرئيس لاكبر الجمعيات التعليم العلماني في فرنسا لذلك رأينا ان نلخص مقالته للقراء لما فيها من الدلالة على اغراض الامة الفرنسوية من هذه الحرب وسمو مبادئها ونبل مقاصدها ورغبتها الاكيدة في مواصلة الحرب الى النصر قال :

« خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب ودخلت الثورة الروسية في دور جديد في الاسابيع الاخيرة فأحدث ذلك تأثيرا عظيما في العالم ظهرت نتائجه الاولى في انقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة الحلفاء

« وقد وقعت هذه الايام حوادث سياسية لها مغزى عظيم واضح فأعلن المسيو ريبو رئيس الوزارة الفرنسوية في مجلس النواب بعد اتفاقه مع الحكومات المتحالفة [انه لا يمكن ان تكون لنا خطة سرية غير الخطة الصريحة التي يعرفها العالم كله وان في التلاعب بالوجدان الوطني خطرا عظيما يؤدي الى أعظم النكبات] فالمسيو ريبو انس من نفسه هذه الجرأة الادبية التي حملته على هذا التصريح الخطير الشان بعد ما أبدت الدمقراطيتان الاميركية والروسية آراءهما في الامر واعربتا عن عدم رضائهما عن السياسة السرية

« هذا واننا نرى من جهة أخرى ان الجنود الفرنسويين الذين يقاسون ضروب الشقاء ويريقون دماءهم الزكية في الخنادق دفاعا عن الوطن العزيز يريدون ان يعلموا الغاية الحقيقية التي يقاسون الشقاء ويقتحمون الاخطار للوصول اليها . لا مشاحة في انهم يعلمون ان غرضهم الوحيد من الحرب الحاضرة طرد العدو من البلاد التي

اجتياحها وتحرير العناصر من ربقة الاستعباد ولكنهم يخشون ان تكون هنالك سياسة سرية وراءها مقاصد فتح ومطامع استعمار تحت ستار العدل والحق وان يتخذ ذلك حجة لتحقيق الاحلام القديمة التي منشأها الغرور وغاياتها استعباد الامم

ان الفرنسويين قاطبة يحاربون الى النهاية من أجل فرنسا والالزاس واللورين ويريقون آخر نقطة من دمهم لانقاذ البلجيك التاعسة من مخالب العدو ولكنهم لا يقبلون بوجه من الوجوه ان تكون غايتهم من الحرب فتح آسيا الصغرى وتحقيق مشروع استعماري بعيد تخفيه الحكومات اه

[المنار] ان الذكي الفطن يفهم من هذا التلخيص ما وراءه فعسى ان تنتهي هذه الحرب بما يحبه — مثلنا — هذا الكاتب الحر بتحقيق آمال المستضعفين وتحرير الشعوب أجمعين ،

الترك والعرب . وهل يكونان كالنمسة والمجر

نشر المقطم في ٥ شوال مقالة أرسلها اليه ابراهيم افندي النجار من باريس شرح فيها ما أحدثته الثورة الروسية ودخول الولايات المتحدة في الحرب من الروح الجديدة في سياسة العالم وأشار فيها الى ما بين قاعدة أحرار الروس ومرامي الرئيس ولسون وبين تنفيذ فكرتهما من العقبات وذكر تأثير ذلك في الدولة العثمانية فقال ما نصه :

« وقد اتصل بي هذين اليومين خبر كبير الاهمية اذا صدقت الرواية وصدق راويها وهو ان هذه الفكرة التي سبقت الاشارة اليها مشت شرقاً ووقفت في فروق (الآستانة) ففكر أصحاب الحل والعقد فيها في انشاء السلطنة العثمانية على الاساس الثنائي من الترك والعرب كما قامت امبراطورية النمسا على أساس سلطة النمسويين والمجريين . وان الحكومة شارعة في تعديل القانون الاساسي على هذا المبدأ. قرأت هذا الخبر الذي رواه لي مخبري في سويسرا ووقفت عنده وقفة الحائر في نقضه وتصديقه. الاول لانه لا ينطبق على سياسة غلاة الترك العنصرية والله أعلم بما أعرف من خبايا نياتهم وبما يضمرون . والثاني لان القوم ضاقوا ذرعاً في هذه الحرب وعلموا ان عاقبتها ستكون وبالا عليهم وان نهايتها ستكون على حسابهم وعرفوا مبادىء الثورة

الروسية والرئيس ولسن كما عو [illegible] تمد في
برلين وفينا في النصح لهم بالتخفيف من غلوائهم فرأوا من الحكمة أن يفعلوا مختارين
ما تحملهم القوة القاهرة على قبوله واقراره . والذي يعلم كيف أعلن مدحت باشا
القانون الاساسي الاول يوم كان سفراء الدول مجتمعين في الطوبخانة في الاستانة
لتبادل الرأي في كيفية حمل الدولة على الاصلاح يعرف مسالك الترك في هذه
المآزق ويتبين له وجه الشبه التام بين اليوم والبارحة. لهذا السبب ملت الى تصديق
الرواية وان كنت لا أجزم بصحتها » اه

المجمع اللغوي المصري (*)

لقد تم تأليف هذا المجمع في دار الكتب السلطانية وهذا هو القانون الذي
وضعه لبيان أعماله اللغوية وأنظمته الداخلية

عملاً بالمادة الثانية من القانون المتضمنة تأليف لجان لوضع مصطلح كل علم
أو فن قد قرر المجمع في جلسته المنعقدة يوم أول يونيو سنة ١٩١٧ تأليف اللجان
الآتية وألفت فعلا وهذه هي أسماؤها

١ لجنة الجغرافيا والتاريخ والآثار والملابس والاواني والملاحة والتجارة
٢ لجنة الطب والعلوم الطبيعية عدا علم النبات
٣ لجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية
٤ لجنة الفقه والقانون
٥ لجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وعلم النبات
٦ لجنة اصطلاحات الدواوين

أما أعضاء المجمع فهم الآتية أسماؤهم وقد رتبت بحسب الترتيب الابجدي
بالحروف الاولى فيها

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر رئيس المجمع
وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وكيل وحضرات

(*) هذا ما نشره كاتب سر المجمع في الصحف وقد بين المنار سبب تأليف هذا المجمع في المجلد ١٩

احمد لطفي السيد بك مدير دار الكتب السلطانية كاتب السر والسيد محمد البلاوي وكيل دار الكتب مساعد كاتب السر وحضرات الشيخ أحمد ابراهيم والشيخ أحمد الاسكندري وأحمد براده بك وأحمد تيمور بك وصاحب السعادة أحمد زكي باشا وأحمد سليمان بك والدكتور أحمد عيسى بك وأحمد كمال بك واسماعيل رأفت بك وحفني ناصف بك وعبد الحميد فتحي بك وعبد الحميد مصطفى بك وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعه وعثمان فهمي بك والدكتور فارس نمر ومحمد أمين واصف بك والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد شريف سليم ومحمد عاطف بركات بك والشيخ مصطفى العناني والدكتور يعقوب صروف وهذه صورة قانون المجمع

الفصل الاول — في غرض المجمع

المادة الاولى — غرض هذا المجمع خدمة اللغة العربية وخصوصا وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات

المادة الثانية — يكلف المجمع لجاناً أو أفرادا جمع مصطلح كل علم أو فن على حدته ولكل لجنة أو فرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الانضمام اليه من يرى دعوته من الاختصاصيين ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثه وتقرير ما يراه واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشره على حدة قبل اتمام المعجم

المادة الثالثة — للمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع الحرج

المادة الرابعة — يستبدل بالكلمة العامية أو الاعجمية التي لم تعرب من قبل غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها فاذا لم يهتد المجمع الى كلمة عربية وضع كلمة عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أو عرب الكلمة الاعجمية مع مراعاة المادة الثالثة

المادة الخامسة — يكون وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو النحت أو غير ذلك مما يقع اجماع على منعه ويفضل الاخذ من الكلمات المهجورة تقليلا لاشتراك المستعمل

المادة السادسة — تذكر الكلمات من المعجم بمعانيها القديمة ويضاف اليها مدلولها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع وينبه على ماكان من وضع المجمع

الفصل الثاني — في أعضاء المجمع

المادة السابعة — يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة يعرف أحدهم

اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم للغة العربية

المادة الثامنة — متى خلا مركز أحد الاعضاء فلكل عضوين ان يرشحا خلفاً وتعرض أسماء المرشحين ثم يدور عليهم الانتخاب على حسب المادة الثالثة عشرة ويشترط في قبول المرشح ان ينال انتخاب ثلثي الاعضاء الحاضرين على الاقل

المادة التاسعة — للمجمع ان ينتخب أعضاء مراسلين بالطريقة التي ينتخب بها الاعضاء ويكون لهم حضور الجلسات وليس لهم أصوات في القرارات

المادة العاشرة — من اعان المجمع من أعضائه المراسلين أو غيرهم اعانة لغوية يعتدبها ذكر اسمه في ثبت واضعي المعجم

الفصل الثالث — في ادارة أعمال المجمع

المادة الحادية عشرة — تقوم بالاعمال الادارية للمجمع لجنة مؤلفة من الرئيس والوكيل وكاتب السر ومساعده

المادة الثانية عشرة — ينتخب أعضاء اللجنة من بين أعضاء المجمع لمدة سنة. ويجوز اعادة انتخابهم

المادة الثالثة عشرة — يكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالاغلبية المطلقة للاعضاء الحاضرين في جمعية عمومية يحضرها ثلثا الاعضاء على الاقل فان لم يحضر ثلثا الاعضاء تم الانتخاب في الجلسة التالية مهما كان عدد الاعضاء فيها

المادة الرابعة عشرة — يدير الرئيس أعمال المجمع ويدعو لجانه ويقدم اليها موضوعات البحث ويهيمن على تنفيذ قرارات المجمع. وهو عضو بالقانون في كل لجنة من لجان المجمع يشترك مع أيها شاء

المادة الخامسة عشرة — يقوم الوكيل مقام الرئيس عند غيابه في كل ماله من الحقوق وعليه من الواجبات

المادة السادسة عشرة — على كاتب السر ومساعده تحرير محاضر الجلسات وتسجيلها في سجل خاص بعد التصديق عليها وهما مكلفان بمراسلات المجمع وحفظ أوراقه ونشر أعماله التي يتقرر نشرها

الفصل الرابع — في نظام الجلسات

المادة السابعة عشرة — ينعقد المجمع مرتين في كل شهر على الاقل ويجتمع فوق العادة بناء على طلب يكتبه خمسة من أعضائه أو بناء على طلب الرئيس

المادة الثامنة عشرة — يعين المجمع في شهر اكتوبر من كل سنة الايام التي ينعقد فيها كل شهر الى نهاية شهر مايو

المادة التاسعة عشرة — اذا لم يستطع أحد الاعضاء حضور جلسة فيجب ان يعتذر وتتلى الاعتذارات عند افتتاح الجلسة

المادة العشرون — كل عضو غاب أكثر من ست جلسات متواليات من غير عذر يقبله المجمع يعتبر مستقيلا و يستبدل به غيره بالانتخاب

المادة الحادية والعشرون — في غير الاحوال المنصوص عليها يكون الاجتماع صحيحا متى حضره ربع الاعضاء

المادة الثانية والعشرون — للمجمع ان يستعين باختصاصيين يدعوهم لحضور جلساته عند النظر في البحوث المتعلقة بمعارفهم الخاصة

المادة الثالثة والعشرون — تعقد الجلسات برئاسة الرئيس أو الوكيل عند غيابه فاذا غاب كلاهما انعقدت الجلسة برئاسة أكبر الحاضرين سناً

المادة الرابعة والعشرون — في غير الاحوال المنصوصة في القانون تكون قرارات المجمع بالاغلبية النسبية

المادة الخامسة والعشرون — للمجمع ان يعيد المناقشة في قرار سابق اذا طلب ذلك ثمانية من الاعضاء

الفصل الخامس — أحكام تكميلية

المادة السادسة والعشرون — لا يجوز تغيير مادة من هذا القانون الا بطلب مكتوب يقدمه خمسة من الاعضاء مبينة فيه أسباب التغيير يقرأ في المجمع ثم ينظر في جلسة تالية ولا يكون التغيير صحيحا الا اذا اتفق عليه سبعة عشر عضواً

المادة السابعة والعشرون — كل خلاف يقع في تفسير مادة من مواد القانون يعرض على المجمع لتقرير ما يتبع في ذلك

[illegible] العربية كتبت في العام الماضي وأشرنا اليها في تقريظ جريدة القبلة ج ١٩٠ التي صدرت في ٣٠ المحرم سنة ١٣٣٥ ثم حذف منها وزدنا في آخرها ذكر استقلال الشعوب



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

بداية الجزء الثاني

حسب ترقيم الكتاب في اعلى الصفحة

[المنار:ج1 م20] - [المنار:ج2 م20]

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالعيب في احد الزوجين ﴾

(س٣) من صاحب الامضاء في العلاقمة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين

الى القائم بأمر ربه المعتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

ارفعه مستفتيا فضيلتكم بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباده سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه وتحية الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل السيد السند :

ياصاحب الفضيلة بينما نقرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : اذ رأينا فيها أنه ليس لاحد الزوجين أن يفسخ النكاح لعيب بالآخر الا بالجنون والجذام والبرص و يسميها الأئمة ومن تبعهم العيوب المشتركة فتوقفنا في حصر العيوب المشتركة التى يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآنفة الذكر مع وجود مايماثلها فى الضرر بل ربما كان أشد وأولى مما ذكروا بالفسخ كالسل والزهري وغيرهما من الادواء المستحدثة و بعد البحث والتنقيب لم نعثر على قول لافى الكتب التى بأيدينا ولا ممن سألناهم ممن يظن فيهم انهم لا يتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من المنصوص فبعثنا اليكم بتلك الرسالة مستفتين : هل نجري الادواء المستحدثة مجرى مانصوا عليه لمشاركتها له فى

علة الحكم فتكون مقيسة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص
وهنا تساءل أيّ فرق بينها وبينه ؟ وإذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذا من دليل
فما هو ؟ هذا مانرجو أن تجيبوا عنه بفصل القول الذي نمهده فيكم ويمهده العقلاء
أجمع أمدكم الله بالعلم النافع وهدانا الله وإياكم الى مايوصلنا الى مرضاته وسلوك
سبيله القويم أنه سميع قريب عليم احمد عطية قوره من الملاقه

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح في الكتاب ولا في السنة الصحيحة وحديث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لأجل البرص . ولكن فيها آثارا عن بعض الصحابة والتابعين مستندة الى اصول الشريعة الثابتة من منع الغش ونفي الضرر والضرار وحينئذ لا وجه لحصر العيوب فيما ورد في تلك الآثار اذ لا دليل على الحصر وان ورد عن بعضهم عبارة فيه فتلك العبارة ليست مما يحتج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذاهبهم ليست متفقة كما ادعيتم . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في فصل مستقل قال :

﴿ فصل ﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يجد بصاحبه
برصا أو جنوناً أو جذاما أو يكون الزوج عنّينا

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة [(١)] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع [(٢)] ثوبه وقعد على الفراش أبصر بكشحها بياضا فانحاز [(٣)] عن الفراش ثم قال « خذي عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئا . وفي الموطإ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال أيما امرأة غرّ بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصداق

---

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر الكثيرة الغلط وهو غلط صوابه زيد بن كعب ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في المسند فقال عن جميل بن زيد قال حدثني رجل من الانصار ذكر انه كان له صحبة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن عدي والبيهقي . ورواه الحاكم في المستدرك من حديث كعب ابن عجرة ولم يشك . وجميل ابن زيد ضعيف وقد اضطرب في هذا الحديث وقال الحافظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فأماز

الرجل على من غره [١] وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البرصاء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصداق لها بمسيسه اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عبد يزيد أبو ركانة [٢] زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يغني عني الا كما تغني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حمية فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له «طلقها ففعل قال «راجع امرأتك ام ركانة واخوته» فقال اني طلقتها ثلاثاً يارسول الله قال «قد علمت راجعها» وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الائمة الثقات العدول ورواية العدل عن غيره تعديل له مالم يعلم فيه جرح، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ولاسيما التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاسيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها ، لا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

«وجاء التفريق بالعنة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسمرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحرث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر. وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث رجلا على بعض السعاية فتزوج امرأة وكان عقيما فقال له عمر رضي الله عنه : أعلمتها انك عقيم ؟ قال لا . قال فانطلق فاعلمها ثم خيرها ، وأجل مجنونا سنة فان أفاق والا فرق بينه وبين امرأته

«فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام الى سعيد بن منصور ومالك وابن أبي شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى ـــــ أيضا عن علي نحوه وزاد : وبها قرن فزوجها بالخيار فان مسها فله المهر بما استحل من فرجها (وسيأتي) (٢) في السنن زيادة واخوته أي وأبو اخوة ركانة

بعيب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ الا بالجب والعنة خاصة ، وقال الشافعي ومالك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرن والجب والعنة خاصة .
وزاد الامام احمد عليهما أن تكون المرأة فتقاء منخرقة ما بين السبيلين ، ولاصحابه في نتن الفرج والفم وانخراق مجرى البول والمني في الفرج والقروح السيالة فيه والبواسير والناصور والاستحاضة واستطلاق البول والنجو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو سل البيضتين والوجء وهو رضهما وكون أحدهما خنثى مشكلا والعيب الذي بصاحبه مثله من العيوب السبعة والعيب الحادث بعد العقد وجهان . وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب ترد به الجارية في البيع، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه ولا مظنته ولا من قاله وممن حكاه أبو عاصم العبادي في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن وافقه . وأما الاقتصار على عيبين أو ستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، فالعمى والخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المنفرات والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش وهو مناف للدين ، والاطلاق انما ينصرف الى السلامة فهو كالمشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها انك عقيم وخيرها فماذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا نقص

« والقياس ان كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخيار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما ألزم الله ورسوله مغرورا قط ولا مغبونا بما غر به وغبن به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقربه من قواعد الشريعة

« وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه أيما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسيسه اياها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب الهذيان البارد المخالف

لاجماع أهل الحديث ثابتة، قال الامام أحمد اذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فمن يقبل ؟ وأئمة الاسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه ؟ وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يرسل الى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيفتي بها ، ولم يطعن أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الاسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه : أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالخيار ما لم يمسها ان شاء أمسك وان شاء طلق وان مسها فلها المهر بما استحل من فرجها . وقال وكيع عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال : اذا تزوجها برصاء أو عمياء فدخل بها فلها الصداق ويرجع به على من غره . وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والحصر دون ماعداها ، وكذلك حكم قاضي الاسلام حقا الذي يضرب المثل بعلمه ودينه وحكمه شريح رضي الله عنه . قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه : خاصم رجل الى شريح فقال ان هؤلاء قالوا لي إنا نزوجك أحسن الناس فجاؤني بامرأة عمياء ، فقال شريح ان كان دلس لك بعيب لم يجز . فتأمل هذا القضاء وقوله ان كان دلس لك بعيب كيف يقتضي ان كل عيب دلست به المرأة فللزوج الرد به .

«وقال الزهري رضي الله عنه يرد النكاح من كل داء عضال . ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم أنهم لم يخصوا الرد بعيب دون عيب الا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء الا من العيوب الاربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج ، وهذه الرواية لانعلم لها اسنادا أكثر من أصبغ وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذلك باسناد متصل ذكره سفيان عن عمرو ابن دينار عنه

« هذا كله اذا أطلق الزوج وأما اذا اشترط السلامة أو شرط الجمال فبانت شوهاء ، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزا شمطاء ، أو شرطها بيضاء فبانت

سوداء ، أو بكرا فبانت ثيبا ، فله الفسخ في ذلك كله ، فان كان قبل الدخول فلا مهر وان كان بعده فلها المهر وهوغرم على وليها ان كان غره ، وان كانت هي الغارة سقط مهرها أو رجع عليها به ان كانت قبضته . ونص على هـذا أحمد في احدى الروايتين عنه وهو أقيسهما وأولاهما بأصوله فيما (اذا) كان الزوج هو المشترط، وقال أصحابه اذا شرطت فيه صفة فبان بخلافها فلا خيار لها الا في شرط الحرية اذا بان عبدا فلها الخيار ، وفي شرط النسب اذا بان بخلافه وجهان . والذي يقتضيه مذهبه وقواعده انه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل اثبات الخيار لها اذا فات ما اشترطته أولى لانه لا تتمكن من المفارقة بالطلاق، فاذا جاز له الفسخ مع تمكنه من الفراق بغيره فلأن يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، واذا جاز لها ان تفسخ اذا ظهر الزوج ذا صناعة دنيئة لا تشينه في دينه ولا في عرضه وانما تمنع كال لذتها واستمتاعها به فاذا شرطته شابا جميلا صحيحا فبان شيخا مشوها أعمى أطرش أخرس أسود فكيف تلزم به وتمنع من الفسخ ؟ هذا في غاية الامتناع والتناقض والبعد عن القياس وقواعد الشرع و بالله التوفيق

« وكيف يمكن أحد الزوجين من الفسخ بقدر العدسة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتمكن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الداء العضال[1] واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلعته وحرم على من علمه ان يكتمه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته في نكاح معاوية رضي الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » فعلم ان بيان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتمانه وتدليسه والغش الحرام به سببا للزومه ، وجعل ذا العيب غلا لازما في عنق صاحبه مع شدة نفرته عنه ولاسيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه ؟ وهذا مما يعلم يقينا ان التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم

« وقد ذهب أبو محمد بن حزم الى أن الزوج اذا شرط السلامة من العيوب

(١) ومنه داء السل وداء الزهري

فوجد أي عيب كان فالنكاح باطل ، من أصله غير منعقد ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث، قال ان التي أدخلت عليه غير التي تزوج اذ المسألة غير المعية بلا شك فاذا لم يتزوجها فلا زوجية بينهما » اه

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾

(٤ — ٧) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيخة الاسكندرية .

من (طملاي) بمركز منوف

فضيلتو الاستاذ مفتي المنار

سأل عبد الرحمن أحمد الصعيدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثيرا ما نهينا أئمة البلد عنها ولله الحمد فأجبتم اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ (صحيفة ٥٣٨) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرس في الازهر وغير مدرس فقرءوه وفهموه ، والتمسنا العمل بما علموه فامتنعوا وقالوا إن ترك العمل غير جائز والعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطبل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالنواجذ. وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة ٥٠ : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم يرض بسنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه و يصح ان يجعل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . وسئل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بعدم جواز ترك البدع المجمع على بدعيتها كالعرقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فاجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فعلى هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

في الغيط أو في البيت أو في المسجد بعدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يجزئ أم لا وما هي التي تجزئ أشفنا بالجواب رفعك الملك الوهاب

الجواب في مسألة البدع

البدع منها مايكون كفرا أو وسيلة الى الكفر ومنها ماهو حرام وماهو مكروه ، وليس في البدع الشرعية شيء جائز كان يكون مباحا ، لانها لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية (ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التى قالوا أنها تنقسم الى الاحكام الخمسة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضا ولكنه أخطأ في بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلا تاما في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغا حمله على القول بان العمل بالبدعة الشرعية جائز وانه خير من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد الرفاعي فيه مبالغة لانعرف لها وجها بذلك الاطلاق ، وما أفتى به الشيخ سليم البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئا تعوده لفتوى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا تؤثر الفتاوى الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء — أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة في الازهر و يأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والاضرحة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التنفير عنها تطبع و يذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها ، وأن يعهد الى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الالوف من هذه الرسائل على نفقة الاوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن — وأن يعهد الى بعض المنشئين المجيدين

بانشاء خطب فى ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها ، وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا ان يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البدع ولاسيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . فعسى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لايقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق

الجواب عن مسألة العدد في الجمعة

اختلف العلماء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على خمسة عشر قولا نقلها الشوكاني عن الحافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقد نقل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لاتنعقد بأقل من ثمانين وهو أكثر ماقيل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو العدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمَّع بهم حين انفض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحمد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصرح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم أنه (ص) سألهم عن عددهم فكانوا ١٢ رجلا وامرأة فلولا اعتبار العدد الذي لايعرف الا بالعد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لاينفي صحتها بأقل من هذا العدد لأن هذه واقعة عين لاتدل على العموم ، وإنما وجه الاستدلال به أن يقال فيه ماقيل في خبر انعقادها بالاربعين وهو ان الامة أجمعت على اشتراط العدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا العدد فلا يجوز بأقل منه ولاسيما في الابتداء الا بدليل ولم نر دليلا صحيحا لاحد ممن قالوا بانعقادها بأقل من ذلك فأقل مايقال فيه ان انعقادها بما دون هذا العدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسها على الجماعة الذي استدل به من قال بانعقادها باثنين أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انفض الناس من حوله ولان مخالفة الجمعة لغيرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام فارق يبطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لما خفي على الصدر الاول ولم ينقل عنهم التجميع بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثا لايصح . هذا ماأراه أقوى

الاقوال في المسألة . وقال الحافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشتراط جمع كثير بغير قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاثنى عشر اذا لم يكونوا جمعا كثيرا فما حد الكثرة عنده وهي من الامور النسبية وما الدليل عليها ؟

الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يجيزوا إقامتها في القرى بمعناها العرفي أي الضياع أي البليدات القليلة السكان . وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد رفعه وصحح ابن حزم وقفه وعليه زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة العترة وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور يجيزون التجميع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم مارواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس (رض): أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله (ص) في مسجد بجُواثي من البحرين — هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود : بجواثي قرية من قرى البحرين. وزاد أيضا «في الاسلام» - بعد قوله : أول جمعة جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يفعله الصحابة باجتهادهم بل بأمر النبي (ص) أي وان فرض فعلها باجتهادهم فلا يعقل أن يخفى عليه فاذاً لا يكون الا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على نقله . وكتب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم وصححه ابن خزيمة عنه . وروى عبد الرزاق عن ابن عمر باسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعتب عليهم . أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة مختلفة والقرية في حديث ابن عباس الذي في معنى المرفوع هي المصر . ويمكن الجمع بأنها تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تجب عليهم بل على أهل المدن . ونص حديث علي المشار اليه آنفا « لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد تتوارد على معنى واحد في اللغة وان كان بينها فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢) وقال علماء اللغة : القرية — بالفتح والكسر — المصر الجامع . ولا ندري متى جعل

المولدون لفظ القرية اسما للبليدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصقع ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرستاق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكأن المصر البلد الذي يتبعه عدة مزارع وضياع وهو كالبندر في عرف مصر ، وقال الراغب المصر اسم لكل بلد ممصور أي محدود يقال مصرت مصرا — أي بنيته . والمصر الحد . اهـ وقول الليث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود و يقسم الفيء والصدقات — من غير مؤامرة الخليفة اصطلاح اسلامي

واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلا بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده، والعمل وحده لا يعدونه دليلا ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاها هنالك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

الجواب عن مسالة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقيلون — روى المتين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والقيلولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم ينم وفي حديث سهل بن سعد الذي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي. وعن ابن قتيبة لا يسمى غداء ولا قائلة بعد الزوال، وهنالك أحاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد و بعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كغيرهم فالمعروف في فقههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للافتراق والقيل والقال بلا فائدة، فلا ينبغي الاقدام عليه

رحلة الحجاز (*)

٤

السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جده قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت الوالدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندي والصهر الحميم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بجنيهين اثنان للركوب واثنان لحمل المتاع (العفش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عربيان من جنود الشريف الهجانة للخفارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمنار لارسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عثماني ولم أكد أظفر به لولا مساعدة الاصدقاء لان المغاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جميع حمير البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكريم لا الحفظ فانها واثقة بامن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد اليافي مدير الشرطة في جدة و بعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الآل والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فرافقنا .

العناية بامر الماء في السفر

ولم أهتم لنفسي الا بملء إبريقي المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمنا طويلا بقطع الثلج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأني أعنى بأمر الماء مالا أعنى بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق علي فقد شيء من طيبات الدنيا

(*) تأخر نشره بغير تعمد

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي . وهذا الابريق من نوع الروايات (موارد أوعية الماء للسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأكثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحارّ يوما وليلة بالتقريب، وأبريقي الذي ذكرت يخالفها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملأته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتج فيها اليه لاني أعده لشرب الليل والماء المثلوج متيسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق أن كان منزلي (القمرة) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء المثلوج للباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في محجر الاسكندرية الصحي فتعاهدت الابريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الابريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى — ولم أر هذا النوع الا عنده أهداه الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠ اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء المثلوج . وكان عنده آلة اصنع الثلج ولكنها كانت معطلة في فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس في برج الحمل (شهر ابريل — نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المعتاد عندهم لاجلي ، ووضع عندي في دار الضيافة إبريقا من هذا النوع الذي نتكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة إبريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستفدت منه في سفري ذاك ، وكان أكبر نفعه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم نفد، ثم في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينة دير الزور وهي بين العراق وسورية ، وكان شأننا في تدبير ماء الشرب في ذلك الطريق — الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفرية تسير على ضفاف الفرات لا تبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا — اننا كنا كلما نزلنا منزلا في المساء نبادر الى تقطير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أكواز (قلل) الماء البغدادية وفي قلة معدنية مغشاة بقماش يبلل بالماء فيبرد المعدن بضرب الهواء له ويبرد الماء

برده، — وهذه القلة أهداها الي الطبيب النظامي محمد عبد الولي في مدينة لكهنو بالهند — وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املأ الابريق المعهود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرته في هذه البلاد كان أهداه الي صديقي السيد يوسف الزواوي أكبر نسروات مسقط بمدينة السلطان فيها ،فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذاك الى العشي لانه أحفظ والتغير فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حماه ، ولا أسف عليه لان مثله كثير، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول في مصر فآلمني كسره لطرافته وفائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجله البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطنة مسقط أهداه الي أبريقا آخر عوضا عنه، وهو الذي كان معي في الحجاز وكان ما حملت فيه من الثلج كافيا لي بين جدة ومكة الآن ماء قربة الجلد تغير في الطريق لانها كانت بعيدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أنائين أحدهما وهو الظاهر معدني وثانيهما زجاجي باطنه كالمرآة وظاهره مغشي بمادة من المواد البطيئة التوصيل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفوهة ولهذه الفوهة صمام (سداد) من الفلين على رأسه قطعة من معدنه الابيض ويكون فوقها غطاؤه المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من بلبل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من يعنون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والعناية بأمر الماء محمودة بل ضرورية، فالماء الرديء يكون سببا لامراض كثيرة، إذ الماء يحمل من جراثيم الامراض والاوبئة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ولا يذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستعذب له الماء من آبار السقيا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه العذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاوي — أي الاكواخ التي يأوي اليها المسافرون للاستراحة وشرب القهوة والشاي — كله قذر فلا أصله جيد ولا أوانيه نظيفة ، وماء (بحرة) التي ينزل فيها

جميع الحجاج للاستراحة رديء غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بئرا لا بأس بمائها ولكن لا يسهل الا على الاقلين الوصول الى شيء منها . فمن الضروري للمسافر الذي يعنى بصحته ان يحمل ما يكفيه من الماء بين جدة ومكة في سفره من كل منهما الى الاخرى . وللشقادف قلل من الفخار يربطونها في مؤخرتها فيكون ماؤها مقبولا ولا سيما في الليل

القهوات في طريق مكة والدكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت وصليت المغرب والعشاء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المثلوج وشرب الرفاق القهوة و بعد أن استرحنا قليلا أعطيت صاحب القهوة منهم أضعاف المعتاد فدعا لنا، وركبنا حمرنا وركب الجنديان هجانهما ومررنا لا نرى من الحجاج في الطريق الا سودان الدكورور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حرابهم والنساء أطفالهن على ظهورهن وما لديهن من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بعضهم نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ليل أو نهار مشوا لا يخافون اللصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لا يتعرض لهم أحد بسوء ، لانه لا يكاد يوجد معهم شيء له قيمة ينتفع به اللصوص من الاعراب هنالك فأ كثرهم عراة لا يملكون من اللباس ما يزيد على ستر العورة ولباس جميع رجالهم ونسائهم الابيض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال بحرابهم السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لا تبعد ثلة منهم عن أخرى الا قليلا ، واللصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون سلب القوافل الكبيرة

أمن الطريق وحادثة اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يبلغنا أنه وقع فيه اعتداء على أحد الا ما حدث بالقرب منا فاننا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت طلق رصاص استفز الحارسين اللذين معنا فسألتهما ماهذا ؟ قالا « قوم » وهم يعنون بكلمة القوم اللصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطعنا

ونقصد قهوة كنا نرى ضوءها فننزل فيها ، وتركانا مسرعين بهجانيهما الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص، وطفقنا نحن نلكز حمرنا مسرعين بها الى تلك القهوة فبلغناها بعد جهد وعناء فاسترحنا فيها ساعة وشرب رفيقاي الجندي والمصري الذي ألفيناه في الطريق الشاي ورأينا هناك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شردوا بعيرين للرجل الذي عاد معهما ولرفيق له وكانا عائدين من جده بعد بيع ما كانا حملاه اليها وان خفراء الطريق ما زالوا يقتفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم ير هو ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعزلان

النزول ببحرة

و بعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأنفنا السرى فبلغنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب المحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين. والخصاص جمع خص وهي البيوت من عيدان الاشجار أو القصب أوغيره من النبات، وهي هنالك كثيرة تسع الالوف الكثيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وان شئت قلت الخانات أو الفنادق لايواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلما يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لعلمهم بأن مايوجد هنالك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يجعل بعضها للنساء و بعضها للرجال ولها مراحيض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوصينا بالنزول فيها فاسترحنا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جمنا فأكلنا مما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسمك والخضر والحلوى والفاكهة وشربت الماء المثلوج وحمدت الله تعالى حمدا كثيرا . وأحببت أن أعرف أين نزل جماعتنا فتعذر علي ذلك

السرى من بحرة ومسألة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذنني الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءاني بجنديين عربيين من المشاة فقالا هذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا، فسرينا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماوزر على كتفه شادا منطقة من رصاصها المنضود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقال ان الامن تام ولا خوف عليكم في الطريق ، قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فماذا تغني عني أنت وصاحبك ؟ قال ان القوم الكثيرين لا يقصدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل مايحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لايتجرءون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أنباء الاعتداء من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قال فانا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والهضاب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكهة كالرمان والعنب والسفرجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذنني الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بان يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلمت منهما انهما جائعان وليس معهما شيء فأعطيتهما ما تيسر من الدراهم

ثم أدلجنا وسألت الجندي عن حال الامن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض أرض هذيل الذين أنا منهم وهم لايسرقون ولا يعتدون على أحد وان ماتوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما اللصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . وبعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لامانتهم قال مات في هذا المكان رجل من حجاج المغاربة يظهر انه كان مريضا فتعب في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فمات فيه وكان له ولد منفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد ينشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيسا

كبيرا فيه نقود كثيرة فحفظوه ولما رأوا الوالد دلوه على و... ه نقوده وأعانوه على دفنه ولم يأخذوا من الكيس شيئا ولو شاءوا لأخذوه كله

وجملة القول ان العناية بحفظ الامن في هذا الموسم كانت كبيرة واني لم أسمع من أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثتني الوالدة بعد الوصول الى مكة المكرمة انه عرض لهم في الليل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المنصورة وأنه فقير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسفاطنا وصناديقنا فينهره أحد الجنديين اللذين معهم بالكلام فيتحول قليلا ثم يعود ، ولم ينصرف حتى هدده بالضرب واتهمه بأنه يريد ان يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لا بد أن يكون له رفاق ينتظرونه . ويجوز ان يكون الرجل صادقا ولكن اساءة الظن في هذا المقام من الفطنة . والفضل الاول في هذا الامن الذي لم يسمع بمثله منذ قرون لشخص الشريف الحسين بن علي . [1] وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه لم ير أقدر من هذا الامير على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه

بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة لغوية تذكر على أني اكثرت من الكلام مع هذا ما لم أكثر مع الآخرين ورأيته أفصح منهم وذكرت له أبياتاً من الشعر العربي فرأيته لا يفهم جميع مفرداتها، ولكنه امتحنني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل — ولون الجبل أسود بل أصهب — قلت أي شيء هو ؟ قال ماهو مثل الشاة ؟ — والغنم هناك أبيض اللون — قلت نعم . قال هذا فِهر . وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصغير الذي يؤخذ باليد ويدق به الجوز ونحوه ، وقال بعضهم الذي يملأ الكف ، وذلك الحجر كبير لا يمكن رفعه بيد واحدة ولذلك رجعت الى معاجم اللغة فرأيت في لسان العرب بعد تعريفه بما ذكرت آنفا « وقيل هو الحجر مطلقا » ومن العجيب انه قد فسر هو والفيروزبادي الحجر بالصخرة ، والصخرة بالحجر العظيم الصلب . وهو تساهل أو تقصير في تحديد المعاني . والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المعروفة

(١) نبهنا قبل على ان حوادث الرحله حدثت قبل المبايعة بالملك فبقي التعبير فيها على ما كان عند وقوعها

يطلق على صغيرها وكبيرها وعلى الصلب الشديد اليبوسة منها وغيره . وقالت العرب : استحجر الطين أي يبس فصار حجرا . والصخر ماعظم من الحجارة واحدته صخرة والحصى صغار الحجر واحدتها حصاة وجمعها حصيات وحصي . قالها ابن سيده في المخصص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصى. وقول اللسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضعفه لايؤخذ على اطلاقه والذي ظهر لي من تقول أهل اللغة ومن كلمة الاعرابي الهذيلي ان أكثر العرب كانت تطلق الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم، وقليل منهم أطلقه على ما يؤخذ بكلتا اليدين لدق شيء أو ضرب به ، وأكثر العرب تؤنث الفهر ، وورد تذكيره في حديث حمالة الحطب فانها أخذت فهرا وجاءت لتضرب به النبي (ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) — وهو معه — : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض. قال صاحب الهمزية :

وأعدت حمالة الحطب الفهـ　　ـر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ　　ـلي من احمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أيـ　　ـن ترى الشمس مقلة عمياء

قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة — وكنا مررنا ليلا بالعلمين المنصوبين لحدوده - فصلينا فيها صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من التعب والنعاس ان اضطجعت فنمت حتى طلعت الشمس . وكنت عازما على الاغتسال في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالسنة وسألت في جدة وفي الطريق عن مكان يمكنني أن أغتسل فيه فقيل لي قهوة سالم ، ولكني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال وقتئذ بالماء البارد مع شدة الاعياء فاكتفيت بالوضوء. ورأيت أن أمشي ميلا أو ميلين لتلين عروق رجلي ووركيّ وأعصابهما المتيبسة من طول الركوب الذي طال عليّ عهده ففعلت وضايقني دخول الرمل في نعلي فمشيت حافيا ضاحيا (أي بارزا للشمس) كسودان الدكرور الذين كنت أراهم أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي منذ خرجت من جدة الى ان دخلت مكة

اسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسرهم العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة يخفرهم قليل من الجنود الاعراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباً على الابل متلفعين لا ترى الا أعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة يخفرهم قليل من جنود الاعراب المجانة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الامير عبد الله للطائف بعد ان حاصرها عدة أشهر وتسليم قائد الحامية التركية غالب باشا الذي كان والي الحجاز له

وفد الامير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة المعلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض ولده و بعض المكيين فأقبل لاستقبالي ونزلت عن دابتي فتعانقنا وتصافحنا وجلسنا للاستراحة و بعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الامير مكة قادما من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بغلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة - وأشار الى بغلة دهماء مشدودة مع حاجبين أبيضي اللون بثياب حمر كالثياب التي يلبسها قواسة وكلاء الدول - ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك مايسرك ولكنت معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخالص الدعاء

هذا واني كنت عازما عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولمن معي داراً ننزل فيها ولكنه كلمني بالمسرة (التلفون) من مكة فقال ان سيدنا الامير أعزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احداهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو بقرب الحرم الشريف . وعلمت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن ننزل في داره

ضيوفا عليه لو لم يتفضل (سيد الجميع) بتشريفنا بضيافته السنية الهاشمية

وقد تذكرت الآن – والشيء بالشيء يذكر — ان صديقي السيد يوسف الزواوي كبير تجار مسقط وسرواتها — الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل هذا البيت — كان قد كتب الي وأنا في بمباي ثغر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول انه بلغه انني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن سمو سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بمباي بدعوتي الى ضيافته وبأن يخبره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستقبالي فيها أخبرني بما كان تمناه واستعدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بلادنا وتريد ان تستأثر بضيافته من دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط دعا اليها جميع كبرائها ووجهائها ومأدبة أعظم وأفخم منها في دار له بمزرعة في ضواحي مسقط دعا اليها كبراء مسقط ووجهاء البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم فقضينا معهم يوما كاملا من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فألفينا آذانا صاغية وقلوبا واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبد الله حياه الله تعالى فانه أدب لنا عدة مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والوجاهة من حجاج المغاربة ، وسيجيء ذكر هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسعي ﴾

بعد ان استرحنا قليلا ركبت البغلة التي تفضل بارسالها الي سيدنا الامير ، ومشى أمامي حاجباه وركب السيد الزواوي فرسه الاينة السير ونجله السيد عبد الرحمن دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوّف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري ونجله دوابهما وسارا وراءنا ، فلما دخلنا مكة ومررنا في أسواقها جعل الناس يقومون على الجانبين تكريما لمن كرّم أميرهم ومنقذهم من الهلكة ، وان كانوا لا يعرفون شخصه ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السير بنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب

بني شيبة [1] حيث دخله سيد الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلما وقعت العين على الكعبة المعظمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام . وقفيت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وان لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا .

وطفت طواف القدوم والعمرة سبعة أشواط ، وطاف معي مطوفنا رافعا صوته بما يحفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقينه للحجاج — وأنا أدعو وأثني بما أعلم وما ألهم . وقد ذكرني المطوّف بما كدت أذهل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسن فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لاجل السعي بين الصفا والمروة ،

كنت أحب أن أطوّف بالصفا والمروة ماشيا ولكن السعي بينهما سبع مرات عبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشيا وذلك ما كنت أعجز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالم من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشناق له طول الطريق لخرّ بي مرارا ، وكم ثنى ركبتيه للركوع ، ومنعه جذبي الرسن من السجود ، فسعيت راكبا على البغلة وهو جائز ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين الميلين (العمودين) الاخضرين الناتئين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك ان جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام الا الرمل في الطواف والسعي فانه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فعله مع الاضطباع وهو عبارة عن كشف المنكب الايمن واظهاره ليظهر قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، اذ كان بلغه انهم قالوا ان محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بلغه عنهم في الحديبية انهم قالوا

---

(١) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس منصوب ويقابله في جدار الحرم الشرقي بابان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب علي وفي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) يليه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكثر الحجاج

في المؤمنين : أوهنتهم حمى يثرب

وبعد السعي عدت الى دار السيد الزواوي إجابة لدعوته فمروا بي من طريق آخر وحجاب الامير أمامي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكينهم وفي الطريق من الجانبين فأحييهم بالسلام وبالاشارة حتى اذا ماجئت الدار أعد لي ماء للاستحمام فاغتسلت وتغديت مع السيد وولده ونمت وكان الحر قد اشتد فلم أنم الا قليلا . وقد سألني السيد متى تحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الامير؟ فقلت له انني كنت محرما بالعمرة وقد أديت طوافها وسعيها وسأقصر شعري وأتحلل منها ، ولكن ثيابي مع الوالدة والرفاق فمتى وصلوا ألبس ونذهب ، ورغبت اليه في الذهاب الى الدار المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ؛ ولما جئت الدار وجدتها على الشارع العام بجوار باب الحرم الغربي الكبير المسمى بباب ابراهيم ؛ وقد تأخر وصول الجماعة الى قرب المغرب فلم نتشرف بتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الامير وشمائله في فصل آخر ،

﴿ الحالة الروحية عند أداء المناسك ﴾

وحكم التلبية والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للانسان منفردا ومجتمعا . أي تربية كاملة له ، فان الانسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق ليعيش مجتمعا ، وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولروابطه الاجتماعية

أما كونه رياضة بدنية مقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالاحرام ضرب من الرياضة والسفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة الى مكة ، وعلمت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة . وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الاطباء نفعها ويوصون بها ، فدائرة المطاف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط (مرات) ومن الناس من يطوف في اليوم والليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ، أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعدلها وهو وقت

السحر ، لما كنت عليه من ضعف البدن ، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضعفي ذلك أو يزيد . واذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلو فان السعي بين الصفا والمروة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو

وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الارض وفي أحسن الاحوال التي يكون عليها الانسان في هذه الحياة وهي التجرد من شواغل الدنيا والتوبة الى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام

وأما كونه عبادة روحية مهذبة للنفس بتقوية شعور الايمان فهو المقصود بالذات الذي يجب ان يتحرى وينوى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك ، وهاك خلاصة وجيزة من العلم والاختبار في ذلك :

الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة ألبي في السير قليلا ، وأتكلم معهم كثيرا ، فلما عادوا وولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلمائه ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشعت السرائر ، وتزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يثيره تأثير الزمان والمكان وزي الاحرام في النفس ؛ فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق الى بيت الله الحرام ، وأما زي الاحرام ، فهو الذي كان يتزيا به ابراهيم خليل الله ، واسماعيل ذبيح الله ، ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمر ، من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي اللب ، يخشع لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تثمره من قوة الايمان ، وطهارة الوجدان ؛ وخلوص السر والاعلان ، ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف اذا صحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكية ؛ واخلاصها تزكية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فرأيتني حاسرا حافيا في ازار ورداء ، غير مبال بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهدها في سالف

الايام ، الا بين جدر الحمام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حارا رطبا ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الارض نهبا ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتفصد بها العرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوغلنا في السرى وتغلغلنا في البيداء ، نشعر بجفاف الجو وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجادة صلاة كانت تحتي ، فوضعتها على عاتقي فلم تغن عني ، فأخرجت العباءة فتلفعت بها ، جاعلا لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى يصيبني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السرى ولا ضجر ، فان مسني طائف من شيطان الوسوسة ، ذكرت الله تعالى فطردته بالتلبية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك .

ويالله ما أحلى التلبية في تلك الفلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستمطرت بها العبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتجديدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، واذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو أجلب للخشوع ، واذرف للدموع ، واستئنافها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدعى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجدا ، أو هبطنا غورا ، أو نزلنا مكانا ، أو استأنفنا سرانا ، أو لقينا مشاة أو ركبانا ، جأرت الى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك .

تاثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيمانا وتوحيدا ، وتجرده من الحظوظ والاهواء تجريدا ، وتعده لزيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأتم استعداد ، حتى إذا اكتحلت عينه برؤية الكعبة المعظمة ، وراع القلب ما جللها من المهابة والعظمة ، تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقاء الايام والسنين ، ورأى أمامها مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام وحيث الختام ، فاذا دنا من مهبط الروح الامين ، ومطاف الملائكة والنبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين —

فلا تسل ثمّ عن الدموع كيف تنسكب ، وعن الضلوع كيف تضطرب ، وعن الاعناق كيف تخضع ، وعن القلوب كيف تخشع ، ولا عن وجدان الايمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض بيانه على اللسان ، فيحركه بما يلهم من الثناء ، وما يشعر بالحاجة اليه من الدعاء ، وما يذكره أو يُذَكّر به من المأثور ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسل أيها القارئ عن شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك ، فمن ذاق عرف ، ومن حرم انحرف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسؤدد ، فتقول بسم الله الله أكبر ، فيصغر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع النية والاخلاص ، بامس الحجر وتقبيله ان قدرت ، و بالاشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تتذكر ماروي من انه رمز الى يمين الله التي لاتشبه الايمان ، وان استلامه وتقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايعته على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستلمه يوم القيامة كما تشهد الاعضاء — وبأن تقول بلسانك أوقلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : اني أعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك [1] لما قبلتك ، فتقبيلك ليس لذاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مضرة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يبتدأ وعندك يختم ، في معنى عبادة الوثن وتعظيم الصنم ، وانما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسل الله ، وتعظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكمل به توحيد الله ، وتنمي به محبة الله ، فمن شأن المحبين الانس بكل ماينسب الى المحبوب ، ولاسيا اذا تعذر اللقاء وعز الوصول ، وكم نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كان الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، ولا يراه عباده في هذه الدار ، كان من رحمته بالمؤمنين المحبين ،

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يقبلك الخ رواه الجماعة كلهم

أن وضع هذا البيت للطائفين منهم والعاكفين ، ونسبه اليه ، ليكون تعظيمه تعظيما له ،
فاذا مضيت في الطواف يمينا مصاحبا لهذه الذكرى، جاعلا البيت من الجهة اليسرى،
فاشغله بالثناء على الله والدعاء لنفسك. ولآلك وصحبك، ولأمتك وأولي أمرك ، فاذا
بلغت الركن اليماني ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فانه على قواعد
ابراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت الى مقابله وهو
الركن الاسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الاول ، وبقية الاشواط مثله في
الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم
التهافت على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فاذا أتممت السبعة الاشواط ، فاختم
دعاءك بين الركنين بقوله تعالى (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار) ثم صل ركعتين سنة الطواف ، والافضل ان تصليهما وراء المقام ،

تأثير السعي وحكمته

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له نفل فلا يفعل في
كل منهما اكثر من مرة، ويجب ان يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .
فاذا جئت الصفا ، فاقرأ كما قرأ الرسول (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقل كما قال
« نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فاذا رأيته فقل
كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله الا الله وحده لاشريك له . له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ،
وهزم الاحزاب وحده » وادع الله تعالى مكررا ذلك ثلاث مرات .

وتذكر عند السعي أنه ذكرى سعي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان، أم أبينا
اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أبيه ، وصفوة بنيه . ويالها من ذكرى لمجد
العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، مثبتة لحفظ الله تعالى لهذه الملة ، وعنايته بهذه
الامة ، حفظتها العرب بالعمل المتواتر . وكم حفظت ماهو دونها من المآثر . وما يحفظ
بالتمثيل والمحاكاة، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات، ولكنهم مزجوا مناسك
الحنيفية ، بخرافات الوثنية ، فان كانوا قد وضعوا صنمين على الصفا والمروة ، فقد
وضعوا ٣٦٠ صنما على الكعبة ، ثم طهر الله تعالى هذه البقاع بالاسلام ،

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ، روى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان بين ابراهيم وبين أهله ما كان[1] خرج باسمعيل وأم اسمعيل ومعهم شنة [2] فيها ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة — زاد في الرواية الاخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم الى أهله فاتبعته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كَداء نادته من ورائه ياابراهيم الى من تتركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيت بالله — وفي الرواية الاخرى أنها قالت اذاً لا يضيعنا ، وفيها أنه لما كان عند الثنية أي ثنية كداء حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) قال فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدرّ لبنها على صبيها حتى لما فني الماء قالت لو ذهبتُ فنظرت لعلي أحس أحدا — زاد في الرواية الاخرى حتى اذا نفد مافي السقاء (أي الشنة) عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة ففعلت ذلك أشواطا ثم قالت لو ذهبت فنظرت مافعل تعني الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كانه ينشغ[3] للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

---

(١) أهله امرأته سارة غارت من هاجر لما ولدت وحملته على طرد هاجر طفلها اسماعيل . وفي الفصل ٢١ من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمره الله تعالى باخراجهما ووعده بأن يجعل اسماعيل ابنه أمة ، وفيه انه زود هاجر بخبز وقربة ماء واعطاها ابنها فتاهت في برية بئر سبع وانه لما نفد ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداها ملاك الرب وأراها الماء ووعدها بجعل ابنها أمة عظيمة . وان الله كان مع الغلام وانه سكن برية فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مماهنالك نعده تحريفاً ، وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق

(٢) بفتح الشين والنون المشددة القربة اليابسة (٣) بوزن يفتح معناه يشهق من صدره

الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا — زاد في الرواية الاخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سعي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أغث ان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الاخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث، فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الارض قال فانبثق الماء فدهشت أم اسمعيل (١) فجعلت تحفر (قال) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — ولفظ الرواية الاخرى « يرحم الله ام اسماعيل لو تركت أو قال لولم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الارض — (قال) فجعلت تشرب من الماء ويدر لبنها على صبيها قال فمر ناس من جرهم ببطن الوادي فاذاهم بطير — وفي الرواية الاخرى : فرأوا طائرا عائفا أي يحوّم على الماء — كأنهم أنكروا ذاك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذاهم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الاخرى فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء ،قالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم » . اه المراد منه ويليه ذكر عودة إبراهيم الى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت . وجرهم كقنفذ هو ابن قحطان ولكن رجح الحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل .

فهذا حديث صرح فيه ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده الى النبي (ص) في أوله ، وفيه نص صريح في بيان حكمة جعل الصفا والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الايمان بها ، ووجوب التطوف بهما والسعي بينهما . فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته ، وعنايته بتلك السيدة العظيمة القوية الايمان به والاتكال عليه والثقة به ، وبولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويجعله أمة عظيمة ، كما هو منصوص في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة ، وأي شيء أجدر بأن تتذكره هنالك وتمثله كما وقع لاجل الاعتبار به ، واحياء شعور الايمان بتصوره ، من رضاء

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل. وقوله ودهشت بفتح الهاء والدال ولأبي ذر بكسر الهاء

أم مرضع بأن تقيم مع طفلها منفردين بعيدين عن العمران، في واد غير ذي زرع ولا ماء ، لأن الله تعالى قد أمر بذلك أبا ولدها الذي لقنها الايمان ، ورأت ما أيده الله به من الآيات البينات، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الاقوياء ؟

أليس تمثيل حال تلك الام جائعة ظامئة، والهة حائرة، تشاهد طفلها يتلوّى ويتمرغ، من شدة الجوع والظمأ، ويضرب بنفسه الارض كالمصاب بالصرع، وينشغ أي يشهق من صدره الموت في ذلك القفر ، فيسوقها ذلك الالم الى الفرار من رؤيته بتلك الحال ، والسعي بين ذينك الجبلين القريبين من ذلك المكان ، تصعد هذا مرة وتلك أخرى، ضارعة الى الله راجية ان تجد من عنده غوثا، حتى اذا ما انتهت من الشوط السابع أرسل الله تعالى روحه الامين الذي يؤيد به الانبياء ،فأنبع لها ذلك الماء ،وجعل فيه الري والغذاء ، ثم ساق ذلك الركب من جرهم اليها ،وسخرهم للاقامة عندها ، ليتربى فيهم ويتزوج منهم ولدها، ثم يجعله أصلا لهذه الامة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدرة الكعبة اليتيمة، اذ جعله بلدا يحفظ بيته الذي جعله مثابة للناس وامنا، وجعل قلوب الناس تهوي اليه من جميع الاقطار إيمانا ونسكا، ورزق أهله من الثمرات ، وسخرلهم البشر في كل زمان، ألسنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الامم الغنية القوية ،المتصرفة في البلاد العامرة الخصبة الغنية، بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، بهذه الحرب الاوربية التي تقطعت بهم الروابط وقلت المواصلات ، واقتضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها ، ان تضرب الدول المحاربة لها حجرا بحريا على جميع سواحلها ، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى أليما شديدا ، حتى اذا ما أوشك أن يفتك بهم الموت جوعا ، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والاموال ، وتنقل اليهم وفود الحجاج ، وأراهم بهذه الاغاثة العامة ، مثالا لتلك الاغاثة الخاصة ، أعني اغاثة هاجر واسماعيل ، استجابة لدعاء الخليل « (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات) وكثيرا ما ذكرت الناس بذلك ، في أثناء أداء المناسك ،

فمن سعى بين الصفا والمروة عالما بما ذكر متذكرا له معتبرا به ، فانه يشعر في قلبه بنماء الايمان بالله وبرسل الله، ويفهم سر قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله)

باب الاخبار والآراء

﴿ اقتراح عظيم في الاصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض الموسرين من المستمسكين بعروة الكتاب والسنة ، لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنبين للمعاصي والبدع ، المحافظين على الفرائض والسنن ، ليؤدوا اليهم ما يجب من زكاة المال وزكاة الفطر وغيرهما من الصدقات ، إذ لا تطيب أنفسهم اصرفها الى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال ، لما يعلمون من فشوّ البدع والضلال ، وكثرة المعاصي والنفاق ، دع المجاهرة بالكفر والالحاد ، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاقامة دينه ، يتحرى صرفها الى من ينفقها في طاعته ، أو فيما أباحه لعباده من الطيبات ، لا في المعاصي والمحرمات ، ولا في البدع والخرافات ، فاذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر ، من ذمي أو مستأمن أو معاهد ، فصدقة الفرض ليست كذلك . لذلك اقترح علينا بعض هؤلاء الموسرين أن نحصي من نعرف ومن يتيسر لنا أن نعرفهم من المؤمنين المذعنين المعتصمين ، من فريق الموسرين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين ، والمؤلفة قلوبهم والغارمين ، ومن يلمّ بادارة المنار من أبناء السبيل ، وأن نكون واسطة التعارف والتعاون بين الفريقين ، لان وقوف كل فرد من الموسرين على هؤلاء المستحقين متعذر ، وان منهم من تعدد تأخيرهم الزكاة عن وقتها زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك . ولعمري ان هذا اقتراح جليل ، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير ، وإذا علم الناس ان بعض الناس يعطون صدقاتهم لمجتنب كبائر المعاصي والبدع ، المحافظين على الفرائض والسنن ، يكثر المدعون لذلك وحاملو الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم ، وأخذ الشهادات على هذا سهل على أكثر الناس في هذا العصر ، فان كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدعي مثل هذه الدعوى اذا كانوا لم يروا منه ما يصدقها ولا ما يكذبها ، وأما غيرهم فلا يتحامى شهادة الزور وقول الباطل في ذلك ، ومنهم من يرى أنه يتقرب به الى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته . واننا على ما نعلم من العسر في ذلك سننظر فيه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة ، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهوالها الولدان وهي لم تزدد الا شبابا ، وخمدت بها نار حياة الامم ولم تزدد نيرانها الا شبوبا ، وكان أهم احداث عامها الثالث في الميادين الشرقية ، ثورة الروس على حكومتهم القيصرية ، واسقاط القيصر نقولا عن عرشه ، واعتقاله مع زوجه وولده ، ثم نفيهم الى سيبرية حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الالوف من أحرار السياسيين ، والعلماء والكتاب النابغين ، واكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشورية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحزابهم على شكل آخر لحكومتهم ، فانشقت العصا وتفرقت الشيع ، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند ، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقتة امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها اعداؤها حتى ظن ان هنالك هدنة ، ثم هجمت في هذا الصيف على النمسة ، فشدد الالمان الهجوم عليها ، واستولوا على كثير من ولاياتها ، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريغا

يلي هذا ما حدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واستيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسية ، ويليه استيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق ، وتهنئة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف لملكهم بهذا الظفر ،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيس مازالوا يكاثرون الالمان في المدافع والذخيرة وغيرهما حتى كثروهم فيها كما كثروهم في عدد الجيوش ، وان الالمان قد جلوا عن قسم عظيم من أرض فرنسة وانتهوا وراءه في خط أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام ، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم ، بعد أن صار معظمه خرابا يبابا كما توقعنا من قبل ، وخربوا الالمان عند انسحابهم منه حربا عوانا ، وربحوا فيها كثيرا من الاسرى والمدافع ولا تزال الحرب في هذا الميدان سجالا .

﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جعل تاريخه سلخ شوال خطأ

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٥ — ٢٤ الميزان (خ١) ١٢٩٦ ه ش ١٧ أكتوبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقيدا بالمسفوح مرة وغير مقيد مرارا وما الحكمة في تحريمه . أفيدوا الجواب ولكم الثواب

طبيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن فهمي

(ج) الدم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيوان بذبح أو جرح أو غيرهما ، وتقييده بالمسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيده . واحترز بالقيد عن الجامد كالطحال ، وعما يخالط اللحم من المائع القليل فانه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة تحريمه أمران أحدهما أنه خبث تستقذره الطباع السليمة فوجب التنزه عن جعله غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم و يشتمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا ما يشتمل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واتقاء ضرره فهو لا يسهل على جميع البشر من البدو والحضر المخاطبين بهذا الدين العام . وتتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتابة وطريق تحصيلها ومكان القرآن والحديث منها)

(س ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله و بعد فانا نعلم مكانتكم من العلم في هذا البلد لذلك نرجو الاجابة على ما يأتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي أحياه فينا الاستاذ الامام مازال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيل للناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئكم الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتّاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه والنسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وانا نحفظ الكتاب وكثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لا نجيد شيئا من الكتابة بل لم نصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به فبأي عين نظر اليه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالنا ضللنا هذا الطريق في حين أننا أولى به؟ وكم من رجل ماحفظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله وبهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آبائها الاولين . فاللهم هيء لنا مايرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستنارة بمنارك ان شاء الله فأجبنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر

محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والادبية التي جددها الاسلام للعرب يطلبون اللغة العربية من أهلها بالتلقي والمشافهة ، ولما سرت العجمة الى الامصار العربية بكثرة مخالطة العرب للعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من العجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخالصة من شوائب العجمة، ويحفظون أشعارهم ويروونها كما يحفظون ويروون الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراية والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضبطها وفهمها ، وبيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في المساجد والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهد من الكتاب العزيز والسنة ، وأقوال العرب وأشعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، وبين فنونها وفلسفتها، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول رسوخ ملكاتهم في العلوم والفنون، دون رسوخ ملكة اللغة في منثور ولا منظوم ، وقد انسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلغاء كثيرون، حتى اذا ماتغير منهج التعليم ، وأسلوب التأليف، وقل الحفظ والحفاظ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في الالفاظ، ضعفت ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة ، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون التفلت من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الاسلوب العربي، الا الى اسجاع متكلفة ، أوعجمة أو عجرفة ، ومن شاء قايس بين عبارة الزمخشري في الكشاف وعبارة الفخر الرازي

في التفسير الكبير ، و بين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، وعبارة السعد التفتازاني في المطول والمختصر ، فاذا كانت عبارة العلامة التفتازاني في دقتها وتحريرها ، نائية عن براعة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها ، واذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وايضاحها ، تكاد تعد ركاكة عامية في جنب عبارة العلامة الزمخشري في متانتها وعلو أسلوبها ، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتفتازاني ، بل القدرة على المناقشة فيه ، وايراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه ؟

أتى على الامة العربية بضعة قرون وهي في تدلّ وضعف في اللغة ، لا يمضي عليهم قرن ولا عام الا والذي بعده شر منه ، وما سببه الا تنكب سبيل الاولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه ، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه ، فكان اذا اتفق لاحد منهم ذلك بإلهام الفطرة ، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة ، فصار كاتبا بليغا ، أو خطيبا مفوّها ، أوشاعرا مجيدا ، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد ، يكاد ينتظم في سلك خوارق العادات ، حتى إن ذلك النابغ نفسه يظل غافلا عن السبب ، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كثب

بلغ الجهل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم ، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعلم عنهم ، ولا ماشرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها ، وتحصيل ملكة البيان فيها ، فقد وفاها حقها في اثني عشر فصلا من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده الى الخمسين ، ذلك بأنه كتب ما كتب والامة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيفقه و يعتبر ، ولم يكن كل من يفقه بالذي يقدر على تلافي الخطب ، والسير بالامة في الطريق القصد ، وقد استبد بأمر الامة الاعاجم الجاهلون ، وقل العلماء المستقلون وساد المقلدون .

أما هذه النهضة الاخيرة فقد كان حكيمنا السيد جمال الدين مقتدح زنادها ، وشيخنا الاستاذ الامام قائد جيادها ، ولكن السائل بالغ في اطراء المعاصرين من كتابها ، فنظمهم في سلك الاولين ، من الفحول المقرمين ، وما هم عيال على بعض

المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :

وأما سؤاله عمن حفظ القرآن من النصارى استعانة به على تحصيل ملكة البلاغة — وهم ثلة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين ، — بأي عين نظروا اليه وكيف صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف اليه شيئاً من الاحاديث ؟ فجوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين والهداية ، والامور بمقاصدها ، وانما يستفيد كل أمرىء من كل شيء مفيد بقدر ماتتوجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لاتتوقف على حفظ القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك ؛ لانه أبلغ الكلام العربي وأعلاه أسلوبا ، وان كان أسلوبه معجزا لايمكن أن يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لا يستفيد شيئا من بلاغته ، كما انه اذا لم يقصد الاهتداء به لا يستفيد من هدايته ؛ ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل يتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام بلغاء العرب في العهدين الجاهلي والاسلامي أو العهد الثاني فقط ، وان هذه الممارسة هي الاصل في تحصيل ملكة البيان لانها هي التي تحتذى وقدر القرآن الكريم أو ضعفه لا يكفي خلافا لما تظهره عبارة السائل ومايقال في القرآن يقال مثله في الاحاديث النبوية وان كان أسلوبها غير معجز ، وذلك ان المحفوظ منها قليل ، واكثرها جمل مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الاغراض والمعاني ، ومن لم يقصد استفادة البلاغة منهما لم يستفد منها شيئا . وان من حفاظ القرآن عندنا من لاقصد لهم من حفظه الا تجويد ألفاظه وتوقيع آياته على الانغام الموسيقية ليعجبوا أو يطربوا من يستأجرونهم لقراءته في المآتم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من لا ينظر فيه الا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها ، بحملها على غير ماأريد منها ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجها أبيض أزهر فشبهه بربئة الحيوان ، وذم ابن الرومي الورد فشبهه بما نتزه عنه هذا الكلام . « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى »

رحلة الحجاز

٥

مقامنا بمكة قبل الحج

تقدم انني دخلت مكة ضحوة يوم الاحد (وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونه الرابع في تقاويمها) واني كنت متمتعا بالعمرة الى الحج ، واني لم أتجاوز يوم الاحد دار السيد الزواوي التي جئتها بعد الطواف والسعي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الامير أحسن الله كرامته ، وانني لم أخرج منه الا ليلا بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الامير للتشرف بزيارته . ولقيت في القصر نجله النجيب صديقي الشريف عبدالله ، وليس في مكة من أنجاله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والامير عبدالله الى فتح الطائف — وتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قبيل قدومنا ، وانه دخل مكة منصرفا عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين . وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء لزيارتنا وفي مقدمتهم الامير الشريف عبدالله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لا عمل لنا الا عبادة الله تعالى وأخصها التطوف ببيته ، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مذاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضعيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله ، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر ، وثقل علي الحر على أنه لم يكد يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنتكراد الا قليلا ، ولم اكن أجد راحة في جسمي الا حيث كانت راحة روحي ، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء لسعته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعة ولولا أن وصفه مبين بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، وأصلي المغرب والعشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نمي الذي يعشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، اذ عرفوه باقامته في القاهرة عدة سنين ، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجماميز ، واتفق ان زاويته في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب ابراهيم — وكذا داره — فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاويته حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزواوي منهم ، وكنا نجيئه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من احصائهم ، فنويت ان أرجئ النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال النسك ، ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين افندي الخطيب وفؤاد افندي الخطيب في ادارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها ، وكثر التلاقي بيني و بين هؤلاء والحديث معهم في الشؤون السياسية الحاضرة ، ونعرف أخبار الحجاز منهم

ولم أدخل دار أحد من المكيين زائرا الا زاوية الشريف أبي نمي ودار الشيخ محمد صالح الشيبي فاتح بيت الله الحرام (ورئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي) ثم لم يتيسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس افندي فانني زرته في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالازهر إذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام ، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها بيوم واحد . وكنت أود أن أزور الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس النظار في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك ، وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأثنى لي على تفسير المنار وطلب

مني جميع ماطبع منه . وقد رأيت أنه في أقرب منزلة من ثقة الامير وقلما جئت قصر الامارة الا ورأيته معه أو منتظرا لقاءه

وأما الشيخ الشيبي فهو كبير بني شيبة حجبة الكعبة المعظمة ووارثي مفتاحها في الجاهلية والاسلام ، وبيتهم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة والعلويين منهم خاصة ، وهم ينسبون الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصحابي الذي فتح باب الكعبة للنبي (ص) يوم الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله (ص) عام الفتح على ناقة لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « ائتني بالمفتاح » فذهب الى أمه فأبت أن تعطيه فقال : والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي (يعني أنه يقتل نفسه بطعن بطنه به حتى ينفذ من ظهره) قال فأعطته اياه فجاء به الى النبي (ص) فدفعه اليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية ان النبي (ص) هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في تاريخ مكة للفاكهي قال (أي ابن عمر) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله (ص) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه البخاري من طريق فليح انه قال : وقال لعثمان « ائتنا بالمفتاح » فجاءه بالمفتاح ففتح له الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا انه كان مردفا لاسامة على القصواء وهي ناقته (ص) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره انه (ص) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد الحديث. وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري ان النبي (ص) قال لعثمان يوم الفتح « ائتني بمفتاح الكعبة » فأبطأ عليه ورسول الله (ص) ينتظره حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول « ما يحبسه ! » فسعى اليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سُلافة بنت سعيد تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه أبدا ، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية . فقال علي إنا (يعني بني هاشم) أعطينا النبوة والسقاية والحجابة ، ما قوم بأعظم نصيبا

منا . فكره النبي (ص) مقالته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح اليه . ثم قال الحافظ : وروى ابن عائذ من مرسل عبد الرحمن بن سابط (وهو ثقة) ان النبي (ص) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبي (ص) أجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يابني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي (ص) قال « يابني شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » اه

والظاهر ان ذكر بني شيبة ههنا غلط من النساخ صوابه يابني أبي طلحة ، فان عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان ابن عبدالدار بن قصي . وقد ذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه شيبة بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزبيري ان النبي (ص) دفع المفتاح اليهما معا وقال « خذوها يابني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوذة بن خليفة عن عوف عن رجل من أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبة بن عثمان فأعطاه المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين الله على بيته » وذكر الحافظ هذين الحديثين في ترجمة شيبة من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي (ص) أعطاها يوم الفتح لعثمان وان عثمان ولي الحجابة الى ان مات فوليها شيبة واستمرت في ولده اه وهذا هو الصواب ، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم ، وعظم حسبهم ، وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ

أقول ولاهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن ، وبأن اقرارها لهم كان سبب نزول تلك الآية العظيمة التي هي قاعدة أصول الاحكام ، وعليها مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها

واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) كما تقدم آنفاً

وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخريج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله (ص) من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي ماسمعته يتلوها قبل ذلك . وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجها ابن مردويه عنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيها ان العباس (رض) حاول أخذ المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأنزل الله الآية في ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك ، وسواء كانت في ذلك أولا فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسير أن عثمان بن طلحة أسلم في هدنة الحديبية هو وخالد بن الوليد وهاجرا وان شيبة أسلم عام الفتح

الشيخ محمد صالح الشيبي

هذا واني لم أر فيمن رأيت رجلا أمثل رؤيته فصلا من تاريخ قريش في الجاهلية والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الاكبر الشيبيين الشيخ محمد صالح . وهو رجل جليل المنظر لطيف المعاشرة ، حسن المفاكهة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ، والآداب العربية ، وحظ من المدنية المصرية ، ورأيته على مشربي في العناية بأمر الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة بل يستعذب له الماء من بئر في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا للرسول الاعظم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، — ويثلج له الماء في داره ، وعنده روايا افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء المثلوج مع قطع من الجليد المصنوع اذا خرج هو منها الى سفر قريب كعرفة أوجدة . وقد أقام في الاستانة زمنا وهو يعرف اللغة التركية

رخاء المعيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج أذكر من خبر رخاء المعيشة في مكة المكرمة ان أهل هذا البلد الامين يتمتعون أبدا بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكاه الله عنه في قوله (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ودعائه ان يبارك الله لهم في اللحم عندما زار بيت

اسماعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الاول منه في بيان حكمة السعي بين الصفا والمروة من هذه الرحلة .
فاللحم في مكة كثير رخيص وهو جيد شديد السمن، والثمرات والخضر فيها كثيرة رخيصة أيضاً على أنهم يرفعون أثمان كل شيء في موسم الحج . وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية تستطاب لنا ألوان اللحم والخضر في كل غداء وعشاء ، ولكن كان يغلب علي وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء[1] فرغبتنا في الطعام كانت ضعيفة ، ولولا عنب الطائف ورمانها الجيدان لما طابت لنا المعيشة ، وكان لدينا طاه يحسن الطبخ على الطريقتين المكية والتركية، ثم استحسنت الوالدة أن تتولى الطبخ لنا احدى الجاريتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية ، وأما الثلج أو الجليد فقد قيل لنا انه كان له معمل في مكة وقد كسر وتعطل . ووجدنا بعض الهنود هنالك يعملون قطعاً صغيرة من الجليد يجمدونها في قوالب من التوتيا ويبيعونها بأثمان غالية جداً لمتادي شرب الماء المثلوج كالشيخ الشيبي فكنت أشتري منهم كل يوم، اذ لم أجد ماء كيزان الفخار مقبولا وان كنا في شهر الميزان ، خلافاً للمثل الحجازي القائل : اذا دخلت الشمس في الميزان، يبرد الماء في الكيزان .

وقد ذكر الرحالة محمد بن جبير الاندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثمرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خيراتها ونعمها ، قال : وأما الارزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن ان الاندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه كالتين والعنب والرمان والسفرجل، والخوخ والاترج والجوز والمقل ... الخ ومن أعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة ، وذلك لان رائحته من أعطر الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك ، فتجد رائحته العبقة قد سبقت اليك ، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه ، عن أكلك إياه ، حتى اذا ذقته خيل اليك انه شبيه بسكر مذاب ، أو بجنى النحل اللباب، الخ واطنب في وصف جودة اللحم وسمنه ولينه وسهولة هضمه ، وهو كما قال ، ونحن لم

(١) الاقهاء فقد شهوة الطعام

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فانه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . والبطيخ الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجيد منه في مصر المعروف بالشمام

﴿ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ﴾

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة[1] في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أيده الله تعالى قد كان استحسن أن نخرج معه الى عرفة ونكون في صحبته هنالك وفي منى الى أن نعودوا الى مكة ، ولما ذكر لي ذلك مستشيرا فيه ذكرته بوجود والدتكم معكم ، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك آنس لها وأقر لعينها ومزيد ثواب له ، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر مايلزم وأمر بصرف عشرين جنيها لنفقة عرفة خاصة ، وقد عهدت الى ابراهيم (هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا) باختيار جمال قوية جيدة الكم والجمال في هذه العام قليلة جدا لكثرة مامات منها قبل الثورة لقلة العلف ، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجمال مايكفيه ، وقد وصلت أجرة الجمل الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالا مجيديا ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بجلب الجمال من الاعراب ولو بالقوة لتعذر على بعض الحجاج أن يجدوها الا باجرة فاحشة

هذا ملخص ماقاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم للسيد عنايته بنا هو ونجله السيد عبد الرحمن ، وتعاهدهما ايانا بكل مانحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه العناية على أتمها عند الحل والترحال ، ففي أصيل هذا اليوم — يوم التروية — جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شد الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وارشاده ، ثم ركبنا في وقت العشاء ، فكانت السيدتان الوالدة والشقيقة

---

(١) سمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه ابلهم ويحملونها الماء الكثير لعدم وجوده في عرفة

في أحسن الهوادج ومعهما غزلان الجارية جلست بينهما لخدمتهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقدف ، وركب وكيل المطرح مع الاستاذ الشيخ خالد في شقدف ، وركب والد وكيل المطرح الجمل الذي يحمل الخيام والاثاث والماعون والمؤنة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة فارهة، وسرنا الهوينا في أسواق مكة قاصدين عرفة بعد أن أحرمنا جميعا وأهللنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بالخيام والماعون فانه سبقنا، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركنا ، و بعد سرى نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرفات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسيأتي قريبا بيان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان نتبع سنته (ص) في السير بأصحابه الى عرفة

كان من لم يسق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا حجهم الى عمرة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسعيها قصروا شعورهم وتمتعوا الى يوم التروية ، وكانوا نازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه(ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الابطح — وهو ما انبطح من الارض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (المعلى) ويسمى البطحاء والمحصب — وقد صلى النبي (ص) الظهر والعصر يوم التروية بمنى وبات فيها ليلة عرفة وانما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سنن لم تتيسر لنا . والخروج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره مالك التقدم اليها قبله والتأخر عنه الا أن أدركه وقت الجمعة بمكة فيصليها فيها كما فعلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب ثلثه . اه من نيل الاوطار

صفة الطريق مكة الى عرفات

خرجنا من الدار وهي غربي الحرم بقرب بابه المعروف بباب ابراهيم (١) فسرنا في الشارع الكبير ، مائلين يمينا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف عن يسارنا ويسمى ذلك الموقع بالسوق الصغير ، ويليه من الشارع جياد وفيه ... ماهد الحكومة

---

(١) ابراهيم الذي أضيف اليه هذا الباب شريف كان بمكة وظن بعض الناس أن المراد ابراهيم الخليل (ص) وممن اغتر بظاهر النسبة الرحالة ابن جبير فقال ذلك

والمطبعة والتكية المصرية ، ويليه شارع المسعى حيث يكون السعي بين الصفا والمروة ، فالقشيشية فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الاعظم، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهنالك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالغزة وفيها قصر الامارة عن يمينه ، فالنقا فالسليمانية عن يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي قبيس من جهة الشرق ، جبل قعيقعان وجبل الهندي من جهة الغرب، ودونهما جبل لعلع الصغير عند النقا

ومتى جاوز الخارج من مكة عمرانها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة أو المعلى وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها وعليهم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المهملة) التي قال فيها الحارث بن مُضاض الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا　　انيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا أهلها فأبادنا　　صروف الليالي والجدود العواثر

ويدخل فيها من ثنية كداء [١] التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح وفي حجة الوداع وهي في أعلى الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة، ويقال الثنية كداء الثنية العليا ، والثنية الاخرى التي دخلنا منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر) ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل قعيقعان . وهناك باب الشبيكة المشهور بعد جرول .

ووراء المعلى في طريق منى مكان يسمى البياضية مطلق الهواء ، فيه قصور لبعض الشرفاء . ومن هناك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من مئتي ذراع بذراع الآدمي الى ألف ذراع بالتقريب ، وتختلف أسماؤه باختلاف المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

مابين ضال المنحنى وظلاله　　ضل المتيم واهتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويذكر كثيرا في أشعارهم . والضال هو

---

(١) الثنية بوزن تضية الطريق في العقبة أو العقبة المسلوكة . وقال الراغب الثنية من الجبل مايحتاج في قطعه الى صعود وحدور، والعقبة الطريق الوعر في الجبل . وكداء بفتح الكاف والمد .

البري من شجر السدر وهو ذو شوك [illegible] ورقه القرظ ويدبغ به، وهما من أشجار تلك البلاد.

وأول منى العقبة التى فيها الجمرة المنسوبة اليها وسيأتى ذكرها . والمسافة بين مكة ومنى فرسخ واحد أي ثلاثة أميال كما قالوا ، ففى معجم البلدان لياقوت : منى بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار يسمى بذلك لما يمنى فيه أي يراق من الدماء — أي دماء الانعام للذبائح — الى أن قال : وهي بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان تعمّر أيام الموسم وتخلو بقية السنة الا ممن يحفظها ، وقلّ أن يكون للاسلام بلد مذكور الا ولأهله بمنى مضرب اهـ والمراد بالمضرب المكان الذي تضرب فيه خيام الحاج . وهذه الطريق يقطعها راكبو الخيل وكذا الحمير في ساعة واحدة وراكبو الابل في ساعتين . وحد منى من العقبة التي فيها جمرة العقبة الى بطن محسر (بكسر السين المشددة) كما سيأتي . والغالب فيها التذكير والصرف ، وقد تؤنث على الاصل في أسماء البقاع وتمنع من الصرف

والوادي بين منى والمزدلفة يسمى وادي المنار ، وتسمى المزدلفة جمعا أيضا ويكثر هذا الاسم في الاخبار والآثار والاشعار، وهي المشعر الحرام عند الجمهور أو هو جبل قزح فيها،قال تعالى(فاذكروا اللهعند المشعرالحرام)أي في المزدلفة فهي عند الجبل . والمسافة بينها وبين منى من نهاية حدها الشرقي نصف ساعة لركاب الخيل أو الحمير الفارهة وساعة أو ساعة وربع لراكبي الابل . وسميت جمعا لجمعها الناس في ليلة النحر ، والمزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب اما للتقرب الى الله بذكره فيها أو للازدلاف اليها من منى بعد الافاضة من عرفات . وقيل ان آدم وحواء تعارفا في عرفة واجتمعا في المزدلفة وسيأتي الكلام على المبيت فيها للنسك .

والمسافة بين المزدلفة وعرفات ساعة ونصف على الدواب ويمكن قطعها بأقل من ذلك ، وثلاث ساعات للابل . وبين المزدلفة وعرفة مضيق الاخشبين ووادي نمرة وبطن عرنة . وقال العلماء ان المسافة بين مكة وعرفة تسعة أميال تقريبا ، نقله الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، ولكنه ذكر عند الكلام على نمرة أنها على مسافة أحد عشر ميلا

وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الازهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفي الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما معافى، وقد نعته ادارة المعاهد العلمية في الازهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفي الى رحمة الله قبيل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد مالزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية و يلقي دروسه العالية في الازهر بعزم فتى لاتنال منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

« وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبري الليمون مارة بشارع كامل فشارع الموسكي الى الجامع الازهر حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات المالكية بقرافة الامام مارة بشارع الغورية فشارع المغربلين فشارع محمد علي و يلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه .

« أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدئ الاحتفال بتشييع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتا الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجيء بالجثة من الحلمية الى كبري الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبري الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين الملكيين والعسكريين

والاعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب العظمة السلطانية والكولونل ر. ف هربرت بالنيابة عن القومسير العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي ابراهيم فتحي باشا وزير الاوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه. م جريفس أحد أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فاللواء السيد علي باشا مساعد الاد جوانات الجنرال بالنيابة عن وزير الحربية فالقائمقام ادواردس بك بالنيابة عن سردار الجيش فحضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية»

(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالاجمال وخيالة البوليس فجمهور الطلاب الازهريين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)

ثم وصفت الجريدة السير بالجنازة الى الازهر والصلاة عليها فيه وتأبين الفقيد كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنازة — وكذا في صحن الازهر — آيات الابرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة الانسان وهي قوله تعالى (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا) الخ

وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلونه منزلتهم ولذلك يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لو لم تكن قراءتها والاجتماع لها في المآذن والمساجد بدعا لكانت هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الانكار عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعا يقرأ بعضهم كلا منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفعل الممثلون للقصص في الملاهي ، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الابرار يشربون من كاس) فيقول آخرون (كان مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشرب بها عباد الله) فيقول آخرون (يفجرونها تفجيرا) وهكذا يفرقون في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) بين يوما وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لخافوا ان يعذبهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التمزيق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

انا اقترحنا في جزء المنار الماضي على شيخ الازهر أن يسعى لابطال البدع من المساجد ولم يكد نوزع الجزء الا وقد قضي الشيخ نحبه ، فعسى أن يقوم بذلك خلفه

ثم قالت الاهرام : وكان الناس من وطنيين وأجانب وقوفا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقيد في مشهده ويترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلاوي قصيدة من نظمه في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأبين منثور أشير اليه بأن يختصره لاجل التعجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قرافة الامام الشافعي رضي الله عنه، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مرثيته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأبين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخلفاء الراشدين بل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مرثية محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أيدري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سليما في التراب
هوى ركن الحديث فأي خطب	لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري	ودع لله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له السبعون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب
وما فالت قريحته الليالي	ولا خانته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا	عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى	لموقف شيخنا يوم الحساب
اذا ألقى السؤال عليك ملق	تصدى عنك برك للجواب
ونادى العدل والاحسان انا	نزكي مايقول ولا نحابي
قفوا يا أيها العلماء وابكوا	ورووا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ونحن أولى　　ببذل الدمع من ذات الخضاب
عليك تحية الاسلام وقفا　　وأهليه الى يوم المآب

التعازي

ونشرت جريدتا الاهرام والمقطم تعزية برقية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيهما بأن نعيّ الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمعناهما من كبير الوزراء صرح فيهما بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه.

وقد تألف وفد من أنجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإنابة الوكلاء عنهم والمعزين فبدؤا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشريفات) ثم نائب وزير الحربية وادوورودس بك لشكر السردار ثم الجنرال كليتون لشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندو با لتشييع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحروسة ومحافظ العاصمة وحكمدارها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها : انه « ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزينبي ، وانه تعب في طلب العلم تعبا شديدا ولقي من الدهر فيه مقاومات عظيمة ، وانه كان يتعبد في المسجد الزينبي ليلا و يذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي المحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا » و بعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر و بقي يشتغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريبا »

= وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إينال بمرتب ٩٠ فضه في الشهر » « وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي العدوي فنيط به التدريس في المسجد الزينبي بدلا منه بمرتب مئة قرش في الشهر وعين وكيلا عن شيخ المسجد الزينبي لحداثة سنه

وهو الشيخ أحمد المفتي الشيخ الخالي وبقي كذلك الى آخر ولاية اسماعيل باشا
ثم عين إماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للمالكية بعد وفاة الشيخ
عليش ثم شيخا للازهر لاول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدته أربع سنين . وذكر
من حبه للعلم وايثاره له أن تلميذه قدري باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيها فأبى
مفضلا الانقطاع الى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر انه لم يكن يمكن
الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلائقه احداهما انه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخا لرواق
الصعايدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا على أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على
تعيينه دون غيره « ورأى في العدول اهدارا لرأيه وبالغ في التشبث برأيه حتى فضل ترك
المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية أنه لما جدد المسجد الزينبي
رأى رئيس مهندسي الاوقاف ان ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بما فيه فعارضه
الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة ، وانتهى الخبر الى الخديو محمد
توفيق باشا فأمر بابقاء القبر في مكانه وترضي الشيخ فتم له ماأراد . ولما كانت نشأة
الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قيما له عدة سنين ظل محافظا على
تعظيمه طول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان
كما يظن عامة المصريين أم كان يرى ان نسبة القبر اليها كدفنها فيه ؟؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد
وأعلمهم بترجمته انه سمع منه انه ولد في سنة ١٢٣٧ وانه جاء مصر في سنة ١٢٤٥
أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب .
ثم قضت الحال أن أرسله الخال الى الازهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى
جريدة للمسلمين في هذا القطر — نعيا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود
بدأه بقوله : « نعت العاصمة الاستاذ الشيخ سليما البشري شيخ الجامع الازهر عن
عمر طويل قضى شطره الاكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة الازهرية
غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر ان علماء الازهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وان طريقته في قراءته انه كان يقرأ الحديث أولا على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه .

أقول وهذه المزية له مشهورة سمعتها من كثيرين وعليها بنى حافظ مرثيته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الازهريون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرها من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الازهر في علوم الحديث . وانما كان الشيخ سليم البشري على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لاتزال تدرس في الازهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ في الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابه فألفيناه منفردا بعلوم الحديث، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصحح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويجيبني عن كل ماأسأله عنه من المشكلات على البداهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ماقاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئا لاحياء مااندرس من علوم الحديث في الازهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا ان أعظم مايذكر في تاريخ مشيخته للازهر قبوله للقانون الذى وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الدينى التابعة له وتنفيذه اياه ، وقد بينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الازهر ، وانما أقول ان المترجم كان حريصا على نيل رضاء السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام

(للترجمة بقية)

﴿ شيخ الازهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشري كثر القيل والقال في الازهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك الى سائر معاهد العلم الديني التابعة للازهر والى غيرها واشتهر أن الازهريين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطعن فيها بعض ، منها ما نشر ومنها مالم ينشر ، واتسع الوقت للخوض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهاها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا للازهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشمائلهم، ويقال انه في العقد الثامن من العمر ، وقد سبق له الاشتغال بادارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس ادارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيلا للازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية. فنهنئه بأكبر منصب يرتقي اليه شيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاحياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكليز لبغداد

قالت جريدة المقطم في فاتحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ — ١٣ مارس سنة ١٩١٧

«قضي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومباءة مجدهم وعنوان فخرهم، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث . أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام ؟ بل أي مجد يتحلى لعينيه عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان، متينة البنيان، قامت على العدل والنظام والعلم والامان ، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة ، واضاءة مصباح العلم لتمزيق دياجير الظلام . بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر العظمة والثروة وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق

«هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرنا شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الاتحاديين فضاع منهم كما ضاع سواه ، وصارت بغداد في يد من يعرف قيمتها ويقدرها حق قدرها

هذا ميراث العرب الكرام أخذه الاتحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأفلت من يدهم وهم يسيرون الجيوش الى بلدان أوربة فاتحين وثغور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الاخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الاتحاديين لانفاذ مشيئته وانزال قضائه »

ثم قال في فاتحة العدد الذي صدر في ٢٢ جمادى الاولى بعد كلام علل فيه تسمية الجرائد الانكليزية بغداد مدينة الشعر والخيال بأنهم أخذوا ذلك من كتاب الف ليلة وليلة الذي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بغداد من وجهة أخرى وان لم يغفلوا وجهة الشعر والخيال فالعرب في مقدمة الامم التي تجل الشعر والشعراء ولكن العرب يرون في بغداد القديمة عنوان مجد جنسهم، ورمزاً الى أكبر شأو بلغته حضارتهم، ويذكرون ان عصرها الاول كان عصرهم الذهبي إذ منها انبلج صبح العلم في العصور الحديثة فأضاء الشرق والغرب

« ان العرب يرون في بغداد الاولى مقر العلم والحكمة، وخزانة معارف الشرق، ومدرسته التي نبغ فيها العلماء والاطباء والفلاسفة والفلكيون والكيماويون والشعراء والكتاب واللغويون والمهندسون برعاية العباسيين وعناية أفاضل خلفائهم ولا سيما المأمون الذي كان عضد العلم وسند العلماء

« قال السر هنري رولنصن المؤرخ الشهير في كلامه عن بغداد ما نصه : [وقد نافست بغداد قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لهاتين المدينتين سيادة العالم من هذا القبيل . أما في التجارة والثروة فان قرطبة لم تبلغ شأو بغداد . وكانت بغداد عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانه لما كان الاسلام ركن حضارة الدنيا]

« هذه هي بغداد كما يراها العرب الذين يعرفون تاريخ قومهم، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتحسرون على أيام الرشيد والمأمون، ويتمنون لو اتيح للعرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم باتقان العلم وتنشيط الصناعة والتفاني في تأييد المجموع

« كانت بغداد لسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم، ومجمع علمهم، وركن صناعتهم، وسوق تجارتهم، ومجلس حكومتهم، وكان خلفاؤها

ينظرون في الجهات الاربع ويعلمون ان الرياح كيفما هبت فانها تهب عليهم من ولاياتهم وممالكهم حتى لقد قال الرشيد يخاطب السحابة « امطري حيث شئت فان خيرك يأتيني »

« ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سبيل الا بهما الى تمثل عظمتها الماضية ، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جامعة لابهة الملك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون وبراعة النظام، فكان الخيال والشعر فيها تفكهة يلطفان من أخلاق أهلها وهم في طلب العلى جادون ، والى التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون » وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بغداد أيتها الجياد فانها أنجى وأقرب للشؤون وأنجح

«ولله در ذلك المستشرق القائل[1] : [في بلاد سكانها من صميم العرب الذين عرفوا بالعزة والانفة والشمم ودانت لهم الاقطار، ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار في غابر الاعصار ،وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً، وذكراً باقياً، فذاع فضلهم، وطارت شهرتهم ، وتناقلت الركبان أخبارهم .... هناك جنة عدن وهناك جنات النعيم، كانت رافلة في حلل الهناء والرخاء أيام كانت انكلترة والمانية فيافي وقفاراً، وكان أهلهما غارقين في بحار الجهل يتخبطون في دياجي الظلام . بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت فيها الحضارة وأينعت الفنون وأثمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي انبعث منها نور الدين وألبست العالم ثوب الرفاهية والسعادة]

« ترى هل يكون للعرب نصيب من يقظة العالم بعد الحرب ويد في نهضته القادمة فيحل الجد محل الخيال، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من الفتور، وتنزل هذه الامة المنزلة التي تجدر بها في مجالس الشعوب؟ أو تظل تعود ببصرها القهقرى الى عصور مضت، وأيام انقضت، تتغذى بالذكرى، وتصعد الانفاس الحرّى، ام

---

(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في المقطم بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

﴿ حجم المنار ﴾

اضطرنا انقطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف الفاحش الى تصغير حجمه رجاء الزيادة في أجزائه وهو ضرورة نتقدر بقدرها ، وعسى أن لا يطول أجلها .

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ العقرب (خ٢) ١٢٩٦ هـ ش ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم تارك الصلاة ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأرجوكم تعريفنا على صفحات المنار الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت بخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها مايحتمل التأويل كما يقال ؟ اما أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعدُ فان كان هناك أخرى أرجو التفصيل بايضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم :—

١ « بين العبد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك . وحوضى كما بين أيلة الى مكة أباريقه كعدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة كلما نضب أمداه ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً وسيرده أقوام ذابلة شفاههم فلا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »

٢ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعا العهد الذى بيننا و بين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

٥ « والذي نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فاحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم انه يجب عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء »

فأرجو بعد النظر في هذه الاحاديث التكرم بتفهيمنا درجة صحتها وعما اذا كان في ظاهرها شيء يحتمل التأويل خصوصا في لفظة الكفر أو الشرك

هذا والسبب الذي ألجأني الى عرض سؤالي هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون الغريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم ان تاركها لايخرج عن كونه عاصيا بسيطا مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من التشديد والوعيد. لذلك أرجو أن تكون الاجابة مفصلة الشرح لعلها تكون فصل الخطاب فيما عليه شباننا المسلمون المتفرنجون من الحيرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعي

علي مهيب

بتفتيش عموم التلغرافات

(ج) يجد السائل في المجلد الثامن عشر من المنار مايغنيه عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة للشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسمها (البرهان على خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٢ و ٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيرا من الآيات التي استدل بها على كفر من ذكر وبعض الاحاديث المؤيدة لدلالتها على ذلك ، وذكرنا فيما علقناه في حواشيها وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الاقوال. وأن أدري أيريد السائل الآن أن أتوسع في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الايضاح وتكرار تذكير التاركين لهذه الفريضة التي هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وماعلقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أورده من الاحاديث وسؤاله عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء المنار عناية بهذه المسائل كما نظن ، فنحثه أولا على مراجعتها وقراءتها ونرشده الى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا . فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ماذكر أمر فليسأل عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب السنن والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرهما الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم ، ومما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المنافقين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقا فالاحاديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

واني أذكر كلمة وجيزة في المسألة تفيد السائل فضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار والاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشتركين الذين يحفظون المنار ، وقد تكون ضرورية للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أحلنا السائل على مراجعته :

ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالا أعم وأوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي جرى عليه المتكلمون والفقهاء . فهؤلاء قد جعلوا الكفر مقابلا للايمان والاسلام فالمسلم الصحيح الايمان قد يكون عندهم فاسقا وظالما ويطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الايمان والاسلام وعلى بعض كبائر المعاصي التي اختلف أئمة الفقهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة ، وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالنياحة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا «اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب أو السنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة ، بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفرقون بين النصوص

يؤلون بعضها ويأخذون ببعض اتباعا لمن قلدوهم لا للنصوص

والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤمنا صحيح الايمان مسلما صادق الاسلام لا يخرجه عن ملة الاسلام تركه لصلاة كسلا أو ارتكابه لكبيرة من المنهيات بجهالة يتوب منها ولكن الايمان الصحيح هو إيمان الاذعان والخضوع الفعلي لاوامر الله ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلما . وقد يكون المرء مؤمنا غير مذعن كابليس ومن قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومن قال فيهم (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وغير هؤلاء ، وهل يعقل أحد ينصف من نفسه ان يكون من أولئك المؤمنين المذعنين من يترك عماد الدين وأعظم أركان الاسلام بغير مبالاة ويصر على ذلك غير مكترث للآيات والاحاديث الكثيرة في الامر بها والترغيب فيها والبيان لفوائدها ومكانتها العليا من الدين والترهيب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفرا في أحاديث صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟

وممن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الائمة علي كرم الله وجهه

وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى بعضه آنفا وحملها بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراما مجمعا على تحريمه معلوما من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالا كما قال ابن منظور في لسان العرب ، فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كالحلال في عدم تحرجه من فعله ولا احترامه لامر الله ونهيه حتى كانه لم يفعل شيئا فهذا هو الذي لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال على نشأ بين المسلمين . ولا أعرف لإمكان الجمع بين الايمان بما جاء به محمد (ص) وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الا صورة واحدة وهي الغرور بالاماني كالمغفرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه هذا الغرور مرارا في التفسير وغير التفسير والله أعلم

رحلة الحجاز

٥

عرفات وحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الارض، التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الالوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جمعا لعرفة، وجوزان يكون أشير بصيغة الجمع الى كون كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو العرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريبا . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسما مستقلا ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون)

أبكاك دون الشعب من عرفات ... بمدفع آيات الى عرنات

وقول عمر بن أبي الكنات الحكمي المغني

عفت الدار بالهضاب اللواتي ... بين توز فلتقى عرنات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرنات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرنات كمكما ... اذ أزمع العجم به ما أزمعا اه

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرنات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة مولد ليس بعربي صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وانما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس كيوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علما للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسيأتي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة، فلا يغترن أحد بعبارة القاموس الموهمة ولا بقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب ، وانما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قيل انها سميت بذلك لان آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرّفت أي طيبت بالعطر . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرّف العباد فيها الى الله تعالى بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخيران أظهر معنى ، و يعدون تعارف الناس هنالك من حكم الحج التي شرع لاجلها، والواقع ان التعارف بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في منى لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة العاشر عند غير الشافعية ، فأنى يتيسر التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه المعاهد لذاته . وسيأتي للبحث تتمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدوداً منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى الحوائط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة ونمرة (بفتح فكسر) ليستا من عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة و يحتج عليهم الجمهور بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة مشددة) و بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ، فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى .

وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك علمان مبنيان في أول حدود عرفة جعلا علامة على حد الحرم فما كان شرقيهما من عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلهما من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ، فما بين العلمين والميلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمرة المعروف بمسجد ابراهيم بقرب الطريق الممتد من منى الى الطائف ويسمى أيضا مسجد نمرة ومسجد عرنة . قال الغزالي : ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمرة هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك اذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس : كذا في التكملة . وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على احد عشر ميلا اه وقد نقل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمرة على احد عشر ميلا اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور ان المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالفاء من باب ما جاور الشيء أعطي حكمه أو نسب اليه ، ولذلك نسب بعضهم عرفة الى مكة وبعضهم الى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد ان زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مناسك الحج بعد ذكر استحباب المبيت بمنى ليلة عرفة كما فعل النبي (ص) ما نصه : ويسيرون منها الى نمرة عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخربت كما صرح غيره) من جهة اليمين فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسيرون منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة ببطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا

وقال الغزالي : في الاحياء وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح الاحياء : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه « قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لابراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسبه اليه جماعة منهم ابن كج وابن سراقة والبغوي والقاضي حسين والازرقي وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين ، وادعى الاسنوي انه خطأ وانما هو شخص اسمه ابراهيم من رءوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعي هذا بأن الازرقي من أعلم الناس بهذا وقد نسبه الى الخليل عليه السلام ، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوبا من أصله الى الخليل عليه السلام إما لانه صلى هناك أو اتخذ مصلى للناس فنسب اليه » اه وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلا ولكننا لا نثبته الا بنقل صحيح فأين هو ؟

وقال الزبيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النووي في زوائد الروضة : الصواب ان نمرة ليست من عرفات وأما مسجد ابراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فلعله زيد بعده في آخره ، وبين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وتطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المقبلة من عرفة اه

وقال صديقنا محمد لبيب بك البتانوني في الرحلة الحجازية التي ألفها في سنة ١٣٢٨ بعد وصفه لمنى وانتقاله الى وصف الطريق منها الى المزدلفة فعرفة ما نصه : ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محسر حتى اذا وصل الى المزدلفة وهي على مسافة ساعتين من منى (؟) أخذ في الاتساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قزح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك يضيق الوادي ثانيا ويسمى بوادي عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة تشكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والنصف الآخر في الحل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيما في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهنالك تجد الجبل قد حلق على الوادي وقفله امامك من الشرق [أقفله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اه

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسعهم ، يحدق بذلك البسيط الافيح جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والعلمان قبله بنحو الميلين فما أمام العلمين الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن عرنة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال – «وجبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (* المذكورة مآثره في هذا التقييد أدراجا وطيئة من أربع جهاته يصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محاريب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطامن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

ينوي التي فضلها رب العلى ... لما دحا تربتها على البنى [1]

حتى اذا قابلها استعبر لا ... يملك دمع العين من حيث جرى [2]

ثمت طاف وانثنى مستلما ... ثمت جاء المروتين فسعى [3]

ثمت راح في الملبين الى ... حيث تحجى المأزمين ومنى [4]

ثم أتى التعريف يقرو مخبتاً ... منازلا بين إلال فالنقا [5]

(* هو جمال الدين محمد الجواد الوصلي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشاعر عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية يشير الى أثر « دحا الله الارض دحواً من تحت الكعبة » وهو مروي عن عطاء وليس حديثا كما توهم ودحا الشيء دحاه كشفه ونحاه قيل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تغليب (٤) تحجى قصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف بعرفة أي أتى مكان التعريف يقرو يستقري ويتتبع منزلا بعد منزل ، ومخبتا خاضعا خاشعا والال الجبل ، والنقا تلال الرمل

موقف النبي (ص) بعرفة

اتفق الرواة على انه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بمنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء نمرة فأقام بها الى وقت الزوال ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار اليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هنالك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصار موقف الائمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الاحياء كلاما متصلا للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال

«وقد روى أبو الوليد الازرقي باسناده عن ابن عباس ان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الاجبل الثلاثة النبعة والنبيعة والنابت، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت قال والنابت على النشزة التي خلف موقف الامام. وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هنالك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب

= (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كأنها الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده ويسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والمحفوظ خلافه ، وهذا يرجح ضبطه من ضبط قول جابر في حديثه الطويل «وجعل جبل المشاة بين يديه» بالجيم فان الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني إلالا بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب ان إلالا جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الامام، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الانصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن ابي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري ان اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب

= (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نعمان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكبة نسبة اليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . اذا تقرر هذا فمن كان راكبا ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلا وقف عليها أو عندها بحسب ما تمكن من غير

ايذاء أحد ،ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل لهذا الجبل فانه قال والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على النابت. ثم ساق ما أوردناه سابقا ثم قال وهذا أحب المواقف الينا للامام والناس

(قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم انما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه اراد بالجبل الذى عن يمين الامام الجبل الذى وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو النابت كما تقدم بيانه والظاهر انهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئا من الفضل، ولا نعلم من ابن اخذا ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العلما بالذكر والفضل

ثم قال الطبري نقلا عن صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نسك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس. وقال غيره قد افتتنت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطؤا في اشياء، منها (أنهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكره لهجون، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صعودا وهبوطا بالشمع الكثير الموقد، وانما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح ،ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويعين عليه وينهى عن مخالفته اه ما نقله الزبيدي



جريطة جبل عرفات
ومحل الحجاج في وقوفهم به

وادي عرنة

هذه الصورة رسمت لرحلة البتانوني



الحجاج على جبل الرحمة بعرفات

هده الصورة رسمت لرحلة البتنوني

الحرب والصلح

كثر الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرماني هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضة في الصلح وكانت ألمانية الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكلترة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية، وتحديد التسليح البري والبحري والجوي، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حربية وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون — وقاعدة التحكيم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطاني الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لا ضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانية الحاضرة حكومة أتقراطية لا تثق الحلفاء بعهودها فيعقدوا معها صلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى دمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة دمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به البشر من مصائب الحرب. وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه[1] الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالماني اذ جعل وزر الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالماني قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذ من الجرائد الاميركية والانكليزية والفرنسية والطليانية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته الفظائع الجرمانية بهتاف شديد»

ونقول ان الظاهر لنا أن الرئيس ولسون يرمي بتبرئة الشعب الالماني من تبعة الحرب واظهاره الاكتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى إغرائه بثورة داخلية على حكومته الممتازة بكونها جبهة الوحدة لقوتها وقوة أحلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرماني فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد أرسل وزير امبراطوريتها ردا جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور بدأه بقوله « ان جلالته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير السلم منذ تبوأ العرش وبأنه يوافق على ان الشرط الذي قاله قداسته من الامور التي يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس اصلاح ذات البين بين الامم و إحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب الالماني. (قال) فاذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادي ان الاتفاق خير من الشقاق فانها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل بإنالة جميع الشعوب مايلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي تحملنا على الاعتقاد أن أعداءنا يجدون في المبادي التي أعرب عنها قداسة البابا أساسا تمهيديا للصلح المقبل بشروط تلائم روح العدل وموقف أوروبا الحالي » اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة الماضي)

ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمنتهى التعظيم والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكلمة ما تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد الدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد ردا مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان يبني عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق الى تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وإننا نصرح بذلك وامام انظارنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقائها لاننا رأينا في اقتراح قداستكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية » اهـ من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم — ٢٥ اكتوبر الماضي

وقد جزم ساسة الحلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الا بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعاته . أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الالزاس واللورين الى فرنسة

وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (٢٢ اكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملأ عظيم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على الاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولا من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولا وأعظم رعبا ، فلهذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبتسر — اذا صح ان هنالك من يلح فيه — ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرضٍ » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

المظيم من هذه الحرب فان المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التعديل ، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرر ، ولكنها في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدإ فاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد لو أتيح له الفوز (هتاف)

« ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسيا ، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تتسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لاينازع فيه أحد ، بدلا من عالم تسكنه دمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعرى السلم الشريفة ، وقد أقيم لهذا الروح هيكل يعبد فيه في بتسدام[1] فلاسلم في العالم ولا حرية الا اذا دك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

« وعلقت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننتظر حركة حربية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى العدو وتنيلنا هذه الامنية . ولكن تضعضع قوة روسيا الحربية الموقت — لاأقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية ، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية، ماهو أدل على الحذق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية ، ومن براعة الانكليز المعهودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم ، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخرهم بالحمم ، حتى صار أعظم دول أمريكة الشمالية وأمريكة الجنوبية حربا لهم ، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا ، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات و بالتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون ، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا ، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لايقل عن ثلاثة ملايين ، وان الجيش الالماني المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين . وصرحت مرارا بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعافا كثيرة ، بل جاء في برقية لمكاتب

(١) المنار يعني الوزير بهذا الهيكل عرش ملك بروسية امبراطور الالمان

المقطم بباريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز .. لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبلغارية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت لتثبت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستتلاشى بنفاد قوتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي مئتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسة فللفرنسويين والانكليز التفوق على ألمانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ما خف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقرضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيهات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحوا من ثلاثة ملايين مقاتل

هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خير من كثرة الجيوش، فتأمل تعليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا لقيتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بجعل الصبر من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فغلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ أجيال، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لاحلافهم من أموالهم ومتاعهم، فلولاهم لم يثبت على حرب الالمان أحد، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه المعول الاخير في النصر والظفر ،

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الانكليز ﴾

الطعن في العظماء والمصلحين في الامم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الانكليزية مستر لويد جورج رئيس وزرائهم الذي أظهرت الحرب كفاءته وتفوقه على الاقران فزعمت انه فر من لندن الى فرنسة عند علمه باحدى غارات الطيارات الالمانية الى العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة. وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير ، وهو موضع العبرة التي أردنا ضمها الى أمثالها من حوادث التاريخ . فقد جاء في مقطم ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر — من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج ان موكله يقول انه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة اليه طعنا شخصيا في شخصه فقط لرأى ان كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتغاضى عنه ويكتفي بتكذيبه في الصحف التي نشرته فان المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحملات والمطاعن الشخصية والسياسية فقابلها كما يجب على الساسة ان يقابلوها، أي انه عدها من الامور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية . قال المحامي والمستر لويد جورج يعذرني اذا قلت ان خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلته فائزين . على ان الذي يهم رئيس الوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الوقع الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهامه كذبا بالجبن ، فقد بلغه ان الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساءهم خبر مغادرة كبير وزرائهم للندن للتخلص مما تعرضوا له، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس الى المحاكم لينفي فيها على رءوس الاشهاد هذه التهمة الباطلة ويطلع مواطنيه على الحقيقة »

ثم ذكر المقطم ان الوزير لما حضر المحكمة وحلف اليمين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها ، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك انه لو كان الطعن شخصياً موجهاً الى شخصك فقط لما رفعت هذه القضية؟
ج : كنت أكتفي بنفي الخبر الذي روته الجريدتان لأني لو سرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يطعن فيّ لما أتيح لي ان أفعل شيئاً آخر »

﴿ الاسرائيليون وفلسطين ﴾

ترجمة برقية خصوصية المقطم من مكاتبه بلندن أيدتها برقيات روتر

لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر

ذكرت جريدة « جويش كرونكل » ان المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية كتب الى اللورد رتشلد يقول ما نصه : —

« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذي يراد به ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خير مساعيها لتسهيل ادراك هذا الغرض . ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي فيها » مكاتبكم بلندن

﴿ مظاهرة الصهيونيين لتحقيق أمانيهم في فلسطين ﴾

جاء في مقطم ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :

« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم احتفالا كبيراً أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أبلغه المستر بلفور الى اللورد روتشلد في شأن تحقيق أماني الاسرائيليين بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطبا تناسب المقام فشكروا للحلفاء عامة ولبريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل

ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى تتقدمهم الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرى السارة هاتفون للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

﴿ معركة غزة ونتائجها ﴾

نشر المقطم تحت هذا العنوان البرقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر

ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جدا والتي تمد مقدمة لافول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحرير البلاد التي هي مهد الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماما مع القوات التي تحارب في بلاد العرب وصار مصير « المدينة » معروفا من الآن . وقد احتلت انكلترا حليفة ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ماقيل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جماد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة منشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فاتحا باسم ملكه واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأه ببيان أن غرضهم من الحرب كسر العدو واخراجه من البلاد فمجيء جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والعدو الطامع » ثم ثنى بذكر تخريب الاجانب للبلاد من عهد هولاكو واستبدادهم فيها ثم قال :

« ان جلالة ملكي وشعوبه والامم العظيمة المحالفة له يرومون لكم السعادة والرخاء واحياء العصر القديم لما كان الخصب منتشرا في دياركم تضيء العالم بنبراس الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدى عجائب الدنيا

« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحية وثيقة فقد تعامل تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بتمام المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح أما الالمان والترك الذين نهبوكم فقد اتخذوا بغداد منذ ٢٠ سنة مقرا لمباهجة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها في ايران وجزيرة العرب، فلا يسع الحكومة البريطانية الا أن تكترث لما يقع في بلادكم الآن وفي مستقبل الايام، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ما فعله الترك والالمان في إبان الحرب »

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومته يهمها يسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور مؤمنا اياهم من ارهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: «بل هي نرجو أن تحقق آمال فلاسفتكم وحكمائكم وكتابكم فتزهو بغداد وتزهر وينشط أهلها ويتمتعون بثروتهم ومقتنياتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانيكم القومية» وذكرهم ثانية بظلم الاجانب واستقلال الحجاز. وختم المنشور بدعوتهم الى الاشتراك في ادارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصحبون الجيش البريطاني (قال) فتتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطم مقالة في عدد ٢٩ جمادى افتتحه بعبارة طويلة من مقالة لمستشرق بريطاني دعا العرب فيها الى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطم في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار اليها في المقالة التي نقلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها:

« هل انحط العرب اليوم أو فسدت احسابهم وضعفت هممهم؟ — كلا لا هذا ولا ذاك فهممهم لا تزال كبيرة، واحسابهم لا تزال صحيحة وهم حافظون لانسابهم وقد صانوا ما زانهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقل واصالة رأي وشجاعة واقدام وأخلاق كريمة وسماحة وجود واحسان، ولكني رأيتهم غارقين في بحور الفاقة، وقد تولاهم التفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا لسواهم وخضعوا. وبعدما كانوا سادة صاروا مسودين، فهل يبقون بعد ان تضع الحرب أوزارها، كما كانوا لما أضرم أوارها

« تشتت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولاكو المغولي واجتاحها السلجوقيون رعاة طوران فضاع استقلال العرب وباتوا رعية لسواهم، فذلوا بعد العز وافتقروا بعد الغنى وخيم الجهل على بلادهم بعد ما كانت مطلع شموس العلم والعرفان حتى طلع صبح اليوم الذي تفك فيه قيود الامم المقهورة، فهل يعتبر العرب بما يقع الآن في انحاء الدنيا ويجمعون كلمتهم ويبتغون الوحدة القومية لهم ولابنائهم بعدهم

« لقد كان العرب أعداء أنفسهم، فأوسعوا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما تسلط عليهم شعب أدنى منهم وأحط، فالعرب لا تعوزهم الشجاعة ولا تنقصهم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بنجدتهم، وتحدثت الامم بأسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة ، فكيف يرضون بالذل ولا يطمعون بالاستقلال ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطايب الحياة ورغد العيش والهناء

«لست أدعو العرب لان يكونوا سفاحين كالالمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أتمنى لهم ان يكونوا أحراراً في بلادهم، وان يطيبوا نفساً وعيشاً و يعودوا الى سابق عهدهم، فينيروا العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم ، وفلسفتهم وصناعتهم ، كما فعل أسلافهم الكرام من قبلهم

« اني أسمع صوتاً ينادي من السماء ويقول : انهضوا يا أبناء عدنان ، و ياسلالة قحطان، وافيقوا من سنة النوم فقد طالت عليكم الف عام »

ثم قفى المقطم على هذه النبذة بالتنويه بمنشور الجنرال مود والثناء عليه ، ولكنه هفا هفوة كبيرة في المقابلة بينه وبين ما خاطب به الحجاج أهل العراق ، اذ وصفهم بالنفاق والشقاق ، والفرق بين الحالين عظيم

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم نفرغ للنظر في شيء منها لنبين مزيته، أما وقد طال الأمد فنذكرها بالاختصار ، وأقل حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر صحيفتين مصريتين:

﴿ المجلة السلفية ﴾ « علمية أدبية اخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة في كل شهر» صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي قتلان) سنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها ٢٠ قرشا في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدما . وقد تمت سنتها الاولى فكانت ٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري. وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية

﴿ الخال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية فكاهية تاريخية تصدر ثلاث مرات في الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق وقيمة الاشتراك فيها مائة قرش في السنة. وفاته ان يذكر في صفحتها انها فكاهية فروح فكاهة صاحبها تجلى في كل ماينشر فيها .



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول ١٣٣٦ — ٢٢ الجدي (ش ١) ١٢٩٦ هـ ش ١٣ يناير ١٩١٨

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء الرمزي في سنغافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ماقول الاستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة — وفي حكم عملها بالحفر

أو القلم أو بآلة حبس الظل (الفوتغراف) غير مجسمة؟ هل هو جائز مطلقا أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل تقولون بحرمة ماصنع للعبادة والتعظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصا بالزمن المتقدم خوفا من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانسداد الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ماوجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاتهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم الاقتناء لها ولو لحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

افتونا على صفحات مناركم مأجورين ، ولا زلتم قبلة الافادة وللصواب موفقين ، وبامداد الله معانين .   — حرره في سنقفوره —   د ه ن

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة و قتضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها وملخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فنعتمد في النقل على ما ورد فيه فنذكره بغير عزو اليه غالبا ونعزو ما ننقله عن غيره لزيادة فائدة فيه ونعتمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نعرفها لذلك ولا مثاله، وان نقلنا شيئا عن كتاب آخر نعزوه اليه

﴿ الاحاديث الصحيحة في التصاوير والمصورين ﴾

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبوالضحى واشتهر بكنيته) قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (*) تماثيل فقال سمعت عبدالله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول« ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون» وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى فقلت لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

(*) الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء كالظلة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل بفناء الدار أو المسجد وعن الليث انها مكان كالبهو مظلل مستطيل

٢ — عن ابن عمر (رض) ان رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم »

٣ — عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال إني أصور هذه الصور فأفتني فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصوّر في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فتعذبه في جهنم » وقال فان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر ومالا نفس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات ان السائل رجل من أهل العراق أراه نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي ، وانه عندما ذكر له الحديث انتفخ غيظا فرخص له بما ذكر . ونص المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » قال الحافظ بن حجر وفي رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يلج الجمل في سم الخياط) وكذا قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجيز لا من تكليف مالا يطاق . وانه استشكل في حق المسلم لانه يدل على الخلود وانه يتعين تأويله بارادة الزجر الشديد وأن ظاهره غير مراد . ه ماذكره الحافظ ملخصا . وأقول الاولى ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يعبد لعبادته كما يعلم مما يأتي

٤ — عن عمران بن حطان ان عائشة (رض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب لا نقضه

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي به ما كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره، ونقضه أزاله ، والازالة تكون بنحو الطمس والحك و اللطخ والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث للترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي تشترك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

٥ — عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا يصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة »

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق » الخ رواها مسلم . وفيها ان الدار دار مروان وفي رواية له : تبنى لسعيد أو لمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى يخلق ذوات ماثلة لا نقوشا في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا إن صنع التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا « ذهب يخلق » بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : يضاهون بخلق الله ، وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وانما يكون هذا بالقصد .

٦ — عن ابن عباس عن أبي طلحة (رض) قال قال رسول الله (ص) « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير »

٧ — عن عبد الله بن عمر قال : وعد جبريل النبي (ص) فراث (أي أبطأ) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقيه فشكا اليه ما وجد فقال « إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديثي عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال « ياعائشة متى دخل هذا الكلب ههنا ؟ فقالت والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر الصور ، وفي الاول انه رأى الكلب عرضا ولم يكن عالما بوجوده وفي الثاني انه كان عالما به وتذكره بعد ابطاء جبريل . وفيهما الخلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السرادق وقال النووي أصله عمود الاخبية والمراد به في الحديث بعض حجال البيت فيطابق حديث عائشة اه بالمعنى . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

« أتاني جبريل فقال أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فمر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) واذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان تقطع رءوسها وما ان تجعل بسطا توطأ » والنضد بفتحتين ما ينضد من متاع البيت يجعل بعضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سرير وغيره فهو يطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج فلقي جبريل خارج البيت وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرحت عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بعد رؤيته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه . وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتعدد الوقائع ، وعليه يترجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولا فعلم منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره لعلمه مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم أن النبي (ص) لم يكن يعلم سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « منعني الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) النهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قال الخطابي ان الامتناع خاص بما نهي عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد وخالفه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

٨ — عن أنس (رض) قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي (ص) «أميطي عني فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» أميطي أي نحي وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم « أزيليه »

٩ — عن عائشة (رض) قالت : قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله (ص) هتكه وقال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت فجعلناه وسادة أو وسادتين

وفي رواية للبخاري في المظالم قالت فاتخذت منه نمرقتين فكانتا في البيت يجلس عليهما. وفي رواية لمسلم فجعلته مرفقتين فكان يرتفق بهما في البيت . وفي لفظ أحمد : فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئا على إحداها وفيها صورة . والنمرقة والمرفقة الوسادة كما سيأتي

١٠ — وعنها انها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل (قالت) فقلت أتوب الى الله مما أذنبت . قال « ما هذه النمرقة ؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها، قال « ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور » وفي رواية مسلم « اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها . والفقرة المرفوعة منه « ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة »

١١ — وعنها قالت : قدم النبي (ص) من سفر وعلقت درنوكا فيه تماثيل فأمرني أن أنزعه فنزعته ، هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم : وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخيل ذات الاجنحة. وفي لفظ آخر عنده : دخل النبي (ص) علي وقد سترت نمطا فيه تصاوير فنحاه فاتخذت منه وسادتين. وستور الدرنوك والنمط جنس واحد كما سيأتي

١٢ — عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجهني الصحابي) عن ابي طلحة (زيد بن سهل الانصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال « ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة » (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فعدناه فاذا على بابه ستر فيه صورة (وفي نسخة صور) فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر) : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الاول ؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال « الارقما في ثوب » قال الحافظ :في رواية عمرو بن الحارث:

فقال انه قال «الا رقما في ثوب» الاسمعته ؟ قلت لا، قال بلى قد ذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

١٣ — وروى مسلم وأبوداود عن زيدبن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل » قال فأتيت عائشة فقلت ان هذا يخبرني ان النبي (ص) قال لاتدخل الملائكة ... » الخ فهل سمعت رسول الله (ص) ذكر ذلك؟ فقالت لا ولكن سأحدثكم مارأيته فعل — رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أوقطعه وقال « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » قالت فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب ذلك علي

قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آنفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر النووي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، هذا هو الصحيح . ثم رد على من حرمه

وأقول : الظاهر أن هذا الحديث معارض لتلك الاحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه ، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بعد رسول الله (ص) فالمسألة مشكلة من هذا الوجه . ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو الثامن مما أوردنا) ففيه أنه (ص) أمرها بإماطة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته ، فعلة الامر بازالته أنه يشغل نظر المصلي اليه، وجماهير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى مايشغل المصلي، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها . ومثله حديثها في الدرنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح بالعلة . ومثله حديثها عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة . وأما حديثها في القرام (وهو التاسع) وحديثها في النمرقة (وهو العاشر) فهما صريحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة . وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطير والخيل وهي التي أنكرها . ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة ، وهو

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدث كل ما علمته في المسألة ؟ وهل يعقل ان ينكر النبي (ص) على عائشة عملا عملته في بيته فتزيله بأمره ثم تعود الى فعله ؟ كلا ان الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم نر لاحد من العلماء قولا شافيا فيها

والذي نراه أقرب الى الوقوع ان عائشة كانت علقت على الجدار سترا فيه تصاوير للزينة فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد الى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لان الثياب لستر الابدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل ان يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بازالته بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا واضاعة للثوب وان عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلا منهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل ان يكون الحديثان في واقعتين علل الانكار في الاولى منهما بشغل النظر في الصلاة وان الستر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تنكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الوقعتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالاقرب انها في واقعة واحدة كانت بعد ما تقدم ، وانها علقت النمرقة في غيبته اذ كان مسافرا فلما عاد ورآها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها الا ان الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمعنى . ومن الاول القرام والنمط والدرنوك والنمرقة والوسادة والمرفقة (* ويدل على هذا الجمع قولها : أتوب الى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه نقوش وتصاوير . وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به . والنمط قال النووي في شرح مسلم المراد به هنا بساط ليف له خمل . والدرنوك بالضم كعصفور ثوب غليظ له خمل اذا فرش فهو بساط واذا علق فهو ستر . والنمرقة بضم النون والراء — وكسرهما لغة كاب — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرحل تحت الراكب لانها وتتوسد أيضا فتسمى وسادة والوسادة بتثليث الواو المخدة التي تتوسد في النوم أي يوضع عليها الرأس وتسمى مخدة بكسر الميم لانها يوضع عليها الخد عند النوم . وتسمى مرفقة ومرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لانها يوضع عليها المرفق عند الاتكاء فاختلاف الاسماء لاختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلولا النهي السابق لم يكن تعليقها النمرقة ذنبا تتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح انها قالت : فما أذنبت . ولعل هذا غلط من بعض الرواة

١٤ — عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) اذا دخل يتقمعن منه (أي يستترن) فيسرّبهن (أي يرسلهن) اليّ فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات — كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) ويرده ما أخرجه ابن عيينة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جواري يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير عن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن اللعب . أخرجه أبو عوانة وغيره . وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر — فذكر الحديث في هتكه الستر الذي نصبته على بابها قالت : فكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال « ماهذا ياعائشة ؟ — قالت بناتي ، ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان فقال « ما هذا ؟ قلت فرس ، قال « فرس له جناحان ! » قلت ألم تسمع انه كان لسليمان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعب غير الآدميات اه

١٥ — عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) — أي مرض مرض الموت — ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجنائز وأخرجه مسلم في المساجد

= وقد كان يختلف المسمى بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد تحديد معناه أنه شبه كيس من نسيج يوضع فيه نحو قطن أو صوف أو ليف ويخاط عليه . ومنه مايصنع أولا وبالذات للنوم ومنه مايصنع للاتكاء أو الجلوس . ثم يستعمل لغير ذلك عند الحاجة

﴿ أقوال العلماء في فقه هذه الاحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن مانصه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب الى ان الصورة التي تمتنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه هي ماتكون على هيئتها مرتفعة غير ممتهنة . فأما لو كانت ممتهنة أو غير ممتهنة لكنها غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة الماضي قبل (وهو التاسع مما نقلناه عن البخاري) أن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي فيه صورة ان كانت رقما في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . ويجمع بينهما بأن يحمل حديث عائشة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا ينافي الكراهة . (قال الحافظ) قلت وهو جمع حسن لكن الجمع الذي دل عليه حديث أبي هريرة أولى منه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث النمرقة : قال الرافعي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قال الاكثر يكره وقال أبو محمد يحرم . فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهليزها لا يمتنع الدخول . قال وكأن السبب فيه ان الصورة في الممر ممتهنة وفي المجلس مكرمة . (قلت) وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما لا فرق اه

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب فقيل هو على العموم وقيل هو خاص بملائكة الرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثنى منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا نقل عن ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النهي بعهد النبي (ص) لان الوحي انقطع بعده وبانقطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في الصفة أي لاتدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كلب فيه

(٥) قال الحافظ : وأغرب ابن حبان فادعى ان هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس » — قال — فانه محمول على رفقة فيها رسول الله (ص) اذ محال انّ يخرج الحاج والمعتمر لقصد بيت الله عز وجل على رواحل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لاتدخل المكان الذي فيه التصاوير مع قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) وقد قال مجاهد كانت صورا من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزا في تلك الشريعة وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هيئتهم في العبادة ليتعبدوا كعبادتهم ، وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شريعتهم حراما ثم جاء شرعنا بالنهي عنه . ويحتمل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذات الارواح ، واذا كان اللفظ محتملا لم يتعين الحمل على المعنى المشكل ، وقد ثبت في الصحيحين حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير وانه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فان ذلك يشعر بأنه لو كان جائزا في ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر الخلق ، فدل على ان فعل صور الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اه

أقول: لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل الاشكال أن وجود التصاوير في مكان ليس مانعا ذاتيا لدخول الملائكة فيه ، اذ لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم واحد وانما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضره ونفعه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذه إياها في مبانيه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه بالمشركين مذكر بعبادتهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن العجيب أن يذكر الحافظ في تعليل ما كان يعمل لسليمان انه كان يعمل

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وغيره ان أصنام قوم نوح وأوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان أسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيسة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور والتماثيل فكانوا يجعلون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) بها ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقوادوالوالدين والاولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فمن العجيب أن يغفل المستنبط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيسةالمصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ماذكره قبله

وقد وقع مثل هـذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها فحمل النهي عن ذلك في الاحاديث على مالم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاعة للمال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياسا على أستار الكعبة!! وهو قياس مصادم للنص مبطل له نافض لعلته ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد انما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والتمسح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود — وهو الاول مما أوردنا — عن الخطابي أقدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عقوبة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يفتن وبعض النفوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اه

أقول : التعليل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

المحققون ، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع الا نادرا فلا يبنى عليه مثل هذا الوعيد الشديد ، وانما يظهر وجهه اذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول . ومن العجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسرور به مذموما شرعا ومقتضيا لتحريم الاستمتاع به وان لم يترتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية . فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات ، والجنات معروشات وغير معروشات ، وجمال رياض الازهار ، ومحاسن حدائق الاشجار ، وسماع خرير المياه ونغمات الاطيار ، وغير ذلك من صنع الله (الذي أتقن كل شيء « الذي أحسن كل شيء خلقه) وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغيرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد نقل ما تقدم عن الخطابي : وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل . فلا يلزم من كون المصور أشد الناس عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة . هكذا ذكر الشريف المرتضى في [illegible] بالآية المشار اليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلهذا ارتضى التفرقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة . وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون » وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك ، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية للحديث — اهـ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول : كان يمكن لابي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يجعلون لله تعالى صورة مماثلة لصور بعض المخلوقات ، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير « من أشد » ويقضي بذلك من جعل التصوير ككفر آل فرعون مشاركا له في مثل عقابه ، ومعلوم من أصول الشريعة

المجمع عليها أن ماورد النص بتسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاندة رسله ككفر آل فرعون ، اذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم جرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفر ولا يعذب صاحبها أصلا ، فكيف يجزم بأن المصورين أشد الناس أو من أشدهم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فالامر فيه دون ذلك ، ولا سيما على قول من فرق بين العذاب والعقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد الفقهاء تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جزما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور فقال : حاصل مافي اتخاذ الصور انها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقما فأربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « الا رقما في ثوب » الثاني المنع مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الاجزاء جاز — قال وهذا هو الاصح — الرابع ان كان مما يمتهن جاز وان كان معلقا لم يجز اهـ ونوزع في دعوى الاجماع فيما له ظل واستثنى الجمهور لعب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا

(١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرنوك : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت مما لا ظل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي ، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل وما لا ظل له ، فان كان معلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيما نقله النووي (منها) حكاية ابن العربي تحريم ماله ظل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لعب البنات ، وان القرطبي حكى فيما لا يتخذ للابقاء كالفخار قولين أظهرهما المنع ، وجعل الحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار وبلعب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين »

(١١) قال النووي : وذهب بعض السلف الى ان الممنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعقبا للنووي) قلت المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء . ففي اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بعموم قوله « الا رقما في ثوب » فأنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشاء وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مركبا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تعليل الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة وكان من أفضل أهل زمانه، وهو الذي روى حديث النمرقة فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة مااستجاز استعمالها .

ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتهن لافيما كان منصوبا ونقل عن جماعة من علماء السلف القول بذلك ، منها ماروى عن عكرمة : كانوا يكرهون مانصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بما وطئته الاقدام ، وما روي من طريق عروة انه كان يتكئ على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اه

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقه بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا وممن أخذ عنه الزهري وربيعة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيي بن سعيد الانصاري : ماأدركنا بالمدينة أحدا نفضله على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : مارأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ؛ وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، وقال أيوب السختياني : مارأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللعب : ان اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وانما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لان عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيترجح رواية من قال في خيبر ويجمع بما قال الخطابي لان ذلك أولى من التعارض . اه

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لعب البنات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصواحبها على اللعب بها وان كن غير بالغات ولما تركها في بيته . والصواب أن هذه اللعب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور المعلقة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائد والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتماثيل

(١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنيسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث لعن أهل الكتاب لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد فاذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تنبش قبور المشركين : وانما فعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اه

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المسجد على القبر : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا، وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اه

ويعني بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم اه

(للفتوى بقية)

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فألفينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فنزلنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والاجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة ويصعده كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

واني بعد كتابة ماتقدم من وصف عرفات اطلعت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الآدمي — وهو من رؤس الاصابع الى المرفق — والذي يتراءى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لايسع مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال ، وجبل الرحمة يرى في المساء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قنته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مبلط بالحجر مربع في نحو عشرين مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كنار للطريق اهـ وأقول ان هذا منار لا كالمنار ولا يشترط في مسمى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثنائه نور وانما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس، المحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة غاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الارض، ملبين داعين، باكين خاشعين، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم ، الناشئة عن اختلاف لغاتهم، يرددون الاذكار المأثورة بالعربية ، ويدعون الله ماشاؤا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمد لبيب بك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف :
عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحملين (أي المصري والشامي) بخيامهم قريبا من جبل الرحمة، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجيج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبنيان المرصوص . أما باقي الحجيج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدحم اليه الناس حتى لاتكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجمالهم وحميرهم مربوطة بجوارهم، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتعذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية [أي أمكنة متحاذية كالصفوف] يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجيج وجمالهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جمالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، — لكان له شكر الله و الملائكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي مايضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ، لان هذا التزاحم انما سببه التقرب من مجرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، وبسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكنتهم

اذا تركوها لامر مّا ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألفاظ اصطلح عليها أهل كل جهة حتى اذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عالٍ وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لاتكاد تنقطع مدة الاقامة بعرفة . اه وأقول، اننا لم نشاهد شيئا من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ماقلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجه — وهي سنة ٥٧٩ — لاشبيه له الا الحشر، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « أنهم لم يعاينوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وانه مارؤي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عزوجل في الرحمة متضرعين، والتكبير قد علا، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع، فما رُئِيَ يوم أكثر مدامع ، ولا قلوبا خواشع ، ولا أعناقا لهيبة الله خوانع خواضع، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تلفح وجوههم الى أن سقط قرصها وتمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السرو اليمنيون مواقفهم بمنازلهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ فجدّ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لاتتعدى قبيلة على منزل أخرى، وكان المجتمع منهم في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله، وكذلك وصل الامير العراقي في جمع لم يصل قط مثله، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين، ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الامراء كثير ومن سائر العجم عدد لايحصى، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في النفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب، ومن السرو اليمنيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعًا ارتجت له الارض ورجفت الجبال، فياله موقفا ما أهول مرآه، وأرجى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه، ونعمده بنعماه، انه منعم كريم حنان منان » اه المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زرت في أثناء النهار الامير الشريف مع بعض الاخوان فجئت سرادقه راكبا فرسا لبعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي بقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هنالك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها لكثير من الناس: رأيت في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ انني في مكة المكرمة ومعي رفيق لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وبينا أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المعظمة رأيت الشريف حسينا أمير مكة جالسا أمامي من جهة يميني قريبا مني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس إماما، فالتفت الي من جهة يساره وقال لي أبطأت علينا إننا منذ زمن ننتظر قدومك الينا . وبعد أن خرجنا — ولم أره صلى ولا اننا صلينا معه — رأيت معي بعض رجاله واننا ذاهبون بأمره الى أحد دوره — أي غير دار الامارة — لأكون فيها ضيفا عليه ، وبينا نحن نسير غربا جنوبيا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء غزيرا صافيا مندفعا بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة دافعة كالكهربائية أو البخارية . ورأيت في الطريق داراً جديدة ممتازة بين دور مكة ببياضها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الامير

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد تحيا به مكة ويمتد الى سائر الجهات كامتداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي رفيق ، وأنني كنت ضيفا للامير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ؛

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا بيضاء قيل لي انها دار حرم الامير الخاص ، وان الناس تحدثوا بأنه سيبايع بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في اليقظة على نحو ما رأيته في النوم الا في عرفات ، فالمجرى المبني وطوله وامتداده يشبه الذي رأيت الا ان سرعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون مارأيت في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلاها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لاكثر الناس شواغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأفكارهم . منها ضروريات الاكل والشرب ، ومنها رؤية المناظر الجديدة من تلك البقعة الجامعة لشعوب كثيرة مما يحيط بها من الجبال . فهذه المناظر تشغل كثيرا من الناس بصورتها وشكلها في أول العهد برؤيتها ، عن معناها وحكمة كون السير اليها والوقوف فيها عبادة لله تعالى . وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما اذا كان الحر شديدا ، فاذا جاء وقت العصر جمعوا متاعهم وشدوا رحالهم وفرغوا قلوبهم للذكر والدعاء وذهبوا عند موقف الخطيب من جبل الرحمة ، حرصا على سماع الخطبة ، أو للاشتراك مع الالوف من اخوانهم في التكبير والتلبية ، وقد بينا في المناسك ان الشرع لم يجعل لعرفة ذكرا ولا دعاء خاصا بل ترك ذلك للافراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح انه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي منى ومزدلفة وعرفة . ودعا الى ناقته بعرفة رافعا يديه ولم يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعائه واستحب العلماء ذكرا ماورد في الضعف كقول « لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وانه خير مايقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هنالك خطيب عرفة وهو نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام المناسك، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من في السفح ومن في بسيط عرفات كلها لأن الجبل مدرَّج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس الكبرى من المقاعد ذات الدرج المقوّسة التي تسميها الفرنجة (امفيتاترو) وكلما لبى وكبر الخطيب لبى من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أرديتهم البيضاء أو مناديلهم ويتبعهم في التلبية والاشارة كل من هنالك من قمة الجبل الى سفحه، فيلبي سائر الناس ويكبرون، فيتموج بأصواتهم الهواء ، وترتج الجواء ، حتى تصل الى عنان السماء، بل تخترقها حاملة ذلك الذكر والثناء، والضرعة والدعاء، الى من استوى الى عرشه المجيد، وهو أقرب الى عبده من حبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه، وما أصدق من شبهه بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه الى ربه ما لا يعهد مثله في وقت من أوقات حياته، يشعر — والناس محيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل، ولا يشوب خشوعه له وبكاءه من خشيته وسروره بمناجاته رياء ولا سمعة، بل لا يكاد يخطر بباله أن أحداً هنالك يرى أحدا . فما أعجب شأن هذا الاجتماع العظيم الذي يجمع كل من شهده بايمان وعرفان ، بين مزايا عبادة الخلوة وعبادة شعائر الاجتماع ، بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها الا من ذاقها

وقبيل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت المدافع ، وعزفت المعازف، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة، لاجل مبيت تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما ، وسار الرفيقان الكريمان والخدم معهما، وتفضل السيد الزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن معهم وعهدنا اليه أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويعبر عنه بالمبيت ، ورافقني هو فدفعنا معا على دابتين فقطعنا ذلك الطريق، في ذلك الوقت المعتدل اللطيف. ونحن نجأر الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، ولقد وصفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة ومكة ، وأين تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدئ بهذه العبادة — عبادة المناسك — الذي لم يذق منها الا طعم الاحرام والتلبية، و بين من شاهد بيت الله عزوجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات البينات ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة فامتلأ قلبه إيمانا وعرفانا، وانثنى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ المبيت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعها ﴾

الالمام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجعله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضعفة كالنساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيها ليلا للذكر الله تعالى وأما المبيت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك

نزلت مع السيد الزواوي بفناء مسجد المزدلفة فصليت هنالك المغرب والعشاء قصرا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكي شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النسك، والتحقيق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصير، وان الجمع في المشاعر أفضل للاتباع، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه و بين وطنه ستة عشر فرسخا إلحاقا له بالقصر (قال) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المكيين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أتموا فانا سفر » [1] ولو حرم الجمع لبينه لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم ببطن عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانصه : ويصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصراً ، ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحداً من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى «أتموا صلاتكم فانا قوم سفر» ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ. ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم، ولما رجع من عرفة رجعوا معه، ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر [1] ولم يحد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان، ولم يكن بمنى أحد ساكنا في زمنه ولهذا قال «منى مناخ من سبق» ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد اه

وذكر المحقق ابن القيم في الهدي النبوي مثل ماتقدم عن المناسك مختصراً وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر. وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لاهل مكة بالاتمام في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشك في الاميال والفراسخ شعبة لا أنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة

مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

---

(١) السفر بفتح السين وسكون الفاء جماعة المسافرين كالشرب جماعة الشاربين

باحضار دابتي في الصباح فنمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي رفاقا من خير الناس بت بجوارهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيا اسمه الشيخ علي مؤمنة ، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر احدى عشرة ركعة فلما أتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه صحنا فيه لوز مقشور وصحنا فيه هشة من الكعك المعروف بالقراقيش فأصبت من ذلك كله شاكرا لهم . وطفق كبيرهم يسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جليتها به من الشرح والتفصيل . وهذا الرجل بخاري الاصل يعرف العربية وكنت توهمت انه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد ، وقد فهمت انه مجاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها الى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الامرين أفضل في المناسك المشي أم الركوب فقيل المشي لانه أقرب الى التواضع وأعون على الدعاء ، وقيل بل الركوب تأسيا بالنبي (ص) فانه لم يفعل الا الافضل والا كمل ، ويمكن أن يقال ان الافضل لاهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الاقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق ببعض مشقة السفر وأن ذلك لا ينافي الاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنه وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنهما فكتب الي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة : ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة انه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول الى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد اربطة البخارية بحارة جياد لا يخالط أحدا ، لا يعرف ولا يعرفه، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي

ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجمع الحصا لرمي الجمار فلما جمعناها ركبت دابتي وسرت وسار أصحابي مشاة قاصدين منى

﴿ الافاضة الى منى ورمي جمرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة ملبين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الافاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبنية على سبب تاريخي هنالك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب. وتقدم ان بطن محسر بتشديد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويذكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب الفيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط لله تعالى وعذابه لاولئك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار ثمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجمرة الكبرى جمرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات نكبر مع كل حصاة. وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قال « اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا »

وبعد الرمي جئت الدار المعدة لنزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي لصديقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخرج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح عني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم يتيسر لي الاتيان بحلاق الى الدار لانني أريد الافاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس

ومتى شرع الحاج في رمي جمرة العقبة مكبرا تنقطع التلبية التي هي شعار الحج. ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومتى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له كل ماكان محرما في النسك الا ملامسة النساء فانها لا تحل الا بالتحلل الاخير بطواف الافاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منهما للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة الاهرام الذي صدر في ١١ ربيع الاول ان وزير خارجية الالمان الذي رأس الجلسة الاولى جعل الفرض من الاجتماع اعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب . وان الوزير الرومي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام « وخلاصته ان يكون الصلح بلا ضم ولا غرامة . وان يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الغاصبة من بلاده . واما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافة ذلك الشعب وجمعياته . وتعد حكومة روسية مواصلة القتال لتقسيم الشعوب الغنية الشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تغتفر »

ثم قالت الاهرام : « وقد جاءنا اليوم بيان أتم عن مطالب الروس (١) العدول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) اعادة استقلال البلاد التي اجتيحت (٣) منح كل عنصر الحق بان يختار الحكم الذي يريده (٤) تمادي عن ضرب الغرامة الحربية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات »

ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو « رغبة الالمان بان يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقررت دعوة مندوبي فرنسا وانكلترة وايطالية والولايات المتحدة الى المفاوضات »

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة الالمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص لنمسة ، ويرى هؤلاء ان ايعاز الاولى الى حكومة [البولشفيك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوهم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها يراد به اضطرار الحلفاء الى الإباء والرفض ويؤيد ذلك ماقاله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو : « انه قد حان الوقت لكشف الغطاء عن ألاعيب دولتي الوسط اللتين تبذلان كل وسيلة لشد عزائم شعوبهما ولتسويد صفحة خصومهما

بادعائهما انهما تريدان الصلح وان الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولكنهم يريدونه على شكله الممكن ان يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جلية صادقة . أما امبراطوريتا الوسط فانهما تتبعان خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا الى مواصلتهما على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لانها حكومة وقتية الى أن تجتمع الجمعية الدستورية ولان شطرا كبيراً من روسيا لم يعترف بها .

« هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فان مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول ان الشطرين الاولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا — اعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا — الجلاء عن الاراضي التي احتلت مع العدول عن الضم وانكم لترون ان في هذا القول ضلالا ففي الحقيقة ان الشطر الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لامم ليست منها لم يقبله الالمان والنمسويون . (وضرب لذلك مثل أمانيهم القومية والالزاس واللورين)

« ثم رغب الخطيب في بيان ضرر العودة الى الحالة القديمة لانه ليس في هذا القول ضمانة اذا ما قبل الشرطان اللذان قال بهما البولشفيك أولا لان امبراطوريتي الوسط أعلنتا أنهما لاتنويان ازالة الاستقلال السياسي من البلاد التي احتلتاها فلفظة « الاستقلال السياسي » لاتنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كالاستقلال الاقتصادي مثلا . ولانها لاتتضمن أيضا عودة المملكة المستقلة الى جميع أراضيها كاملة . أضف الى ماتقدم ان لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهمة لاتزيل الشكوك وما تضمره دولتا الوسط من المطامع فانهما تقولان انهما لاتريدان ضما بالقوة ومعنى ذلك انهما تنويان ضما بغير القوة . فمتى اذن يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟ والجواب على ذلك ان الامر معلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير الغازي أضف الى هـذا هل يعتبر الضم ضما عند مالا يمكن ذكر الضم بالقوة في المعاهدات الدولية . فالصيغة التي تعرضها دولتا الوسط صيغة مبهمة تحتمل الريب والشكوك وتدلنا على اننا لانزال بعيدين جدا عن المبدأ الاول الذي [illegible] كل ضم » اهـ المراد منه نقلا عن عدد ٤ يناير من الاهرام

وقد [illegible] البرقيات المنشورة بهذا التاريخ ان مفاوضات الصلح أوقفت لان

ألمانية تزعم أن شعوب الولايات أو الممالك الاربع التي انتزعتها من الروسية — وهي البولندية والكورلندية واللتوانية والاستونية — قد جهرت برغبتها في الانضمام الى ألمانية فيجب أن تكون ألمانية ، وان الروس ينكرون عليها ذلك وان وزير خارجيتهم تروتسكي خطب في اللجنة المركزية لحزب العمال والجنود فأنكر ذلك أشد الانكار لان اظهار الشعب الرغبة في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لروتر من لندن وردت في ٢ يناير ان اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قرارا بفحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصيرها والحكم في مستقبلها بتمام الحرية ونقول لشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذ كروا ان التعجيل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم فقد سالت دماؤكم وأصابكم الاعياء والجهد في حرب عديمة المثيل فلا تسمحوا لدعاة السلطة والفتح من النمسويين والالمان أن يحاربوا روسية الثورية لإخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(المنار) قد سبق فبينا في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ما قرره الروسية ورئيس الوزارة الايطالية اليوم في مسألة حرية الشعوب واختيارها لشكل الحكومة الذي ترضاه لنفسها . وبينا في الجزء الرابع — الذي قبل هذا — أهم مايشترط الحلفاء للصلح . وبعد كتابة ماتقدم واعداده للطبع جاءنا البرق بخطبة رئيس الوزارة البريطانية ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرح ما قاله الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصلح ويعد ناسخا لكل ما يخالفه ممن يسيد القول ما يقول الرئيس ه وسيعلم منهما حقيقة غرض الحكومة الالمانية وهل هي تريد الصلح حقيقة فيما تتخذه من الوسائل الصورية له كما قال ، أم تريد به ايقاع الشقاق بين أعدائها كما قال رئيس الحكومة الايطالية ، أو اقامة الحجة عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه الصراحة من الحلفاء تضطرها الى التصريح بشروط الصلح التي ترضاه فانها لم تصرح بشيء الا طلب حرية البحار . ونسأل الله تعالى ان ينصر الحق والعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم وقوة الاستبداد والاستعباد ويكشف عنها حجب الخداع والرياء ، ان ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا الى تأخير تتمة ترجمة الشيخ سليم البشري

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ — ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ش ١١ فبراير ١٩١٨

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تابع لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الاحاديث والآثار وأقوال العلماء في شرحها وفقهها ﴾

أما الاحاديث فتلخص في سبع مسائل

(١) ان المصورين يعذبون يوم القيامة و يكلفون إحياء ما صنعوا تعجيزا ووصفهم بالظلم الشديد لقصدهم مضاهاة خلق الله

(٢) لعن المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم انهم كانوا يصورون الصالحين منهم و يضعونها في معابدهم ووصفهم بأنهم شر الخلق

(٣) انكار نصب الستور التي فيها الصور والتماثيل وهتكها أي ازالتها

(٤) تعليل الانكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب

(٥) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائد ومرافق واستعمال النبي (ص) لها مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية الامام أحمد

(٦) ان تغيير الصورة الحيوانية بما تصير به أشبه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العراقي

(٧) نقض التصاليب وازالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فمنها) استعمال زيد بن خالد الصحابي للستر الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث « ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة الا رقما في ثوب » فهو لم يشترط ان يكون الثوب الذي فيه الصورة مهانا

(ومنها) اتخاذ أحد أعاظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) الحجلة التي فيها تصاوير القندس والعنقاء ، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة وأعلم الناس بحديثها وفقهها وقد روى عنها حديث النمرقة

(ومنها) استعمال يسار بن نمير مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره . وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن حبان

(ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي امارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الاول ومسلم عن الثاني وهو خير من الاول . وقد انتقد على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنبه به عملية سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها . وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج الا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكر ما رآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وأخبر ببعضها قبل وقوعها . وكذلك أنكر ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وافتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقهها فمنهم من شدد فيه ومن خفف ، واشهر المشددين من محققي الفقهاء في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وان كان الاصل ان ما حل اتخاذه واستعماله حل صنعه

وقال الاول : ان ما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذه بالاجماع، وبين الحافظ ابن حجر ان حكاية الاجماع غير صحيحة لتصريح الجمهور بحل لعب البنات لصحة الحديث بذلك ، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيما لا يتخذ للابقاء كتماثيل الفخار وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالفخار وبلعب البنات محل تأمل . وأقول ان تماثيل الحلوى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بقاء مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب البنات فالقول بحلها أظهر من

القول بحل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فحكيا في اتخاذه أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتهن دون ما كان معظما كالمعلق . وقد رجحا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المحققين بالاجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار ، ومذهب القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) ان ما لا ظل له لا بأس باتخاذه مطلقا فقد صح انه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حمل أبي علي الفارسي الوعيد بعذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى صورة كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وحمل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وحمل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاهما انه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة ، وخصصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٢٩ ومنتهى التخفيف قول بعضهم ان الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق ان الاصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق الا بالقصد وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الحظر وهو كما يؤخذ من حديث كنيسة الحبشة ومما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هو سد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لا فرق بينهما البتة . فيأتي فيه ما قاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من جزء المنار الماضي : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يصنع بالقبر كما صنع أولئك الذين لعنوا . وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اهـ

ويمكن أن يقال ان سد الذرائع يختلف باختلاف الازمنة وباختلاف أنواع الصور

ولما كانت التماثيل والصور المعظمة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس اذن ابن عباس (رض) للمصور الذي استفتاه بتصوير الشجر وما لا نفس له . ولما صارت صور ذات الانفس لمجرد الزينة وزالت مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض الصور في بيوتهم كما ترك الصحابة الصور في ايوان كسرى . ولا نقول ان ذريعة تعظيم الصور تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علة التحريم انتفت كما قال من جعل التحريم كالمنسوخ لجعله خاصا بالعصر الاول ، اذ لا شك في أن تصوير الانبياء والاولياء وكل من يغلو في تعظيمه العوام أو اتخاذ تماثيل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا نظائر ذلك في تعظيم قبور الصالحين الذي جاء مصداقا لحديث الصحيحين « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » الخ ولكن الناس شددوا في سد ذريعة عبادة الصالحين بتعظيم صورهم وتساهلوا في سد ذريعة عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد عليها والطواف بها والتماس جلب النفع ودفع الضر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها .

ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور وتجصيصها وحظر اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بجعلها في البيوت والستور ونحوها — يتجلى له أن علة النهي عن الامرين واحدة، ألا انها في القبور أشد وأعم؛ وقد جمع الامر بازالتهما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) « أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته » وفي رواية : أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته » باسناد الافعال الى ضمير المتكلم أي بعثني على أن لا أدع الخ . وطمس التمثال محو صورته التي يشبه بها الحي، ويحصل بتشويهه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه عن صفة المعظم عبادة. وأما تسوية القبر فازالة امنه لان المراد بها تسويته بالارض أي جعله مساويا لها . ولكن أجاز الفقهاء رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي (ص) وصاحبيه (رض) . وقدر بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة أصابع ، نقله الحافظ في الفتح والظاهر انه اعتمده — وقال الشافعي في الام : ورأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى . قال النووي عند نقله في شرح مسلم ويؤيده

الهدم قوله « ولا قبرامشرفا الا سويته » اه

وأما الخلف من العوام والحكام فخالفوا جميع الاحاديث والآثار في المسألة الاولى ولكنهم ظلوا يشددون المسألة الثانية الى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا يتساهلون في أمر اتخاذ التصاوير للزينة وللانس بصور الاقربين والمحبين وصار العلماء يسمحون للمصورين بتصويرهم حتى أكابر شيوخ الازهر وقضاة الشرع والمفتين، ولكنهم لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة اليها في غير ما تساهل الجمهور في اتخاذه من أعمالها

سألني بعض العلماء البصراء في طرابلس الشام مرة عن التصوير اذ قال انه يعد الآن من أركان العمران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعا فان ما فتن به الناس من زينة التصاوير ليس بالامر النافع الذي رخص في هذه الصناعة لاجله ولو في غير ما تخشى عبادته أو تعظيمه تعظيما دينيا ؟ فقلت له لى البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في حصر فوائد التصوير : إن له أنواعا من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون وفي الاعمال العسكرية والادارية والسياسية وذكرت له من الامثلة على ذلك ما يأتي

(١) اننا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الاشياء كالنبات والحيوان وغيرهما غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان معروف أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتفي بحرف م المختزل من كلمة معروف وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة، ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل قدماء المصريين وكما تفعل أمم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا يغني عنه الوصف بالكلام لان بعض الاجناس تتشابه فلا يسهل التمييز بينها بالقول بل يتعسر أو يتعذر وصف أي جنس من أجناس المخلوقات وصفا يمكن أن يعرفه به كل من سمعه

(٢) يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الاحكام الشرعية كأحكام ما يحل أكلها منها وما لا يحل وأحكام جزاء الصيد على المحرم وغير ذلك

(٣) ان للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعي والطب والتشريح الانساني والحيواني وفروع هذه العلوم قد صارت كثيرة في هذا العصر، ويتوقف ايضاح الحقائق فيها تأليفا وتعليما على الصور التي تظهر بها جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة

صحيحة ومريضة فاتقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) للتصوير فوائد عظيمة في الاعمال الحربية، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا ان يعد لهم ما استطاع من قوة — فنها تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والذخيرة ، ومنها تصوير من يشتبه في أمرهم ان يكونوا عيونا وجواسيس وتقتضي الحكمة ان يجعلوا تحت المراقبة . ومنها تصوير من يحتاج الى تحقيق شخصيتهم لئلا يشتبهوا بغيرهم ...

(٥) للتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والادارية كأعمال الجواسيس وحفظ الامن وغير ذلك وتفصيل ذلك يطول .

لا يقال ان المسلمين يمكن ان يستغنوا عن صناعة التصوير في التعليم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى سلفهم فان هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوائية كما استغنى عنها سلفهم ، وانما كان يصح هذا التشبيه لو كان ماذكر من المستحدثات موجودا في عصر السلف يستعمله خصومهم وهم يتركونه ولا يضرهم تركه . وهذا باطل لا يقول به أحد .

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصاوير تذرع الى عبادة غير مشروعة ولا الى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما ان يؤخذ فيها بقول من يجعل الوعيد على التصوير خاصا بما ذكر من أول الامر كتصوير الصالحين ومن يخشى ان يفتتن الناس بصورهم وتماثيلهم وبما يقصد به مفسدة أخرى كالتحريض على المعاصي وهتك العورات ، واما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجحة في بعض آخر ، فان القاعدة في المحرم لذاته ان يباح للضرورة كأكل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد الذريعة ان يباح للمصلحة الراجحة كرؤية الطبيب للعورات وأبدان النساء الاجنبيات عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين .

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والعسر عن الامة ، لم يكن ليحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال ، ويحتاج اليها في حفظ الامن

وفنون القتال ، وانما يحرم مافيه مفسدة أو ماكان ذريعة الى مفسدة ، ولا يبعد ان يقال ان أعمال المصورين في هذا العصر تعتريها الاحكام الخمسة — فاذا سألنا رؤساء الحكام وكبار القواد وأركان الحرب والاطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا ان منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم، ومنها ما فيه مصلحة راجحة، ومنفعة مجربة — فمقتضى الاصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح. ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع، ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع، ومكروهة فيما كان مظنة الضرر ، وقد يناقر بما ماتكون فيه محرمة وهو ماحمل عليه النص، فهذا ما أعلمه وأفهمه من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد ما نقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولا وعملا ، والله أعلم

رحلة الحجاز

٧

طواف الافاضة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطفت طواف الافاضة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الامير يصلي معهم مأموما . وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وهن كثيرات جدا ، ثم سعينا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سعيت في هذه المرة ماشيا . وقد اختلفت الروايات: هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ ففي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل عرفة ، وفي حديث عائشة انهم طافوا مرتين أي عند القدوم وبعد طواف الافاضة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابر وقالوا ان ماذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامها ، فمذهب المحدثين ان السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء إن لكل نسك سعيا لا يسقطه السعي بعد طواف القدوم، وأن السعي للعمرة لا يغني عن

السعي بعد طواف الافاضة للحج . ولم يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا بمنى كما انه لم يصل الجمعة بعرفة لانه مسافر ولم يكن يصليهما في السفر، وقال بعض العلماء ان رمي جمرة العقبة للحاج كصلاة العيد لغيره فصلاة العيد لا تطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو حجات كثيرة

هذا واني بعد الطواف والسعي جئت منزلنا بمكة واستحضرت حلاقا فأخذ شعر رأسي كله بالآلة المعروفة بالمكنة أخذا أقرب الى الحلق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد تحللت من الحج تحللا كاملا ، ولله الحمد أولا وآخرا، واياه نسأل أن يجعله حجا مقبولا وسعيا مشكورا . وقد بقي من أعمال الحج التي لا يشترط فيها الاحرام—

رمي بقية الجمار وذبائح النسك

الجمار بالكسر والجمرات بالتحريك جمع جمرة وهي في أصل اللغة واحدة الجمر من النار، والحصاة، والقبيلة التي تصبر لقراع القبائل، وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدا ولا ينضمون الى أحد . قيل سميت جمرات المناسك بمنى بهذا الاسم لانها ترمى بالجمار أي الحصى وقيل لانها مجمع الحصى التي ترمى شبهت باجتماع القبيلة على من ناوأها . وقال أبو العباس أصلها من جمرته ودهرته اذا نحيته ، والتجمير رمي الجمار والمجمر (كالمعظم) موضع رمي الجمار . فأما جمرة العقبة فهي في عقبة منى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق ، وأما الجمرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواقعهما من صورة منى (خريطتها) وفي موضع كل من الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المنارة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حظيرة مستديرة، وكانت دارنا عند الجمرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هنالك .

وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكمته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذبائح النسك . وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فنأخذ حاجتنا لبومنا ونتصدق بالباقي . وقد كانت الذبائح في السنين الخالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الاعراب لكثرتها وأما في هذا العام فهي لا تكاد تكفي فقراء الحرم

الحالة السياسية فى الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

أتممنا بفضل الله مناسكنا ، فنحمد الله تعالى ونسأله أن يتقبل منا ، وإذ فرغنا من حديث المناسك . فيحسن أن نتم فوائد هذه الرحلة بما يمكن بيانه الآن من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية، التي تعد من أعظم الاحداث التاريخية، ثم ببعض الطرف الادبية، من المختارات الشعرية، ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول :

لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا اللاجئون اليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ،اختلفت آراؤهم فيما ينتظر أن تكون عليه،وما ينبغي أن يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن ، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكاشفوني بآرائهم ويتعرفوا رأيي «والمستشار مؤتمن» ففعلوا . ومما يعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجول في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجول في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

علمنا يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة. على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه:

(الحكومة العربية الجديدة)

« ما أزفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظت دار الحكومة بأكابر العرب وعليتهم انتظاراً لتشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الامير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصوصة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا المليك المعظم الى حضرة العلامة المفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً للقضاة ووكيلا لرئاسة الوكلاء وتعيين زملائه حضرات الوكلاء العظام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتعين بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤلية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما نحققناه فيكم من الكفاءة والاستقامة ، عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلا عن رئيس الوكلاء العظام ، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلا عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكيلا عن وكيل رياسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكيلا للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلا للمنافع العمومية ،والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلا للاوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكلما يتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلا للمالية . وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على ما يرضي الله ، واننا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه وهداه ، في كل ما يحبه برضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ ه   شريف مكة وأميرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه :

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الأعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استنسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدوائر

والدوائر الرسمية وإبداء الرأي فيما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء وسيقرر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشيبي . وأعضاءه حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح الزواوي ومفتي المالكية الشيخ عابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشيبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي دوكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبدالله علي رضا والشيخ علي بن عبدالله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان بن أحمد بن سعيد وناصر ابن شكر ولتبليغهم ماذكر اقتضى تحريره ؟ في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

اه مانقل عن جريدة القبلة شريف مكة وأميرها

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلهم الشاغل وكانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة ثامن الشهر شيئاً جديداً في تعيين شكلها، واستحسن بعض الاخوان الذين رأوا مارأوا من اكرام الامير مثواي أن أطلب الشرف بمقابلة خاصة أتوسل بها الى عرض ماعرفوا وحمدوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت ، نلت الحظوة في أول الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة ، وتوسلت بذكر ماتم من تأليف مجلس الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ فتفضل الامير بتواضعه المعهود قائلا : هذا ما نحب ان نأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي ، مفصلا تفصيلا ، ولكنني لم أسمع كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار ، ثم استأذنت وانصرفت .

قلت ان جمهور الناس من المكيين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسمعوا يوم الجمعة شيئاً جديداً فلم يسمعوا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على مقربة من المنبر يلقون السمع الى الخطيب عند الدعاء ، فسمعوه بآذانهم يدعو للسلطان محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ما كانوا يتوقعون من المبايعة بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مازال من الظنون والاوهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المبايعة يحتمل أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سرادق الامير ، ذلك بأن العادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهنئة الامير الشريف بالعيد وإتمام المناسك فكان يحضر لديه والي الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والعلماء وكبراء رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج و يتلى الفرمان السلطاني الذي يعهد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إقامة الحج وحفظه في الحجاز ... ويخلع الوالي على الامير الخلعة السلطانية .

ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك الاصحاب للمذاكرة في الامر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا عليّ أن أذهب الى مخيم الامارة لاكتشاف الحقيقة إذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرفاء مكة ووجهاءها يرون وجوب المبايعة بالخلافة وإن سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك ويرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الاقطار، وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان منزلنا بعيدا عن مخيم الامارة وكان الاخوان يعلمون ان الامير لا يسهر كثيرا جاءوني بجواد كريم فركبته وأسرعت الى السرادق الخاص فقيل لي إن سيدنا قد نام وسألت عن نجله الامير عبد الله فقيل انه قد نام أيضا، فعدت أدراجي الى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا الى مضاجعنا .

بت ليلتي أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال النسك ما يشغل قلبي عنها، وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله، وقد أكبرته لذلك، وكان أعجبني من منشوريه الاولين جعل عداوته لفئة الاتحاديين المتغلبة لا للشعب التركي ولا للدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدها - وكنت أرى ان مبارزته العداوة للفئة المتغلبة قد يقف بغي زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من الموبقات التي هي شر لدولته وكذا لجمعيته لا خير لها كما توهم، وان نفع الحركة الحجازية محصور في هذه الفائدة المرجوة ، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والملكة المخيفة، وفي الاحتياط لما يجب اذا سقطت الدولة، وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يربي شره على خيره، وكنت أشرت الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاورة الذي نشر في المنار قبل الحج وقبل العزم عليه

ذلك ما بت أفكر فيه، ولما أصبحنا أسرع الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألفيت سرادق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولو لم يرني بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجم الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رآني من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أخلي لي فيها، وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصائد في التهاني والادعية، فرأيت أن ألقي خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار ، والآراء التي أنتجتها تلك الافكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفاقيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنهت معرفتهم وانكارهم، وأذكر مالدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسعه المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل مجيئي استأذنت فأذن لي فقمت وقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

. وكل مايوضع فيما بين الاهلة هكذا ( ) فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية في منى

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، انكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقيم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتابه المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره، وكان أهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

الامم باقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعوا له نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الافرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الاسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافلة لها، وتغلغل الاعاجم في الدول الاسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة . فبعد أن كانت الفتوحات الاسلامية في مد لاجزر معه، صارت دول الطوائف الاسلامية بين مد وجزر، وقوة وضعف، حتى وصلت الدولة العثمانية منها الى درجة عالية، ومكانة سامية، من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعا واختيارا، كما دخل بعضهم تحتها اضطرارا، وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب الى جلالة مولانا الامير) في مقدمة من أيد هذه الدولة واعترفوا بسلطتها وسيادتها، لاجل جمع كلمة المسلمين بها واعلاء شأن الشريعة الاسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا للخطيب صدقت)

ثم ان هذه الدولة قد سرى اليها الضعف ودب اليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون. وانني أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونيف

ان محمد علي باشا الذي كان واليا للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها، ثم على الاناضول فتوغل فيها، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع الى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها . وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يعد مصلحا في الدولة ومجددا لها بقضائه على عسكر الانكشارية المختل وادخاله نظام الجندية الاوربي في الدولة

تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ فخلفه السلطان عبد المجيد الذي صرح في خطابه عند اعلان « التنظيمات الخيرية » في كلخانة بأن الضعف والخلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده . ولكن ذلك النظام لم يعد الى الدولة قوتها، ولا أنقذها من الخطر الذي كان يخشى عليها. ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلعوا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه الى بخع نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلا دون اصلاح الدولة وتجديد شبابها . وولوا بعده السلطان مرادا ولم يلبثوا أن خلعوه في تلك السنة وولوا

بعده السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدهم على العمل بالقانون الاساسي الذي قلدوا فيه الدول الاوروبية ظنا منهم بأنهم لا يمتزون الا بما اعتزت به من الحكم النيابي

وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عندكم لان العهد بها قريب ، وقد خلعته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته ، وتولت الجمعية السيطرة على الدولة بعده ، فماذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين العظام الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ؟ كلا ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلانيك وشركاؤهم في النمسة وألمانية أقوى أنصارهم ولذلك نرى أكبرهمهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيغاروا عليه ، بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

واذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم

ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلغار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في شطلجه تمزق مسامع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤم من الممالك مالم تخسر مثله في عدة أجيال : خسرت البوسنه والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها اياها لايطالية ، ومكدونية وألبانية وكريت وجزائر الارخبيل ، ونسكت عما خسرته في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين ، وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الامة ، فأفقروها كما أفقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الغيورون المبصرون ! اذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهده أنها كانت ضعيفة يخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يغارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة للسبب الذي بيناه في فاتحة الكلام، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر الحائق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسعى لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من أحكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته

لم نر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أى أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف، وأن ملاحدة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفيـة والقوة العسكرية ذريعة للتنكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل، فانتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أنجاله النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الامير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت)

لكن العمل لانقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقته وطاقة غيره (... صدقت) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء، ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية، ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يحل بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالى (... صدقت)

لا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ماحشروا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون أهله، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس وانقاذ ما فتحوه من الولايات التركية ، ولكن التنكيل بالعرب أهم عندهم من دفع الروس عن عقر دارهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائعهم في الحجاز ما هو أشد من فظائعهم في الشام (... صدقت)

نعم ان الخلفاء لايجارون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم الى ضرب الحصر البحري على ثغوره فضاقت المعيشة على أهله حتى باعوا حليهم وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كتنفتهم المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة (... صدقت)

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز — والحاجة قد اشتدت اليه حتى وصلت الى حد الضرورة - وما كان ليوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ماينهض به للقيام بهذا العبء العظيم ، ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما تجرأ على ذلك لاننا كنا نعلم أنه لا يوجد في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل (تصديق ..)

كنا نعلم انه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهده وموطن نشأته ومحل اقامة شعائره . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي لاقامة استقلاله . وكذلك انفرد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنهوض بما يجب من العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعناق أهل هذه البلاد وفي اعناق جميع المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر الناس للنعم . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيره مانعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع

حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقاع الاسلام، بل لا يغيب عن أذهانكم انه لولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غنيمة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوهما بعد ذلك لنا كان لهم منة التصدق بهما علينا . والا كانا تحت سيادتهم والعياذ بالله تعالى . وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أنقذ الحرمين الشريفين وما حولهما من هذا الخطر الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة له . فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا تملقا له ولا مدحا شعريا، وانما هو الحقيقة البيضاء الناصعة بينتها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اهـ الخطبة

قالت جريدة القبلة معقبة على هذه الخطبة : « وبعد أن جلس (أي الخطيب) أثنى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام قليلة » وتزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة، وهو صادق فيما قال ، واني ما كنت أرجو أن يرضيه خطابي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطته مما كنت أعلم من معونة جمال باشا وأعوانه، ومن منشوريه الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز لاجل الداعية التي وصلت الى حد الاضطرار ، وانها ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسعي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت بين إرضاء الفريقين المتعارضين في الرأي — فريق المتشائمين من ثورة الحجاز الخائفين ان تكون سببا لضعف الدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لانشاء دولة اسلامية تحل محلها ، وفريق المتفائلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهية الزاهرة ، حتى ان اصحاب فكرة المبايعة كانوا يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمبايعة .

زارني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة المقربين من الحضرة الهاشمية — وقد تقدم ذكره في هذه الرحلة - فكان جل حديثه الثناء على الخطبة، وقال انني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنوه بها وان سيدنا وافقني على ذلك وما هي فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل ينقصها عندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لا كثر مما قيل، قال: لم أعن ان في الخطبة نفسها نقصا بل هي كاملة، وانما كان ينقصها ان تكون مقدمة المبايعة، فلو انك بعد إتمامها مددت يدك وبايعت سيدنا لاتبعك الناس وكان أمرا مفعولا، قلت ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاعر الذي قال

وخذا النوم من عيوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

فقيل له خلعت ما لا تملك على من لا يقبل ؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية الى مفاكهة أدبية

هذا — وانني قد تشرفت بعد ذلك بحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة، فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أكثر الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك. وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية، وما يجب اتخاذه من الاحتياط في مسألة الدولة، على الوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة، فأظهر لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء المنار يعرفون رأيي مما بسطته في المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه ان الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها، وأفادت ما رجوناه منها. فأنقذ الحجاز، وأوقفت بغي البغاة، وأحمد الله انني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، وانني الآن معتزل لاعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم العزيز الحكيم في أمر أمتي والشعوب كلها.

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دون أمثاله من شيوخ الازهر كانكاره كتابة على الدولة العثمانية الفتك بالارمن في أطنة — وكراهته لاحتفال اللجنة السورية التي عقدت في دار التمثيل الاميرية لاعانة طلبة العلم السوريين في الازهر — تلك اللجنة التي قال في عدها يحق انها مسيحية ليس فيها الا مسلم واحد تسمى لاعانة مسلمين ليس فيهم نصراني واحد — وغير ذلك من الامور المدنية المعروفة، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوقته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

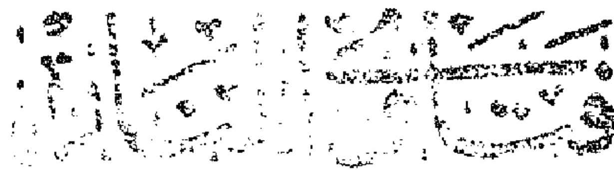
المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ الحمل (ر ١) ١٢٩٦ هـ ش ١١ إبريل ١٩١٨



فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ التمثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

جمعني النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار بيننا ذكر التمثيل العربي و بسطنا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتمثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخاتمهم خصوصا فقرّ رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التمثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخاتمهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا ، ومنع فريق آخر كل ذلك وعده نوعا من التقليد الافرنجي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيعدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شر عليها وعلى أخلاقها الذاتية . فهذا ما كان من الفريقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى استرشد برشدكم أو أستنير بضيا مناركم والسلام　　كاتبه

محمد محمد سعفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قلت هدانا لله وإياك محجة الصواب في الحكم . وعصمنا أن نقفو ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جمعت طائفة من المتعلمين البحاثين ، وانهم ذكروا « التمثيل العربي » فاختلفوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامرين ، وعللوا الاول « بأن أدوار التمثيل وفصوله لاتتم الا بالمرأة فاذا جوزنا التمثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل » وعللوا الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ وقل من يصادفه أو يجد له أثرا » وقالت طائفة أخرى بمنع الامرين وعدوه من التقليد الافرنجي الضار ، الذي يغتر به الاغرار ، وقلت انك وقفت حتى تستفتي المنار ، فهاك ما أفهمه في المسألتين بالاختصار :

لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم ، يدل على ماجزموا به من الحكم ، فان سلمنا لهم ان التمثيل لايتم الا بالمرأة — لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تستبيح من أعماله مالا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي ينقصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطلق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أوليس الصواب أن يقال — والامر كذلك — ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ماتوقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أولان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ؟

ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالي الصدر والذراعين والعضدين ، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، (ومنها) الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تذكر في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته . ولا أنكر انه يمكن لكاتب العالم أحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض فصولها أعمالا شريفة وأقوالا نافعة اذا مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله ابداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذرائعه ، فان تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحا أو مستحبا . مثال ذلك أن تؤلف قصة في الترغيب في الحرب للدفاع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الاعداء عليها ، ويذكر فيها ماروي عن الخنساء رضي الله عنها في حث أبنائها على القتال بالنظم والنثر . فمن ذا الذي يتجرأ على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخنساء في مثل تلك الحال ، التي هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكنات التي لم تقع — لا يبنى عليه القول باطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على ماذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعا

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد عللوه بأنه درس وعظ مؤثر ، يعنون ان كل ماكان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية ممنوعة ، وتلك المقدمة الصريحة غير متعينة ، فان هذه القصص قد توضع وضعا منفرا ، فلا تكون وعظا مؤثرا ، وان من الوعظ المؤثر في النفوس مايكون كله أو بعضه باطلا ، وكذبا وبدعا ، أو مشتملا على مفسدة أو ذريعة اليها ، ويشترط في جواز الوعظ ان يكون حقا لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الاصل ننظر في هذه المسألة من وجوه

(أحدها) ان العرف الاسلامي العام يعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم أو مزريا بقدرهم ، ومما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض النصارى كانوا أرادوا أن يمثلوا قصة يوسف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاج المسلمون لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الآستانة فصدرت ارادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فان قيل ان بعض مسلمي مصر كأولئك المتعلمين القائلين بالجواز لا يعدون ذلك اهانة ولا ازراء اذ لا يخفى على مسلم ان اهانة

الانبياء أو الازراء بهم أقل ما يقال فيه انه من كبائر المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — نقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تربى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالافراد القلائل ومن غلبت عليهم التقاليد الافرنجية حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية ، كذلك القاضي الاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غازل امرأة محصنة وتصباها ، وكاشفها بافتتانه بجمالها ، حتى هجره الرقاد ، وواصله السهاد ، فشكت المحصنة هذه الوقاحة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى قاضي العقوبات ، طالبا تعزير ذلك العادي المفتات ، فكان رأي القاضي ان مغازلة المحصنات الحسان وتصبيهن ، بحمل ذلك الكلام الذي يفسدهن على أزواجهن ، لا يقتضي سجنا ولا غرامة ، ولا تأنيبا ولا ملامة ، لانه اظهار لحب الحسن والجمال ، وهو من ترقي الذوق وآيات الكمال ، ولكن ما رآه هذا القاضي المتفرنج حسنا وكمالا ، رآه السواد الاعظم من المسلمين نقصا قبيحا ، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتها مراقبة المطبوعات من التمادي في الانكار ، واستأنف الزوج الحكم فنقضه الاستئناف ، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافية للآداب . ولو حاول بعض أجراق لتمثيل تمثيل قصة أحد الرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، لرأوا من انكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذين يرون جوازه ، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكام لما كان الا مثارا للفتنة ، وانصدي الناس لصد الممثلين بالقوة ، بل يغلب على ظني ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والسلاطين ، وكبار رجال العلم والدين ، مما يزري بمقامهم ، ويضع من قدرهم . وان أحدا من هؤلاء الكبراء لا يرضى لنفسه ذلك .

(الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة ، وأرقاهم في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة ، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء ازراء بهم على اطلاقه ، أفلا يعدون من الازراء والاخلال عما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) ابراهيم خليل الله أو موسى كليم الله أو عيسى روح الله أو محمدا خاتم رسل الله ؟ فيقال له في دار التمثيل يارسول الله ، قولك في كذا . . . فيقول كذا . . . ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

الخلفاء بهذا اللقب في غير وقت لتمثيل على سبيل الحكاية، أو من باب التهكم والزراية، كأن يراه بعضهم يرتكب إثما فيقول له : مدد يارسول الله ! الا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا، وكفى به مانعا لو لم يكن ثم غيره

(الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة تزري بمقامه ولو في أنفس العوام وذلك محظور وان كان تمثيلا لشيء وقع . مثل ذلك ان يمثل بعض هؤلاء الممثلين المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي مملوك تراوده سيدته عن نفسه وتقد قميصه من دبر، ثم يمثله مسجونا مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أولئك الباحثين الذين ذكرهم المستفتي، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشر ميزهم الله تعالى بما خصهم به من الوحي، وهداية الخلق الى الحق، وقد كانت بشريتهم حجابا على أعين الكافرين حال دون ادرك خصوصيتهم، فأنكروا ان يكون الرسول بشرا مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق . وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يهان الا في وطنه وقومه، وقال بعض العلماء في هذا المعنى : أزهد الناس في الولي أهله وجيرانه . أي لانهم قلما يرون منه الا ما هو مشارك لهم فيه من الصفات والعادات. وأما ما يمتاز به من دقائق الورع والتقوى والمعرفة بالله تعالى فمنه ما هو سامي لا يفطنون له، ومنه ماهو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك احتيج في إيمان أكثر الناس بالرسل قبل الارتقاء العقلي الى الآيات الكونية، وبعده الى الآيات العلمية، (كالقرآن الحكيم من الامي) والذين يؤمنون بالرسل من بعدهم يسمعون من أخبار آياتهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية، وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضعف الايمان بهم من تصور شؤونهم البشرية. على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون الغلو في التعظيم والاطراء الذي يرتقي به الغلاة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية، والتفريط في ذلك كالافراط . فتمثيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تعد زراية عليهم وازدراء بهم أو مفضية الى ضعف الايمان والاخلال بالتعظيم المشروع — مفسدة من المفاسد التي يحظرها الشرع، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته يعد في العرف العام تنقيصا

أو اخلالا بما يجب من التكريم - وكون الممثلين من عوام الناس ، وقد علمت ما في هذا كله

(الوجه الرابع) ان من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وان الكذب على الانبياء ليس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لا مسميات لها كلام تقصد به العظة والفائدة كما يحكون مثل ذلك عن ألسنة الطير والوحش وهو ما احتج به الحريري في فاتحة مقاماته على جواز وضعه لها ، واذا صح ان يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام الى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما لا ضرر فيه ولا افساد في التاريخ ولا غيره من الحقائق — اذا جاز ما ذكر وصح القياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصا خاصا لا محل للقياس مع وروده ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من حديث سعيد بن زيد ، وروي عجزه — وهو من كذب عليّ الخ — متواترا ، وروى أحمد من حديث عمر مرفوعا « من كذب عليّ فهو في النار » وهو مطلق لم يقيد بالتعمد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام جلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل على الكذب على العجماوات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلتزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه أو يسند اليه ، قلنا ان النقل الذي يعتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ، ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبأ اذا جعل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهم . والاولى هي التي يرغب فيها الممثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون ، وفيها من النظر الخاص ما بيناه في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها المرفوعة ولا الموقوفة ما يبلغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جعل طائفة منها وجعلها قصة تمثيلية . واذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الندور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة المتقنين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضعون من قصص الانبياء المشتملة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتمثيل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فعلم من هذه الوجوه ان جواز تمثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ماذكر من المفاسد وذرائعها بحيث يرى من يعتد بمعرفتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد ازراء بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها وأقوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أجمع العلماء على أن الايام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم يشرّقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لان الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كيما نغير . أي ادخل يا ثبير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

لانها أيام تشريق لصلاة يوم النحر فصارت تبعا له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسموا مصلى العيد مشرقا . والجمهور على ان هذه الايام هي الثلاثة التي تلى يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن تخيير المتقي بين التعجل في يومين أو التأخر انما هو في أيام مني الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الاربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام. فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وتطلق الايام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الاوائل أو التسع التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله (ص) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضعيفة عند غيرهم زيادة « وبعال » بعد شرب . والبعال والمباعلة الملاعبة بين البعلين (الزوجين) ومعناها صحيح فانه يحل في أيام منى كل ما كان محرما بالاحرام حتى التغشي ، وانما يحل بعد طواف الافاضة الذي تتم به أركان النسك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الاضاحي المطلوب بقوله تعالى (فكلوا منها) وغيرها من الطيبات ، فان هذه الايام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين التمتع باللذات المباحة حتى اللهو بالحراب وسماع الغناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة النسك .

وشعار هذه الايام من الذكر التكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عقب الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة فقد روى سعيد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كان يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى تكبيرا » وذكره البخاري في الصحيح تعليقا . وأصح ماورد في صيغته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا » وروي عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثا ومرتين وزيادة التهليل. والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في العيدين وأيام منى كما انه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بعرفة

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس اذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وان أشار بعض العلماء الى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لعبادة تعد من الشعائر ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الاضافية . وانما يتجه هذا اذا التزموه جهرا بغير زيادة ولا نقصان ، و يتأكد إنكاره اذا صار بحيث تظن العامة انه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الامام الشافعي في الام أن التكبير المشروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وأن التثليث في بدءه مستحب وان لكل أحد ان يزيد من الذكر ماشاء

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل جمرة بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة و يقف عند الاولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند جمرة العقبة . هكذا كان يفعل النبي (ص) وروي تقدير قيامه (ص) عند الجمرتين الا بقدر سورة البقرة

وكانت ذبائح النبي (ص) في حجة الوداع مئة من الابل جاء بثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالباقي من اليمن وقد نحر النبي (ص) ٦٣ بيده الكريمة فكانت اشارة الى سني حياته الشريفة وأمر عليا فنحر الباقي . وأمره (ص) بأخذ بضعة (بفتح البـاء قطعة) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعنا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الاسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تقدم بيانه من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية — فلما قربت المواصلات بين الاقطار الاسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء الى الحجاز مع الحجاج الموبوئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يتمثر الناس فيها بالموتى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الالوف الكثيرة من الاكفان ، ونحمد الله انه لم يمت فيها أحد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالمعنى

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه الكلمة التاريخية ندرة ذكر منى في أشعار المتقدمين الغزلية والتغزل بالنساء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غيرها من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعائر، ذلك بأن ما تقدم لنا شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والطواف بها والوقوف فيها أيضا — كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسعا لغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الاهل والولد والاخوان، فالتجلي الالهي في جميع المشاعر أثناء اداء جميع المناسك، تجلي هيبة وجلال، الا منى فان التجلي فيها تجلي انس وجمال، ولا تنس ما ذكرناه آنفا من تحلل الحاج فيها من الاحرام، واستباحته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عيد يستحب فيها التمتع بالطيبات، وزد على ذلك أن لياليها هي الليالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواءها اللطيف يحبب اليك السمر،

رفقا بها يا أيها الزاجر   قد لاح سلع وبدا حاجر
وخلها تسحب أرسانها   على الربا لا راعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالي منى   لاهدم المذكور والذاكر

*

لهف نفسي لليال سلفت   آه لو ترجع هاتيك الليالي
لا تقل لي بمنى تعطى المنى   بمنى كان من القوم انفصالي

*

صحبي مضوا قدامي   منهلة في اثر صحبي
ما فوق الهجران سهـ   ـما فاتني عن قصد قلبي
كلا ولا نادى الجوى   الا وكنت انا الملبي
ولقد وقفت على منى   لولا المنى لقضيت نحبي

وأشعار الشعراء بالتغزل بالنساء في منى ورميهن الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضي وهو من التغزل الخيالي النزيه

من مُعيدٌ لِيَ ايا … مي بجزع السمُرات (١)

ولياليَّ بجَمْعٍ … ومنًى والجمرات (٢)

وظباء حاليات … كظباء عاطلات (٣)

رائحات في جلابيـ … ـب الدجا مختمرات (٤)

راميات بالعيون الـ … ـنجل قبل الحصيات

ألِغير القلب راحوا … أم لعقر البدنات (٥)

كيف أودعت فؤادي … أعينا غير ثقات

أيها القانص ما أحـ … ـسنت صيد الظبيات

فاتك السرب وما … زُوِّدت غير الحسرات

يا وقوفا ما وقفنـ … ـا في ظلال السلمات (٦)

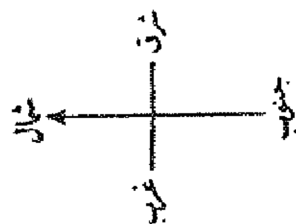
موقفا يجمع فتيا … ن الهوى والفتيات

نشاكى ما عنانا … بكلام العبرات

---

(١) الجزع بكسر الجيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر بفتح السين وضم الميم وهي من شجر العضاه أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها برم أي ثمر أصفر يؤكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حاليات مزينات بالحلي وهن الظبيات بالمجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظبيات بالحقيقة (٤) الدجا سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم . يعني يخرجن ليلا لرمي الجمار وغير الرمي من حاجهن فيكون الدجا ساترا لهن كالجلابيب حالة كونهن مختمرات بخمرهن مبالغة في الستر (٥) ذكر ضمير راحوا وقلما يأتي في الفصيح الا لنكتة كتذكيره في السلام على امرأة ابراهيم (ص) في سورة هود وارادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الاحزاب لشمول الخطاب للخاليلين في الخطابين ولعل الشاعر هنا يعني أنهن يخرجن مع رجالهن (٦) السلمات جمع سلمة بفتحتين وهو من شجر العضاه كالسمر ويكثر في جزيرة العرب ، والخطاب للرجال لذين تفوتهم في ظلال شجر السلم مدة وقوف أولئك النساء يتشاكون معهن الجوى بكلام العبرات اي الدموع الدال على ما في القلوب

خريطة منى
ومخيم الحجاج فيها ايام التشريق



هذه الصورة رسمت لرحلة البتانوني

نظرٌ يشغلُ منا كل عين بقذاة (١)
كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهاة (٢)
آه من جيد الى الدا ر كثير اللفتات (٣)
وغرام غير ماض بلقاء غير آت
فسقى بطن منى والـ ـخيف صوب الغاديات (٤)
وزمانا نائم العذ ال مأمون الوشاة
في ليال كاللئالي بالغواني مقمرات
غرست عندي غرس الـ ـشوق ممرور الجناة (٥)
أين راق لغرامي وطبيب لشكاتي (٦)

(١) يعني ان كل عين من أعين فتيان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقفها ذاك حتى كان فيها قذاة تستنبط دموعها وهي مايقع في العين من عصفة تبن وغيرها (٢) المهاة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة النجلاء لسعة عينيها وحسنهما ، وأشار بغزال ومهاة الى فتيان الهوى والفتيات الذين وصف موقفهن عند الوداع كما علم من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالدار دار منى (٤) بطن منى واديها والخيف سفح جبالها أي سقاها كلها مايصوب وينسكب من المطر في الغداة أي أول النهار . فالغاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة فيه (٥) الجناة ما يجنى من الثمر والظاهر انه أراد بالممرور المر ــ ضد الحلو ــ وفعل المرارة لازم لا مفعول له ، وانما الممرور من غلبت عليه المرة وهي بالكسر ما يسمى الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد ان يكون لاستعماله مخرج اذا صحت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرض عرض أو ألم ألمّ . سأل ما عزّ فلا يوجد وهو الراقي لغرامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج الغرام للراقي دون الطبيب لأنه وجد نفسي روحي يحتاج الى المسكنات الروحية وان وهمية . والاستفهام استفهام توجع ويأس

ومن التغزل الخيالي في منى وغيرها من معاهد النسك وأعماله ما قاله أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وهو:

ولما التقينا محرمين وسيرُنا ... بلبيك ربّا والركائبُ تعسِف [1]
نظرتُ اليها والمطيُّ كأنما ... غوارِبها منها معاطسُ رُعَّف [2]
فقالت أما منكنّ من يعرف الفتى ... فقد رابني من طول ما يتشوف [3]
أراه اذا سرنا يسير حذاءنا ... ونوقف أخفاف المطيّ فيوقف
فقلت لتِربيها أبلغاها بأنني ... بها مستهام قالتا نتلطف [4]
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا ... مِنًى والمُنى في خَيْفه ليس يُخافُ [5]
تفاءلت في أن تبذلي طارف الوفا ... بأن عنّ لي منك البنانُ المطرَّف [6]
وفي عرفات ما يخبر أنني ... بعارفة من عطف قلبك أسعف [7]

(١) قوله وسيرنا بلبيك ربا. معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب بالتلبية المعروفة. وعسف الركائب خبطها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى، يقال بات فلان يعسف الليل اذا خبطه في ابتغاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو الكاهل أو ما بين السنام والعنق، والمعاطس الأنوف والرعف الرواعف أي التي يسيل منها الدم، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى كان منها أنوفا راعفة (٣) رابه أوقعه في الريبة وهي الشك والتهمة، والتشوف الى الشيء التطلع اليه، أي ان تطلعه وإدامته النظر الينا حملني اتهمه بأنه يتعمد ذلك لأمر ما في نفسه ثم فسرت ذلك التشوف لصاحبتيها بسيره حذاءهم اذ سرن ووقوفه اذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللدة وهي بالكسر من ولد معك فترباها رفيقتان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في الفلوات لا يهتدي سبيلا الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفاؤل بنيل مودتها مستنبطا له من أسماء الامكنة وغيرها على طريق السياقة التي ستذكر في الأبيات، وبدأ بذكر منى فجعلها فألا بنيل المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناه ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفح جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالعقد العليا منها واحدتها بنانة والمطرف المخضوب بالحناء (٧) العارفة المعروف في المعاملة المراد من حديث «من أسدى اليكم معروفا فكافئوه» والاسعاف بالحاجة قضاؤها

وأما دماء الهَدْي فهي هُدى لنا يدوم ورأْي في الهوى يتألّف (١)
وتقبيلُ ركنِ البيت إقبالُ دولة لنا وزمانٍ بالمودة يعطف
فأوصلتها ما قلته فتبسمت وقالت أحاديثُ العيافة زُخْرُف (٢)
بعيشي ألم أخبركما أنه فتى على لفظه بُرْدُ الكلام المفوّف (٣)
فلا تأمنا ما استطعتما كيد لفقه وقولا ستدري أيّنا اليومَ أعيَفُ (٤)
إذا كنت ترجو في منى الفوز بالمنى ففي الخيف من إعراضنا نتخوّف
وقد أنذر الإحرام أن وصالنا حرام وأنّا عن مزارك نصدف (٥)
وهذا وقذفي بالحصى لك مخبر بأن النوى بي عن ديارك تقذف (٦)
وحاذر نفاري ليلة النفر انه سريع ، فقل من بالعيافة أعرف (٧)

---

(١) الهدي بالفتح ما يهدى الى الحرم من الانعام وهي ذبائح النسك والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال اليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد ان كلمة الهدي بالفتح فأل دال على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التفاؤل أو التشاؤم بحركات الطير ومساقطها وأسمائها . هذا هو الاصل ثم توسعوا فيه بمثل ما ترى في هذه الابيات والزخرف الزينة والتزويق تعني انها من زخرف الكلام لا من الحقائق كقوله تعالى (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب المخطط والمفوف الرقيق : وتعني به لطافة كلامه وحسنه وكونه ينم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير يعيفها اذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم آنفا (٥) نصدف نعرض (٦) أي وقذفي بالحصا في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي مؤنثة) ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) النفار والنفور مصدر نفر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزعج ومنه نفار الظبي والدابة والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر وليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى وهو ثاني أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الاول وثالثها لمن تأخر ويسمى النفر الثاني

فلم أر مثلينا خليلَي مودة لكلٍّ لسان ذو غِرارين مُرهَف (١)

وما قيل في أيام منى ولياليها ما رواه صاحب الأغاني عن معبد المغني الذي يضرب به المثل قال أتيت أبا السائب المخزومي — وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة — فلما رآني تجوّز أي خفف الصلاة وقال ماممك من مبكيات ابن سريج ؟ قلت له :

ولهنّ بالبيت العتيق لُبانة والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيًّا قبلهن ظعائنا حيا الحطيمُ وجوههن وزمزم
لبثوا ثلاث منى بمنزل غبطة وهمو على سفر لعمرك ماهمو
متجاورين بغير دار إقامة لو قد أجدّ تفرق لم يندموا

فقال لي غنه فغنيته ثم قام يصلي فأطال ثم تجوز إلي فقال ماممك من مطرباته ومشجياته ؟ فقلت قوله

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل المطي معقلا

فقال لي غنه فغنيته ثم صلى وتجوز إلي وقال ما ممك من مرقصاته ؟ فقلت

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفتنّ ذا هوى (٢)

فقال كما أنت حتى أتم لهذا بركعتين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة لزير النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير — منها قوله في أيام منى

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سَنَن (٣)

---

(١) أي لكل منا لسان ذو حدين مرهف من أرهف السيف اذا رقق حده ، ويعني بغراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين كجعل أعمال النسك ومواضعه للتفاؤل وللتشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغنا لابن جريج الصوت . والتجمير رمي الجمار وأفتن بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لغة نجد وفي نسخة ديوان عمر المطبوعة أفلتن

(٣) السنن بالفتح الطرق وهي مجاري الدمع

بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
ان كنت تطلب دينا أو رضيت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن سريج المغني ما ظننت ان الله عز وجل ينفع أحدا بشعر عمر ابن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله : بالله قولي له — البيتين — فحركني ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحججت

وقد كان عمر مفتونا بالنساء وحديثهن ولم تكن هيبة بيت الله وسائر المشاعر الشريفة لتصرفه عن مغازلتهن حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكي قد ألفها واعتادها والآفاقيون أشد هيبة وخشوعا هنالك من الحرميين في الغالب . ومما روي عنه في كتاب الاغاني أنه بينما كان يطوف رأى امرأة من أجمل النساء فوقعت في قلبه فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه . فعاودها في الليلة الثانية فقالت اليك عني ياهذا فانك في حرم الله وفي أيام عظيمة الحرمة فألح عليها يكلمها حتى خافت ان يشهرها . فلما كان في الليلة الثالثة جاءت بأخيها معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها فتمثلت بقول جرير

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الضاري

وروي ان المنصور حدث بهذا الخبر فقال : وددت انه لم تبق فتاة في خدرها الا سمعت بهذا الحديث . أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر السفر على المرأة الا مع ذي محرم . هذا وان شعر عمر يوهم أنه كان من أفسق الفساق ولكن روى صاحب الاغاني عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ماركب فاحشة قط ولا كشف ثوبا عن حرام قط ، وحلف مرة بعتق كل مملوك له على ذلك وكان له في المملوك وحده سبعون عبدا .

ومما روي عن غير عمر في هذا الباب تشبيب النميري بزينب الثقفية . ذلك أن يوسف بن الحكم الثقفي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلده (الطائف) فنذرت بنته زينب لتحجن ماشية ان عوفي ، فعوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطن وج (أي بطن وادي وج) وهو ثلاث مئة ذراع في يوم جملته مرحلة لثقل بدنها ولم تقطع مابين مكة والطائف الا في شهر ، وكان محمد بن عبدالله النميري الطائفي يهواها فقال في حجها أبياتا منها :

تضوّع مسكا بطنُ نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة عطرات (١)
تهادَين ما بين المحصب من منى ... وأقبلن لا شعثا ولا غبرات (٢)
أعان الذي فوقَ السموات عرشه ... مواشي بالبطحاء مؤتجرات (٣)
مررن بوجّ ثم رحن عشية ... يلبين للرحمن معتمرات
يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويقتلن بالالحاظ مقتدرات (٤)
وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف للجمرات
وعلت بنان المسك وحفا مرجّلا ... على مثل بدر لاح في الظلمات (٥)
وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات

وقد أراد الحجاج ان يفتك بالنميري لتشبيبه باخته لولا أن منعه منه عبد الملك وكتب اليه ان لاسبيل له عليه على انه ما وصفها هي وصواحبها الا بالتقى

وعلى ذكر أبيات النميري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار لتبرز ساعدها ، وتتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا الى منى لتفتن من أفاض اليها من عرفات — على ذكرها نقول لاعجب اذا وجد في النساء المفتونات بجمالهن من تحب ان تظهر جمالها في تلك المعاهد الشريفة كما وجد في الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج الى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر وأكثر الشعر فيه تخييل ، ومنه قول العرجي الشاعر من أبيات كانوا يتغنون بها :

أماطت كساء الخز عن حرّ وجهها ... وأدنت على الخدين بُرد امهلهلا (٦)
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البريء المغفلا (٧)

روى أبو الفرج عن عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة

---

(١) تضوع فاحت رائحته وبطن نعمان أي وادي نعمان وهو بين الطائف ومكة ويروى حرف القافية خفرات والخفر شدة الحياء (٢) المحصب موضع بين مكة ومنى (٣) مؤتجرات طالبات الاجر (٤) ويروى يخمرن بدل يخبئن والمصراع الثاني * ويخرجن جنح الليل معتجرات أي متلفعات بالمعاجر على رؤوسهن (٥) البنان بكسر الباء جمع بنة بالفتح وهي الرائحة الطيبة والعل متابعة الشيء وأصله متابعة السقي . والوحف الشعر الكثير الحسن والمرجل من الترجيل وهو تسريح الشعر بالمرجل أي المشط . أي وعلت روائح المسك منها شعرا اثيثا حسنا مرجلا فوق وجه يلوح بينه كالبدر في الظلمات (٦) البرد الضم ثوب مخطط والمهلهل الرقيق النسيج والواهي أي برد لا يستر الوجه لرقته ولعله من الهلل بالتحريك وهو نسيج العنكبوت (٧) الحسبة بالضم والاحتساب في العمل اعتداده ذخرا عند الله . والمغفل من لا فطنة له فيتقي فتنة النساء

تكلم بكلام رفث فيه فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة؟ اما تخافين الله؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عمي فانني ممن عنى العرجي بقوله

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها : فاني أسأل الله أن لا يعذب هذا الوجه بالنار . قال وبلغ ذلك سعيد ابن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها : اعزبي قبحك الله ، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار — وذكر حكاية أخرى في معناها فيها ان أبا حازم قال لاصحابه: أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها بالنار . وأبو حازم من كبار عباد التابعين . وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في العبادة والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وانما نختم هذا السياق بخبر أبي نواس فاسق الشعراء فقد روي أنه كان يهوى جارية لاحد الثقفيين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة تروي الاشعار وتعرف الاخبار فقيل له يوما انها عزمت على الحج فقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، ثم سبقها الى الخروج وقال بعد عودته:

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير

فلما لم أجد سببا اليها يقربني وأعيتني الامور

حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

وروى صاحب الاغاني من خبر حجه عن شهود وقد أحرم أنه لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو قوله

إلهنا ما أعدلك مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك

والسابحات في الفلك على مجاري المنسلك

ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك

لولاك يارب هلك كل نبي وملك

وكل من أهل لك سبح أو لبى فلك

يامخطئا ما أغفلك عجل و بادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لاشريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والاشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء والرجال الكثيرون في مكان ينظر بعضهم الى بعض الا ويكون لمغازلة النساء بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قال عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

واذا كانت مشاهد الحج لم تخل من المغازلة والتغزل في أول عصر الحضارة الاسلامية وأول العهد بتحجب النساء والدين لم يزل في قوة سلطانه على الارواح حتى ان أشد المترفين اسرافا في الخلاعة ومغازلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة فما ظنك في غير هؤلاء وأمثالهم وفي أهل هذا الزمان في غير تلك المشاهد؟ قال لي بعض القسيسين قد مات الدين ولا يقصد الناس المعبد الا لمغازلة النساء

(ومنها) ان أقوال الشعراء في مشاهد الحج وأيامه وأعماله مما يشوق القلوب الى تلك البلاد كما وقع لابن سريج في لحن ولاجله كتبت هذا الفصل من الرحلة واني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق الى الحجاز ومشاهده وليالي عرفة والمزدلفة ومنى ، على انني است من المغازلة والغزل في شيء ، ولم أر هنالك ولم أسمع عن أحد شيئا من ذلك وفقه الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لفاضلين مصريين كانا معنا في الحجاز (احداهما) قول أتقى الرجلين وأحسنهما تدينا وهو محصن انه رأى في منى امرأة في نافذة دار مقابلة للدار التي كان فيها تحمل منظاراً تنظر فيه فتوهم أنها تنظر اليه فشتغل قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أعزب: انني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة يشتهي المرء ان يمد اليها طرفه فهل هؤلاء هن نساء العرب اللواتي شبب بهن الشعراء ذلك التشبيب الفاتن الذي يخيل لقارئه انهن أجمل نساء الارض ؟ وياليت شعري كيف كان يكون غزلهم وتشبيبهم لو كان في نسائهم من الجمال ما نعهد في الآستانة وغيرها ؟

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٣٠ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (ر ٣) ١٢٩٦ ه ش ٩ مايو ١٩١٨

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

يكثر ذكر المتفرنجين في المنار وغيره ، والتفرنج مشتق من اسم الافرنج أو الفرنجة ، وهذه الصيغة تبنى لمعان (منها) التكلف كتجلد فلان وتشجع وتخشع وتجرع الشراب اذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب ما يكره و (منها) تحصيل الشيء بالتدريج كتعلم الحساب. وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة التفرنج وما يشتق منها، فالمتفرنجون هم الذين يقلدون الافرنج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولا ثم يتوسعون في ذلك بالتدريج ، حتى انتقل بعضهم من التقليد في مشخصات الامم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الازياء والاكل والشرب وآداب المجالس الى ما هو من مقوماتها التي تبقى ببقائها وتفنى بفنائها كاللغة والدين والشريعة وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية

وهؤلاء المتفرنجون فريقان (أحدهما) من كان تفرنجهم أثر التعليم العصري والتربية الافرنجية التي حببت اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلقنوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه كما يجب فكانوا كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(وثانيهما) من يتفرنجون تقليدا للفريق الاول من قومهم الحكام والاغنياء تقربا اليهم ، وانتظاما في سلكهم ، وتمتعا بمثل زينتهم ولذتهم، فهم مقلدة المقلدين ، بغير شبهة ولا دليل ، انما كان سبب فشو هذا التفرنج في المسلمين المدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية، التي أنشئت لتقليد الافرنج في تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة، على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي ، وما بقي منه أمسى مشوبا بما ليس منه من البدع والدخيل، وساءت طريقة تعليمه وأهملت فكرة التربية عليه بالتخلق والعمل، وقد قلت في المنار غير مرة انني لا أعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في ألسنة المتعلمين بحيث يفهمون كلامها الفصيح في كل كتاب، ويقدرون على الاتيان به محاورة وخطابة وكتابة

بغير تكلف، كما تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا ؛ ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليما يفهم به كتابه وسنته وما فيهما من العقائد والاحكام والحكم والآداب فهما صحيحا يتمكن به المتعلمون من بيانه بالقول والكتابة، واثبات قضاياه والدفاع عنه بالدليل والحجة، ولا مكانا يتربى فيه النشء على أخلاقه وآدابه العالية ، وانما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تعالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو موته قلما يوجد فيها من وضع الأئمة المجتهدين شيء، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل معناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر باللغة العامية، وفي مدارس البلاد الاعجمية (كالهند والفرس والترك) يترجم بلغاتها

في أثناء هوي الامة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كان الافرنج يصعدون في مراقي العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يهتدون فيه بسنن الله في خلق الانسان والاكوان، وقد جعلوا لكل علم وكل فن ولكل صناعة وعمل جماعات تعنى بترقيته واتقانه، حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الالوف من النقود الذهبية . ولكن كان جل ارتقائهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والادبية التي ترجح الحق على القوة، والعقل على الشهوة؛ حتى خاف عاقبة ذلك عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجتماعي فيهم وهو هربرت سبنسر لاكبر وأشهر حكيم فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده — ما معناه : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة ستدعها (أي تدفعها بعنف) الى حرب مجتاحة ليظهر أي أممها الاقوى فيسود العالم .

« إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وانه ليبغي أن رآه قوي واستعلى ، وان مظاهر الغنى والقوة لغرارة خداعة ، فالفقراء يعظمون الاغنياء وان منعوهم رفدهم ، وهضموهم حقهم ، والضعفاء يخضعون للاقوياء وان أرهقوهم عسرا ، واستذلوهم عدوانا وظلما، ولا يزال بعض الشعوب على أرث منا من سلفهم الذين عبدوا الملوك واتخذوهم

آلهة وأرباباً وإن زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الارث في كثير من أفرادها ، وإن تبوءوا مقاعد الرياسة فيها ، وأما ولوع الامم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة ، فهو سنة من أظهر سنن الاجتماع ، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لاتخفى على قراء العربية ، الذين يعنون بالامور الاجتماعية ، والتقليد في الامم كالتقليد في الافراد هو توطين انفس المقلد على ان يكون تابعا للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده ، غير طامع في مساواته ، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخبط في ليل دجوجي

قد يشتبه أمر بعض المتفرنجين بما يدعو اليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الافرنج من العلوم والفنون وما أتقنوه من الاعمال، والبحث في أسباب ذلك وطرقه، والاستقلال في اقتباس ماتحتاج اليه أمتهم منه، لتقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أممهم، وانما تقوى الامة اذا حافظت على ما كانت به أمة كاللغة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز بها، واذا كان بعض العادات ياغلا ضار فينبغي ازالته وتغييره بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية العملية النافعة ، بشرط ان لا يشوب ذلك شيء من تحقير الامة في أنفس أهلها، ولا اذلالها باشعارها باستعلاء غيرها عليها، وان لا تحمل على تقليد أجنبي عنها، وانما تلقن الحكمة مع اقناعها بفضلها ونفعها، و بأنها يجب ان تكون أحق بها وأهلها، كما ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»، ومن المتفرنجين من يدعي هذا الاصلاح، و يتوهم أنه صادق لانه لا يميز بين الاصلاح والافساد ، ومنهم من يدعيه بمحض الكذب والرياء ، (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله ما في قلبه وهو ألد الخصام ٥ واذا تولى سعى في الارض ليفسد و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

ان الفرق بين المتفرنج المقلد و بين المصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين بالحقائق ، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكلترة في مصر، فقد بين في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفرنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا ، وان كان لم يكتبه لاجلنا ، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه ، وقد أشار الى

مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون لقومهم من شؤون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الاستاذ الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على أصول الاسلام، خلافا لمن لا يبالون في هذه السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من أجنبي غير مسلم أن يقول في كلمة استطرادية أكثر من هذا في بلد له السيطرة على حكومته ، وجل من تعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك اللورد نفسه في كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف فمنهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين يحاربون أصوله وفروعه ، وينفثون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء فيهم ، اما لاعتقادهم ان فشو الكفر مفسدة تزيد أمتهم ضعفاً وفساداً ، واما لكراهتهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال ، ومن المعتدلين الثابتون على عقيدتهم التي نشأوا عليها ، والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها ، وانما تفرنج هؤلاء في أبدانهم ، لا في عقلهم ووجدانهم ، ولا نحاول استقصاء ما يكون به التفرنج وأصناف أهله في أفراده بل نقول بالاجمال انه قسمان صوري ومعنوي ، ظاهري و باطني ، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري ، وأما هذا فلا يستلزم ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير ، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد منه ، لذلك ترى بين أصحاب كل قسم من التعارف والتآلف ما لا تجده بينهم وبين المخالفين لكل منهم ، فهو لذلك يسري في الامة سريانا تدريجيا لا يشعر به الجمهور ، وانما يفطن له الافراد من العارفين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم وتقلبها وما يطرأ عليها من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور ويتألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فمثله فيه كمثل العامي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي ، يتألم لكل قرحة تعرض له من أثر الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عامة بدنه ، ولا فطنه في

تسمم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجى أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل

ترى هذا الجمهور الذي ضربنا له المثل يصيح ويشكو قولا وكتابة عند كل صوت يجهر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما يهتم بالعلل العامة وأسبابها والعلاج الذي يستأصلها لا بأعراضها الذي تظهر تارة وتخفى أخرى . ويا ليت الجمهور يتبع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجميه في عقائده أو غيرها من مقوماته الملية كما يتبع مريض البدن طبيب الابدان ، اذاً لسهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الاسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم، وتعذر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها، ففقد جمهورهم الشعور بالحياة القومية والملية، فأمسى لا يهتم الا بلذاته الشخصية، ومنها أن يكون محترما مكرما بين من يعيش معهم، فهو يدعوهم الى أن يكونوا مثله مدعيا ان ذلك خير لهم، كما انه يكون عونا لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريده منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يعز عليهم أن لا يكون لهم أمة، فهم لشدة حاجتهم الى الامة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها اليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لا هي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفرنجية خالصة، ليكونوا أعضاء رئيسة لها في هذا الخلق الجديد المتخيل ، بعد ان صاروا فيها كالاعضاء الاثرية أو زوائد الاظفار والاشعار التي جرت العادة بقصها والقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كثيرون، ولم يظهر في متفرنجينا فرد صالح لتكوين أسرة صالحة، أو تأسيس جمعية نافعة ، فأين هم من انشاء أمة كبيرة وإعادتها خلقا جديدا ؟ لا أنهم بضعف الامة في نفسها، و بمساعدة القوى الغربية لهم عليها ، ليستطيعون شيئا من الهدم دون البناء، ومن الاماتة دون الاحياء

قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة اصلاحه واحيائه، وانما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه، ونقول أيضا انه كلما سمع صوتا منكرا من تلك الاصوات ، يفزع الى من يثق بهم،

من العلماء والكتاب : انصروا الدين ، ردوا على الملحدين ، ويقنعه كل ما يقال ويكتب بعنوان الرد ، وإن كان من قبيل الطعن والسب

وقد سمعنا في هذه الأيام صوتا من هذه الأصوات ، ولا حاجة للحرب وما اقتضته من الرد على المنشورات ، فكان خير ما نشكو منه ، أضعف ما عهد في مثله ، ذلك صوت رجل من أعضاء النيابة ، ألقي على جمهور عظيم من رجال النظر بأسلوب الخطابة ، ثم طبع في رسالة ، ووزع على الناس كافة ، موضوعه وضع قواعد الإصلاح قانون الأحوال الشخصية [illegible] أصول الشريعة الإسلامية ، وقد رغب إلينا بعض الفضلاء في انتقاده ، و [illegible] في [illegible] ذلك مجرد اطلاعنا عليه ، و [illegible] في ذلك [illegible] كلام [illegible] شرعية ، ولا نقول في شخص وضع شيئا [illegible] غرض [illegible] حق في نفسه ، ومن عرف الحق عرف أهله ، وموعدنا الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرمزي

(الموضع الاول) في صفحة (ه ي من المقدمة حققتم ان عمل المولد بالشكل المعروف بدعة وانكم تتحاموت عن عمل شيء باسم المولد فأحسنتم وأجدتم . ثم ذكرتم ان البكري دعاكم فتوسلتم باجابة الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالنافع — فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضع المولد يليق بأمثالكم — القائمين بالاصلاح ومحاربة البدع وخصوصا على الصورة التي طبع عليها مختوما كل فصل منه بالصلاة البتراء فلو اكتفيتم بنشره في المنار مع الارشاد الى جعل تلاوته بصورة الخطابة لربما كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المولد ذكرتم مالفظه: كيف

---

*) في الاصل صافحة في كل موضع من الرسالة فابدلت في المطبعة بصفحة

كان اصطفاء الله تعالى لهذه الاصول من الامة العربية ، الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة السنية ، و بماذا امتاز قوم خاتم الرسل الخ . العبارة في ذوقي السقيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها لجواب عن « كيف كان » وجعله جواب عن « و بماذا امتاز » فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني لعله أظهر

(الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قولكم : أيام كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانين من ثقل الضرائب الخ لعل الاولى حذف لفظ والانين او ابداله بلفظ وثقل ليصح العطف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قولكم : أما اصطفاء الله الكنانة فيفسره الخ وقولكم : وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لعل الاولى : اصطفاء الله الكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب من اخباره الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما ولفظ فهو

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالحواشي تفسير الندوة بالشورى وخصصتموها بالجاهلية الرأي بعد البعثة للائتمار به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمعروف ان الندوة محل الشورى مطلقا وان الذي بناه قصي وجعل بابه للكعبة كما نقلتموه في الصفحة نفسها عن ابن اسحاق . وكذلك فسرتم اللواء براية قريش وانه كان يسمى العقاب والمعروف ان العقاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في القاموس صفحة ١٠٧

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة « كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للاسلام ، ولكن هذه القوى المعنوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام » لعل حذف هذه العبارة المشعرة بغاية الهجو والموهمة ان جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته أولى واليق لان السياق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستعدوا بها للاصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجهوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للاسلام مع اخفائه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كابي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له المتحملون لمشاق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القائمون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته، المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القائمون بمساعدته بكل ما في وسعهم، كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم رغبة في صحبته وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم اسلامه في أول البعثة من تحمل مشاق الحصر مع بني هاشم في الشعب إيثارا لنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على ان الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والمنعة الا بعد اسلام من تأخر منهم ؛ فكانوا القائمين بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله وسلم، الباذلين أرواحهم في حماية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و بعد وفاته ، وسيبقون ان شاء الله كذلك الى قيام الساعة. ولعل الحكمة في ذلك رفع التهمة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. ولله در العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي حيث أشار في همزيته لذلك فقال

خيرة الله من قريش وما أد	راك من هم مكانة وعلاء
نسب بالعلا علا فنرات	درر الافق تحتها حصباء
شرف شامخ الذرى وفخار	ثابت صير الجبال هباء
أنزل الله في قريش لإيلاف	قريش فزادهم آلاء
شرف الله قدرهم بنبي	خلقوا من نجاره شرفاء
واصطفاهم لاجله واجتباهم	فغدوا سادة به نجباء
ذب عنهم صونا لهم ورعاهم	وحماهم ممن نوى الاسواء
أظهر الله فضلهم من قديم	بحديث في فضلهم عنه جاء
ثم لما جاء النبي اليهم	أبطأوا عنه لا قلى وجفاء
كيف يجفونه وقد الف الله	عليها ضبابها والظباء
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتناء
لو تولوه داخل الشك قوما	عاينوا حزب نصره القرباء
فقضى الله ما قضاه الى ان	شاد أركان دينه والبناء
دخلوا فيه مرعبين فصاروا	فيه للناس قادة رؤساء

جعل لمصطفى الامامة فيهم　　اذ رآهم لجودها أكفاء
ورثوا الامر بعده فأقاموا　　إعوجاجا من العدا وانحناء

(الموضع السابع) في الصفحة العاشرة قولكم فجملة ما امتاز به آله صلى الله عليه وآله وسلم الخ . لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلمنافاته ما قدمتموه من أن الندوة واللواء والسفارة والاعنة والقبة من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور الحربية ، ولمنافاته أيضا ما قدمتموه من أن كنانة كان مثابة التعارف ، وأن مالكا وقصيا ملكا العرب، فهل الرياسة غير هذا ؟ وأما بعد الاسلام فلمنافاته ما هو معلوم من حملهم لألوية القتال وقيادة الجيوش لمحاربة الاعداء في بدر وأحد وخيبر وحنين، بل لم تدر رحى الحرب في المعارك المشهورة الا على محور الآل ، فهم قطب رحاها بلا جدال ، وهم الثابتون معه صلى الله عليه وآله وسلم في المواضع التي فر فيها الابطال . فهل الامور الحربية التي بعدوا عنها غير هذا ؟ ولله در أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما نقله في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير فخر　　بأنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات　　وأمضاهم اذا طعنوا سنانا
وأرفعهم لدى الضراء عنهم　　وأبينهم اذا نطقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة واذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام الخ تغلب الغير عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يستلزم بعدهم عنها وعدم استحقاقها ، والا لنافى ما تواتر عن علي وابنيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة واحتجاجهم على من قاومهم بالبراهين ومحاربتهم الطاغية معاوية وأذنابه ، وانضمام الصحابة الا من شذ الى علي وابنيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يولي غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لاشخاص كعمرو بن العاص وعدم توليته لآخرين كأبي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دليلا على استحقاق الاول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقائع

الاحوال المطروقة باحتمال أن يكون كل من التولية وعدمها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشيرته (ومنها) ازلة نفور الناس عنه لاستقذارهم له من حيث تلطخه بحمئة عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد ابعاده للسلامة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) ومن مقاصد هدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة ليبلغوها للامة وخصوصاً آل بيته، فهم هالة طلعته، وثقات أمته، وهم العدول المعصوم اتفاقهم ، المشهود بأنهم والقرآن في قرن الى قيام الساعة ، رضوان الله عليهم أجمعين

وقولكم في آخر الصفحة فهو أنفى للشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد يقال انه لو كان فيما ذكر محل شبهة لكان لتفضيلهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم وموالاتهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم تهمة وليس الامر كذلك والله أعلم

(الموضع الثامن) في الصفحة الثالثة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطلب والمقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوهم الحصر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة الثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد الجحود ولايذاء الخ اهل الاولى : من زعماء قومه الذين أشقاهم الله فصدوه عن تبليغ دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القائل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ اهل الاولى : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليقوم بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك محاولة لاطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يثرب الخ لما تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضعة نفر من

قريش وبني هاشم وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها اشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين وصبرهم على الاضطهاد الخ ثم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش واتباع العرب لهم مع ان ذلك هو مظهر مزايا الاصطفاء فلعل إلحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم : وفسر زيد أهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد والتعبير في مقابله بلفظ يقول آخرون يشعر باعتماد ما قاله زيد رضي الله عنه . ولعل الصواب ما يقوله الآخرون كما حققه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في كتابه رشفة الصادي

ولعل ملخص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية التطهير علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء وأكابر أئمة الحديث المعتد بروايتهم ودرايتهم وان الادلة تضافرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمصير الى تفسير من أنزلت عليه الآية متعين

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

فمن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم بكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على منامة عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي لي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فبينما يأكلون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) الآية فأخذ النبي بفضلة كسائه فغشاهم اياه ثم أخرج يده من الكساء فألوى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالها ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في الستر فقلت يارسول وأنا معكم فقال « انك الى خير » مرتين وذكر ابن كثير والسمهودي طرقا كثيرة لحديث أم سلمة هذا وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ما يقاربه في المعنى. وكذلك روي عن واثلة ابن الاسقع ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفات لمن خالف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ الامة لمن سيوجد منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » الى أن قال « وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث والاخبار الدالة قطعا على ان هذه السلالة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون وانهم المرادون بكل ما ورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وأنهم عدول هذه الامة وانهم لن يفارقوا الكتاب الى يوم القيامة، وانهم أحد الثقلين المأمور بالتمسك بهما، وقد أجمعت الامة على ذلك اه باختصاره وبعد وجود النص بعدم ادخال أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الحض على التمسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحض على التمسك ببني العباس وسيرهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم انهم (أي الآل)

كانوا أحفظ الناس لهديه صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وان فتن الكثير منهم بغلاة المحبين الخ واهمل المناسب وان فتن بعضهم واغتر بشرف نسبه وترك العلم والاعمال النافعة غافلا عن قول جده علي الخ لان اثبات الفتنة للاكثرية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها ابدال لفظ العترة بلفظ السنة، وأن لا معارضة بينهما الخ يظهر للعاجز ان رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي حملة سنتي فتكون مخصصة للرواية الاولى كما ان الاولى مخصصة للثانية فالمعنى حملة سنتي الذين هم من عترتي ، أو عترتي حملة سنتي ، وأيضا يظهر أن المراد بالطائفة من أمته التي لاتزال ظاهرة على الحق قوامة على أمر الله الى ان تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنته والله أعلم

من ملاكه سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٣٦

ن . ه . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من منى الى مكة

لما كان يوم النفر رمينا الجمرات لآخر مرة وفي الاصيل شددنا الرحال ونفرنا من منى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وفقنا لاتمام مناسكنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجا مبرورا، وسعينا مشكورا ، وعملنا مثابا ، ودعاؤنا مستجابا ، ويالله ما أحلى الشعور الذي يستولي على المرء في اثناء هذا النفر ، فانه على فراقه لذلك المعهد القدسي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله فى النفس من عظيم الانس تراه يفارقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحا بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الاعمال النافعة التي يهتم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عنايته به وتعبه فيه ، وبقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من فائدته ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهدا في أداء المناسك أفاض من منى وهو بحيث وصفنا من الغبطة الروحية ، والسكينة والطمأنينة ، التي يعبر عنها بعض الناس براحة الضمير ، ومن قصر في شيء من تلك الاعمال ولو بترك العزيمة ولا فضل خالج غبطته وطمأنينته بعض التمني ولوم النفس : ليتني فعلت كذا ، وسأفعل كذا في حج آخر ان شاء الله تعالى . كما تمنى بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أمورا مما أنوي عمله في مكة الى ما بعد الحج (منها) ماأشرت اليه قبل من زيارة جميع الذين تفضلوا بزيارتي ولم تتيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة كثير من المعاهد التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها الذي أشأ أن أخلط ذلك بأعمال النسك كما يفعل بعض العوام الذين يعدون بعض ذلك من أعمال النسك أو من الاعمال المطلوبة شرعا ولو لغير النسك، ولا يطلب شيء من ذلك شرعا ، لاوجوبا ولا ندبا، الا من كانت له نية صالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره . (ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لانفسنا وبعضها لاجل اهدائه لاصدقائنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة لمن يجب شرحها له بعد أن كنا فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها اجماليا ولا يغني فيها الا البيان والتفصيل

لم نلبث أن بدا لنا ما لم نكن نحتسب وفاجأنا ركب المحمل المصري بسفره يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة الى جدة ، وعلمنا انه قرر ركوب البحر في ثاني يوم وصوله اليها ، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن ندرك شيئا مما نريد من مكة، فعزمنا على التخلف عنه يوما واحدا وهو منتهى ما نملك من التأخير، وما ذا عسى يغني عنا اليوم الواحد مما كنا نقدر له أسبوعا كاملا لا نستكثره عليه ؟ على اننا أدركنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحبين ما لا يدرك الا في أيام، فابتعنا بعض ما نحب من الحلي والحلل من منسوجات الهند الموضونة وغير الموضونة وبعض منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشتري مثله الحجاج عادة، وكان الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن غبن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين باسلامه وهو من أشهر أدباء مكة ونجارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى منّ علينا بما هو خير منها كلها ، وهو التشرف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه

دخول الكعبة المعظمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيبي الكرام فرأيت الفرصة سانحة للتشرف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقني الشيخ حسين باسلامه فبلغ من هنالك من الشيبيين رغبتي فقابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبيون لي السلم، فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متمثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، ففاجأني من الهيبة والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الاحرام بالصلاة ولا النطق بالتكبير ، وقد ذكر لي رفيقي باسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينه بالاشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصليت فيه ركعتين هما أرجى ما أحتسبه عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الاخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لما حكاه القرطبي عن بعض العلماء، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه. والتحقيق الذي جمع به بين الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لا في حجه ولا في عمرته، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه وبينه وبين الجدار الذي صلى اليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا تحديدا ، وليس من السنة تتبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) للصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة انه فعل شيئا من ذلك الا عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع، الا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جعله كالمشروع بالتزامه أو

بالاجماع عليه كالشمائر، فاذا خلا من شبهة البدعة كان كبير الفائدة لذي اللب ، لما فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب، ولعله لم يشرع لئلا يترتب عليه الحرج الشديد بالتزاحم والتعذر فعله على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد ذريعة الشرك اذ يخشى على ضعيف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجعل للرسول شركة في العبادة التي يتقبع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة

﴿ وداع الامير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الامير ما بعد صلاة الجمعة فقصدت عقب الصلاة حجرته التي يصلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألفيته جالسا في القسم الخارجي من الحجرة وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشيبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ، وكان معي السيد عبدالله الزواوي وكيل المجلس، وعلمنا انه كان في القسم الداخلي حيث صلوا الجمعة نجله الشريف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس. فلما دخلت على الامير تلقاني بالحفاوة والاكرام، فاستلمت يده لتقبيلها فحاول تواضعه التمنع من ذلك ، ولما جلسنا تفضل بكلمات من المجاملة كادت تذيبني خجلا ، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجها الخطاب للحاضرين : هذا فلان ... صاحب المنار كلكم تعرفونه وتعرفون ماله من الغيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجا.. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قد رأى وعرف كل شيء عندنا وظهر له اننا الى الآن لم نقف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لا بد لنا منها، وأن همنا محصور في اخراج المتغلبة من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة فمتى تم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبغيه فاننا نرجو من غيرته أن لا تمنعه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من معاونته وارشاده ، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا

فلما أتم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخجلني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول إنني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمته بالاخلاص، وأعاهدكم امام بيت الله تعالى على انني لا أدعى الى عمل أستطيعه فى خدمتهما الا وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق، وانه لا يثنيني عن ذلك منفعة شخصية ولا أهل ولا ولد، فانني نشأت على العمل بما يوجبه عليّ اعتقادي ويطمئن اليه قلبي. ثم قمنا وتقدمت لوداعه، ومحاولة تقبيل يده فأخذ بيدي وتوجه بي الى بيت الله عزوجل من حيث يرى من نافذة المكان وقال: أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يجعل هذا آخر العهد بيننا. ثم ودعت الحاضرين وانصرفت حامدا شاكرا

صفات الامير وشمائله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا الامير الجليل ومزاياه التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول: انه حوى جل أخلاق ملوك الشرق وأمرائه العظماء، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء، فمن ذلك قرى الضيوف واجازة الوفود، وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها، والثبات والاصرار على ما يأخذ به ويجري عليه فقد تتزلزل الجبال دونه ولا يتزلزل، وشدة الحذر، وسوء الظن الذي عد من أزكى الفطن، حتى كأن نصب عينيه قول الشاعر

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة، وشؤون البلاد العامة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم، ومصالح البدو وصلاتهم، وقد أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللا ولا تعبا، وقد كلمته في مسألة الاشتغال بالجزئيات ووجوب نوطها ببعض العمال، وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والامور الكلية، ووضع نظام لذلك، فقال ان هذا ضروري لا مندوحة عنه ونحن لانزال نجري على نظامنا القديم، والتحول عنه الى غيره لا يتأتى الا فى زمن غير قصير، قلت نعم وانما الغرض وضع النظام له والبدء فيه

ومن أخلاقه وشمائله توخي التواضع في القول والفعل، مع المحافظة على الوقار وابهة الملك، والادب العالي في مخاطبة الجليس ومجاملته، مع الاشارة الى ما تقتضي

الحال من معارضته ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الوطأة على المجرمين والمخالفين السياسيين، يأخذهم بأشد العقاب الذي يرهب كل من تحدثه نفسه بأن يعمل على شاكلتهم، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العفة والنزاهة فهو مقتصد في تمتعه بالطيبات ، عزوف النفس عن الانهماك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقدام على مكافحة الاخطار، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أنجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهالك بأيديهم ، و يناطحون الموت بنواصيهم ،

وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، و يكرم الحفاة العراة من أعرابه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم، وقد رأيناه يقضي في مقابلتهم عدة ساعات من كل نهار، وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال

أما معارفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من المذاكرات القليلة التي دارت بيني و بينه وان كنت كلمته فيها بحرية واستقلال قلما يكلمه بمثلهما أحد ، لانه قليل الكلام لا يطيل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها . وقد وقفت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا اليأس لما أقدم على ما أقدم عليه، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمنى بين يديه ، ثم انه كلمني في هذا الموضوع بعد النزول من منى ،وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان لشيء عليهما ، (ومنها) ان ما شاهده من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمعية الاتحاد والترقي قد ضاعف ما في فطرته وتربيته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد، وشدة الحذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كان أعجبني ووافق رأيي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعيده ، وانما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تزيدها الا رسوخا وثباتا

وانى أختم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي واكرامه إياي، فقد غمرني بكرمه وجوده، وكان من دقة لطفه وكمال ذوقه في ذلك أن جمله بطريقة لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه ، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض المقربين منه كلاما عن عادتي التي شرحتها في المنار عند رحلتي الى الهند ، وهي انني لا أقبل أن تشاب خدمتي للعلم وللملة والامة بشيء من شوائب المنافع الشخصية، حتى انني كنت أعلن في تلك الرحلة انني لا أقبل الهدية.. ورجوت أن يتلطف في تبليغ ذلك وان أدري أفعل أم لا ، ولكنني بعد شد الرحال وعند ارادة الركوب وصلت الي جائزة سنية ، أو هدية هاشمية ، أردت أن أكلم من جاء بها في شأنها فقال هكذا أمرت وأنا لا أعلم شيئا الا انني عبد مأمور أمرني سيدنا فنفذت أمره، وانصرف، فعجبت من هذا اللطف الدقيق ، والذوق السليم ،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الخرج وأعوانه بشد الرحال، طفت أنا ومن معي الآل والصحب طواف الوداع ، وكان ذلك بعد العصر ، وكنا قصدنا ان نركب في ذلك الوقت ، ولكن لم يتيسر لنا الركوب الا عند قرب غروب الشمس ، وودعنا قبل الخروج كثير من الاخوان والمحبين ، وركبنا وركب معنا بعض الاصدقاء مشيعين ، وفي مقدمتهم السيد الزواوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ حسين باسلامه ومطوفنا ونجله ، وخرج معهم الاخ الرفيق الشيخ خالد ، أما سائر الرفاق والاهل فقد ركبوا في الشقادف من أول الامر ، وأما أنا فركبت البغلة التي أرسلت الي من الاصطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الامير مشيا أمامي بملابسهما الرسمية، حتى اذا ماخرجنا من مكة المكرمة و بلغنا المكان المعروف بقهوة المعلم — وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى — ألفينا هنالك صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الامير فيها) بالانتظار مع بعض رجاله وقد أنفذ للتوديع من قبل الحضرة الهاشمية نائبا عنها ، وعلمنا انه خرج منذ وقت العصر لانه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم يتيسر لنا الخروج فيه، فنزلنا وجلسنا معه قليلا واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل ،

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبعتها أنا والرفيقان بالعشاء مجموعة معها جمع تقديم ، ثم ودعنا السادة المشيعين، وركبنا الرواحل وسرنا باسم الله قافلين ، والحمد لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وفقراء الحرم

انني عند توديع السيد الزواوي قلت له قد بقي معي في الكيس خمسة عشر جنيها انكليزيا من النقود المخصصة للصدقة في الحرم لم يتيسر لي انفاقها فانا أوكلك في في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والمروءة المتعففين ، وأعطيته اياها ، فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى كلا منهم ، وعليها أختامهم . و بهذه المناسبة نقول كلمة في فقراء الحرم والصدقة فيه وفي غيره ومايتعلق بذلك كبحث السؤال

ان الفقراء المتسولين أول من يستقبل الحجاج قبل دخول مكة وآخر من يشيعهم عند الخروج منها عائدين الى بلادهم، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة الى منى فعرفات وعند العودة من منى بعد انقضاء أيامها. وأ كثر هؤلاء المتسولين من صغار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فتراهم يحيطون بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم الهوادج، وألسنتهم تكرر الادعية المناسبة للاوقات ، فيذكرون في أدعيتهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة أداء الحج وقبوله والعودة بالسلامة ، و بعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشباك حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزا من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالعصا و يرفعها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصا لحامله ، وأما الصغار الذين لايحملون هذه الكيزان فما يرضخ لهم يرمى على الارض فيستبقون لالتقاطه فيكون حظ النشيط القوي منهم أضعاف حظ الخامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لاتبيحه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح كثيرا من المحظورات كاكل الميتة ولحم الخنزير ، لانه ذل يدعو اليه الكسل وحب البطالة والاتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تعرض لبعض الناس أحيانا وهي تقدر بقدرها شرعا ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الاصحاء القادرين على الكسب بحيث تبيح لهم أن يجعلوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة ، وقد يتأثل السائمة والعقار، واذا كان السؤال لغير ضرورة معصية محرمة وكانت الاعانة على المعصية معصية فعلى المسلم العارف باحكام الاسلام أن لا يرضخ بشيء لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له ، ولا لمن يعلم أيضا انه غير مضطر الى ما يسأله ، بان كان يمكنه أن يستغني عنه ، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر ، وأما من يعلم الانسان أو يظن من حاله انه يسأل عن ضرورة ولا غنى له عما يسأله ولا وصول له اليه بغير السؤال فلا مندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى ، وقد يصل ذلك الى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطراره سواك وأنت قادر على ذلك ، ومثل هذه الصورة تقع للافراد القليلين وقلما تقع للكثير من الناس الا في أزمنة المجاعات العامة

انني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر ، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي اليها — وأنا لم أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر العسرة والضيق في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة — وجدتني مندفعا لاعطاء كل من سألني ، ولما نفد ما كان في كيسي من الدراهم المعدة لنفقة الطريق من جدة الى مكة أذنت الرفيق الذي صحبني من جدة بأن يعطي من يعلم انه لم يأخذ مني ويحصي ما ينفقه لارده له بعد الاجتماع بالآل الذين كانوا يحملون نفقتنا في رحالهم . وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك انهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكنت أنثره على بعد فيتركونني ويتهافتون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء . ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة على هؤلاء المتسولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك .

ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم ان بعض

الناس جاء بشيء من الحبوب لحمام الحرم فاختطفوه وصار بعض السودانيين من الذكور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويمضغونه متغذين به كالدواب . وقد جرينا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل للواحد من هؤلاء المتسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئة أو المئات منهم ؛ وانما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين يتعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجملون ولا يلحفون ، وانما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الاحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجعل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتنا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره ، فهي والحق يقال دون ما أنعم الله به علينا ، وما من أحد يحج ايمانا واحتسابا الا ويتصدق في الحج بحسب سعته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما يملك من المال ، ولكن المتصدق العالم المخلص يجد عناء عظيما في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين ، يجد هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه ، فكيف حاله في بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الفساد في البر والبحر ؟ وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسهاب ، وقد ألممنا بها من قبل في المنار

القفول من مكة الى جدة

اننا لما ودعنا المشيعين الكرام وامتطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد افندي هو الصاحب بالجنب لي ، وان يركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما بيننا من التعادل والتوازن في الجسم ، وطول الصحبة مع التوافق في التربية والرأي ، فإننا تعارفنا من أوائل العهد بقدمي الى مصر ، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك العهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر ، وإنما اخترت التفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجح ما ذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقنا عدلا بين الراحلتين في التخفيف عليهما ، لان تعادلنا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبينا في النحافة ؛ (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقه في الراحلة ، ومحمد أفندي يرغب في

خدمني لاني استاذه في الدين ، فلا يبقى لخدمة الاستاذ الا وكيل الخرج (ثالثها) ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه، فصرت لعلمي بشؤونه أقدر على افادته وإفتائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر بالاستفادة منه لانه ما فتئ مشتغلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حيل بيني وبين ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجرتي ، وأما في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ عني فيها الا بعض المدرسين وأذكياء طلاب العلم ، وكان من لوازم هذه القسمة بيني وبين صديقي إنني كنت أحسن حظا منه إذ كان صاحبي من الاتقياء المتعلمين في مدارس الحكومة حتى المالية فيها ، العارفين بأخلاق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربه في خدمة الحكومة المصرية، وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الامر

سرينا منفردين ليس معنا رفاق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف، ولكننا وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان، وقد بلغنا بحرة في وقت السحر فعرسنا فيها ، (١) وكان الجوع قد بلغ منا لاننا لم نتعش قبل خروجنا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد، وكان جله من لحم خروف أهداه الي بعض المحبين لم نر مثله في طراوة لحمه ولينه ودسمه، لا في الحجاز ولا في غيره، وهو ليس من ضأن الحجاز . ثم نمنا قليلا اذ استيقظنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاته بفضل الله تعالى

لم أر من بحرة في إلمامي بها ليلا قادما من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة، وما يحتاجون اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان معهم كل ما يحتاجون اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي يسمونها العشش وهي وراء تلك القهوات، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها دورا في كل دار بيوت من العيدان وبيت خلاء لها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التعريس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير معرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها ، نزلت مع الوالدة والشقيقة في دار ، ونزل رفاقنا في دار بجانبها ، ومكثنا هنالك الى ضحوة النهار ، وقد نفد ما حملنا من مكة من الماء، فجاءنا وكيل الخرج بماء كدر غير عذب ، فسألناه ألا يوجد ماء نقي عذب في هذه الارض ؟ قال بلى ولكنه غال لا يكفينا للماء ما معنا من أواني الشرب أقل من ريال ، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه، فجاءنا بماء لايفضل الاول الا بمضاعفة ثمنه، فكانت هذه كبرى سيئاته، جعلها خاتمة لخدمته، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الاجرة الوافية التي خصصها له الامير، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل النفقة المعينة، وما أخذه من ذبائح نسكنا التي وكلناه بالتصرف فيها ، وقد سبق له مثل هذه السيئة معنا بمنى ، جاءنا بماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء نقي وفقنا له لما سلم أحد منا من مرض النزلة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا ، ولكننا غفرنا له تلك . وأما هذه فلم نستطع تداركها، وسوء الخاتمة لا يغفر فنسأله تعالى أن يحسن خاتمتنا .

هذا وإننا قد قاسينا من الظمأ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرف له نظيرا في تاريخ حياتنا، فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة، وحاولت الاستغناء عنه بمص رب السوس فلم يغن شيئا . وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازما على استصحابه من مصر فأنسانيه الشيطان وهو السكر الليموني أي الممزوج بحامض الليمون ، فأوصي كل مسافر الى تلك البلاد وأمثالها ان يحمل معه شيئا منه

وصلنا الى جدة قبيل الفجر فنزلنا في دار صديقنا الشيخ محمد أفندي نصيف وكيل الامارة الجليلة وقد نمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة ، و بعد الاستيقاظ طلبت ماء سخنا للاستحمام فاغتسلت وغيرت ثياب الطريق وعلمنا ان أكثر الحجاج المصريين نزلوا الى السفينتين اللتين جاءوا فيهما فتبعناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد، ونزل معنا هو وبعض الاصدقاء في زورق البلدية البخاري الى سفينتنا التي جئنا فيها (النجيلة) مشيعين ، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعودة اليها مرارا كثيرة حاجين ومعتمرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشتغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدنية — عشرات ألوف الالوف من الرجال ومئات الالوف من النساء كان أكثرهم يشتغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من نتاج الارض ، ومن ايصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف ألف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ الف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم ، فنقصت الاموال والثمرات بنقص الانفس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الانفس بحرب الغواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتقتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الغواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وتقطع تحت الماء ألوفا من الاميال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلا من قذائف المدافع أو سهاما من الطوربيل ، فجعلتها كعصف مأكول ، لا تفرق بين سفن المحاربين وسفن الامم التي على الحياد ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والاولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكلترة وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فآذت الامم كلها ، وأكثرت من عدد أعدائها

كانت جوائح الغواصات سببا في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الارض . وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الاولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها ، وكان المخزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالفحم

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثيراً وثمنه معتدلاً، وقد غلا ثمن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيراً من ديونها . فلما اشتد حرب الغواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت أثمانه أضعافاً ، وتبع ذلك غلاء غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويباع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشاً وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشاً فصار مساوياً للسمن بعد اشتداد غلاء السمن وكان قد زاد عنه، الا أنه قد ورد منه أخيراً على الاسكندرية عدة قناطير من كريت فنزل الثمن قليلاً . ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة بثمانية أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش فخمسة فستة ، وقس عليه سائر الفاكهة

وقد سعرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسعيرها اياها سبباً لزيادة الغلاء ، ولم نر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشيء كما فعلوا في تسعير الاقوات . فمن الثابت انها لم تنقص من ثمن شيء الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسعيرها إياه ، اللهم الا زيت البترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذاً مطرداً . وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسعيره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعته الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت . وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها اياه نحواً من ذلك بزهاء ضعفيه . وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر كثمن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسعير والغلاء . وقس على ذلك سائر الاشياء

وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت أثمانه الى ماشاءت أطماع تجاره التي لاحد لها ، فتضاعف ربحهم وعظمت ثروتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل النعم والثراء في الشراء ، وقد بلغنا ان أغنى أمم الارض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يعد في العرف من الكماليات ، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات ، ومن دونهم بالضروريات ، حتى ترك أكثرهم شرب الخمور التي كان بعضهم يعدها ضرورية ، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة ، وشذ أغنياء هذا القطر ، فاشتد تباريهم في اتخاذ الحلي والحلل ، وتنافسهم في الاثاث والرياش ، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسراً ، فنسأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسراً .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطرار الى تقليل صحائف المنار على كثرة مواده دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التنويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لاصحابها على من يهدونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حقه العرف ، وأوجبه التعاون على نشر العلم، ولقراء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يعلموهم عما يتجدد في صناعة المطبوعات، من الصحف والمصنفات، ويبينوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والنقد النزيه ، وانا نحب أن نؤدي الحقين ، ونقوم بواجب النصح للفريقين ، ولكن يتعذر علينا تارة ويتعسر تارة قراءة ما يهدى الينا من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كمن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه تقصيرا أو خطأ فيراجعه وينتقد منه مايراه محلا للانتقاد، أو يختار موضعاً يوافق رأيه فينقله ويخصه بالثناء ، ولا كمن يثني على كل كتاب يهدي اليه ثناء مجملا ، أو ينشر ما يرسله اليه صاحب الكتاب اطراء مفصلا، وخير من هذا وذاك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفا تاريخيا بذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه، وهو ما نجري عليه أحيانا ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحيانا ، وان من الكتب ما يعرف الجمهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . وانا نراجع الآن ما أهدي الينا في هذه المدة ونذكر ما يقع في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

(جرجي زيدان ١٨٦١ — ١٩١٤) « ترجمة حياته، مراثي الشعراء والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان ووارث الهلال من بعده مؤلفاً من ص ١٤٧ بحجم الهلال مطبوعاً بمطبعة الهلال في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب مستغن عن الوصف والتقريظ

(مبادىء علم السياسة) كتاب لخصه سليم افندي عبد الاحد الكاتب

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعته بمطبعتها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقا للسنة الثالثة والعشرين من مجلة الهلال . وهو ثلاثة أقسام (أولها) في الدولة — حقيقتها ونشوءها وسلطتها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانيها) نظام الحكومة — سلطتها بأنواعها وأنظمتها وسياستها وادارتها وأحزابها وغير ذلك (ثالثها) الحكومة والاجتماع، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة . أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشديدة لكثرة القراء الذين يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها . وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد ، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿ خلق المرأة ﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقا للسنة السادسة والعشرين . وقد طالعته كله فألفيت كاتبه من أعدل الكتاب الاوربين في هذا الموضوع ، وأرجو أن أكتب شيئا في بيان ما استفدته منه ، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعا حسنا ولكن على ورق غير جيد — والعذر قلة الورق وكثرة الثمن — وصفحاته ١١٩

﴿ الصبي — بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي ﴾

كتاب الفته فتاة انكليزية اسمها (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف والتزم طبعه نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة

أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لاهم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلذ للجمهور لا ما ينفعه ، وعبارته حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وغلطها ، وذلك ما يعز أن يسلم منه كاتب عصري ، وهو على ما أظن غير مغرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات اكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام، بل يحب الترقي والكمال في الترجمة والانشاء ، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لنقد بعض علماء اللغة والادب ومتأنقي الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجمل والجزاء

وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو اكمال ما ينقص البلاد من القصص الجدية الجامعة بين لذة المطالعة والفائدة النافعة في تربية الاسرة، وقد شرح ذلك شرحا جميلا في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء فألفيته مفيدا كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى ، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الاخيرة أن تنفد ، وهو اذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر انه أعم فائدة وأفضل ، وأسلم من لغو القصص وأبعد ، ومما أعجبني من الفوائد التي انفرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشعب الانكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فان مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسن أن يربى الطفل الفرنسي في البلاد الانكليزية لان التربية فيها أفضل، وأن يعلم ويربى فى بلاده اذا صار يافعا، لينشأ فرنسيا وطنيا صادقا، ثم يكمل علومه فى البلاد الالمانية، لان العلوم العالية أرقى فيها وأكمل . وأما مؤلفة كتاب الصبي أو قصته فهي تقول فى التعليم فى المدارس الاجنبية ما قال مالك فى الخمر ، وتجعلها أدهى من الساعة وأمر ، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة ، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة، قد اختارت له مدرسة أجنبية، يتعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية، ما يؤهله لكل عمل فى الحياة ، على قلة الاجرة والنفقات ، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرجه عن كونه انكليزيا «اذ كان وجدانه يحدثه أن المدارس الاجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه» ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مختبر يعرف البلاد الاجنبية فحذره من ذلك وأنذره سوء عاقبته بقوله : إن المدارس الاجنبية لا تخرج انكليزيا مطلقا ، انك تذهب الى الخارج شابا ظريفا مؤدبا كما أنت الآن ، ولكنك لا تعود بتلك الصفات ، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والخدعة ، فعند ما تتحدث تنهق كالحمير ، وعند ما تسير تقفز كالضفادع ، وسوف تخاف من الماء البارد . ولا يمكن الناظر الى وجهك أن يقول انك انسان حي، انك أجنبي ممسخ حقير، هذا ما ستكونه. اه



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

٣٠ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الاسد (ص٢) ١٢٩٦ هـ ش ٧ يوليو ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل الينا هذا النقد في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا اذا وجدناه كله أو جله صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وانه بزّ فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الاسلامية التي اطلع كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بعض ما رآه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أ كثره خطأ محضاء، وأقله ماله وجه أو شبهة، وها نحن أولاء نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التطويل

(الموضع الاول — تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد انما هي مجموع ما يعمله الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو— الخ ماذكر في صفحة ي من المقدمة ، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من الشعائر الدينية الموهمة أنها مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك . فغفل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب ، ومن العجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى المولد بما سماه الصلاة البتراء. غافلا عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء ، وكذلك فصل مناهضة الدعوة ، والجاء الرسول (ص) الى الهجرة ، ومثلهما الخاتمة

أما قولي في آخر تلك الصفحة انني كنت أتحامى كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الخالية، وأما

(١) يحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

ما أنفذته إثر ما كان من المذاكرة بيني و بين البكري فهو ما ترجح عندي بعد ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته ، وحقيقة دعوته، وكليات دينه وشريعته ، يكون دعوة الى الاسلام ، ورداً لما فشا في قصص الموالد من الاباطيل والاوهام ، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة، وما يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره مضاعفة، واني أعتقد أن هذا العمل واجب شرعا ولو فصلت أدلتي على ذلك لما خفيت على أحد ولكن لا حاجة الى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد اجازة هذا التأليف ونشره في المنار، اذ حصرت النقد في طبعه منفردا وختم فصوله بالصلاة البتراء ، ويعني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل ، لانه فيما يظهر ينكر ذلك ويراه بدعة محظورة ، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء نقده فيما نقله عن ذكرى المولد، وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه، ونحن لا ننكر أن الصلاة على الآل تبعا للصلاة على النبي (ص) مشروعة في الصلاة وكذا في خارجها ، ونحن نفعلها في التشهد من الصلوات دائما وفي غيره احيانا ، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك ، وانما تلتزمها فرقة الشيعة وقليل من غيرهم، والتزامها أقرب الى البدعة من تركه ، لان الاصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الاول بشرطه ، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار ، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في نقده كما تقدم آنفا

(الموضع الثاني — الفرق بين الامتياز وما به الاصطفاء)

سألنا في الكتاب : كيف كان اصطفاء الله تعالى لتلك البطون من العرب، وبم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الامم ، وأشد استعدادا لذلك الاصلاح الكامل العام ، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وأجبنا عن ذلك بما شهدت به التواريخ العامة من امتياز الامة العربية على سائر الامم من بدء التاريخ الى عصر الاصلاح الاعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قريش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قريش - فعلم بهذا أن اصطفاء كل بطن منهم كان بما امتاز به من المزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إعدادا لهم، لجعل صفوة الاصفياء في خير بطن منهم ، ولقيامهم بدعوته ، ونشرهم لهدايته ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيما وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلماء اللغة عندنا ببال ، اذ لم يفطن لكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفاء أو نفس الاصطفاء

﴿ الموضع الثالث — انكار عطف واقتراح آخر ﴾

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والانين من ثقل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الانين على الاثرة غير صحيح أو غير واضح واقترح حذفه أو وضع فعل الانين المضارع موضع المصدر ، قال ليصح العطف أو ليكون أوضح ، ونقول ان لانكاره دون اقتراحه وجها وجيها ولكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو الآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الانين فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، والوجه ان يقال « تأن » بغير عطف

(الموضع الرابع - أما وجوابها)

بينا وجوه اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأسلوب أما وأما — فانكر الناقد ذلك في كنانة بجعله هنا خلاف الاولى ، زاعما ان الاولى حذف أما وجوابها ، وبدء الكلام هكذا : اصطفاء الله لكنانة بعلم عما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فندعها الى القراء يحكمون فيها بعلمهم وذوقهم

(الموضع الخامس — ندوة قريش ورايتها « العقاب »)

زعم الناقد اننا في هامش الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها باجالة الرأي للائتمار بالنبي (ص) بعد البعثة ، وان المعروف ما ذكرناه عنها في صلب الكتاب ، وقد فهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار به (ص) » وبديهي أن وصفها بذلك لا يدل على ما فهمه من التخصيص وانما تلك غفلة ظاهرة منه

وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قريش وقوله إن المعروف انها راية النبي

(ص) كما في القاموس، فما كان له ان يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هذه المسألة وهو يعلم ان ما في القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية، وأشعار الشعراء كقول صاحب الهمزية

فغدا ناظرا بعيني عقاب   في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له — والامر ماذكرنا — ان يقول ان مجيء هذه العبارة من صاحب المنار على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع امله يقف على هذا الاصل ويحكم فيه حكمه .

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب نقله في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم نقله الجوهري قال في اللسان والعقاب الذي يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنثة أيضا . ونقل صاحب العقد الفريد في كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي أن الذين انتهى اليهم الشرف من قريش فوصلهم بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن كان لكل منهم منصب ومكرمة من المكارم التي كانت لقريش — وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ — قال : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند أحد أخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب واذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه اه المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والعاديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد عبر بعضهم عنه بالصقر وانما الصقر في اللغة اسم لكل ما يصيد من جوارح الطير فالظاهر ان قريشا سمت راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك . وأما كون رايته (ص) تسمى العقاب فلم يثبت في حديث صحيح ، ويحتمل أن يكون سبب هذا القول ان بعضهم أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمعناه اللغوي العام الذي هو العلم الضخم ففهم آخرون من الاطلاق ان العقاب اسم علم لها . وقد لخص الحافظ ابن حجر في شرح (باب ما قيل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

ذلك وحكى هذا القول بصيغة التمريض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر عبارته برمتها لانها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قال :

« اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقيل اللواء دون الراية . وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الامير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة فترجم بالالوية وأورد حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً وبمثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولابي يعلى من حديث بريدة، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم: رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء، ويجمع بينها باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رفعه « ان الله أكرم أمتي بالالوية » واسناده ضعيف، ولابي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوبا على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وربما جعل فيها شيء أسود » اه

(الموضع السادس — توجيه قوى قريش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قولنا في الصفحة التاسعة ان قوى قريش المعنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشعرة بغاية الهجو وموهمة أن جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) وبأن هذا مخالف للسياق والواقع ، ثم نوه بفضل قريش بما نوه به

ونقول في الجواب (أولا) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بجاهلية قريش التي ذمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة، وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا الا بعد فتح مكة، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرياسة ، وأي جرم أجدر بالذم والهجو

بما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وفتنة المؤمنين وإخراجهم من ديارهم، وقتالهم في دار هجرتهم، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الايذاء، فقد كان خالد بن الوليد أشد كاتهم نكاية في قتال المسلمين، ثم صار أشدهم نكاية و بلاء في قتال أعدائهم الكافرين، (وثانيا) ان ما كان من كفر أكثرهم وإيذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للاسلام بما ذكرنا من مزاياهم ؛ فان سبب الكفر والايذاء كبرياء الرؤساء المعروفين وحيلولتهم بين الرسول و بين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم، ولذلك كان صلح الحديبية فتحا مبينا بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين و يسمعون منهم القرآن وصفة الاسلام كما بينا ذلك في ص ٣٩ و ٤٠ من ذكرى المولد؛ ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعا عند أحمد ومسلم «الناس تبع لقريش في الخير والشر» وحديث أبي هريرة مرفوعا عند البخاري «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» (وثالثا) ان العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا الكناية على ان جميع أفراد قريش وجهوا جميع قواهم لمعاداته (ص) وانما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جاههم ومكانتهم الدينية والادبية في العرب الى مقاومته (ص) وانما تكون هذه القوى للهيئة الاجتماعية والجمهور الاعظم الذي يمثله الزعماء ، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمراء ، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قريش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة ، ولا حماية الرسول وضعفاء المؤمنين من الاذى والفتنة، بل كان أكثرهم محتاجا الى من يحميه و يجيره من جمهور قريش أصحاب الجاه والثروة والعظمة ،

وقد أراد الناقد ان يكثر عدد السابقين الاولين من قريش الى الاسلام، ونصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فجعلهم ثلاثة أزواج : (١) السابقون الى الاسلام مع اخفائه ومثل له بأبي طالب، وقد ثبت في حديث الصحيحين ان أبا طالب مات على شركه وانه أدنى أهل النار عذابا لدفاعه عن الرسول (ص) وحياطته له وان كان بباعث القرابة والعصبية ، و (٢) السابقون المتحملون لمشاق التعذيب ومثل له بآل ياسر وليسوا من قريش وانما هم عنسيون من اليمن، ولم يذكر ذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قريش لهم ، وعجز جميع المؤمنين عن اغاثتهم والدفع عنهم ، حتى ان

النبي (ص) كان يمر بهم فيقول «صبرا يا آل ياسر موعدكم الجنة» و(٣) السابقون القائمون بنصرته ونشر دعوته (قال) كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم، وتمثيله بذكر هؤلاء صحيح ولكنهم كانوا عددا قليلا لم يقدروا على حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بغير حق كما شهد الله تعالى في سورة الانفال والحج والممتحنة وماذكره من فضائل قريش في نقده لهذه العبارة من حق و باطل دون ماذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق، ولا نناقشه الا في قوله ان الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والمنعة الا بعد اسلام من تأخر منهم، ففيه نظر، بل هو غلط، فان الاسلام قد اعتز وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فضل السابقين الاولين من المهاجرين على الانصار معروفا لا ينكر، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم، ولكن أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصبية جديدة ذات نزعة عصبية للعلويين من قريش، وبهذه النزعة استصغره استكبره واستعظمه جماهير المطالعين على ذكرى المولد النبوي من فضائل قريش عامة والعلويين منهم خاصة بحق، ولنا في هذه العصبية كلام نقوله بعد

ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في همزيته وهو زعمه أن قريشا لم تبطيء بالايمان بغضا وجفاء بل امتنعوا من تولي الرسول (ص) لئلا يشك فيه من يرى نصر القرباء له، بل أخروا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلوا فيه وصاروا رؤساء له، فهذا الزعم مخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة وكتب السيرة النبوية كلها، فالظاهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا وكتموا اسلامهم لعلمهم بأن الله سينصر رسوله و يعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين من غيرهم، اذ الظاهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله ورسوله لهم بالايواء والنصر أو يصغرونه أو يخفونه) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الايذاء والفتنة قبل الهجرة وفي سيرهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها؟

هذا واننا ننوي تنقيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند اعادة طبعه منها الاشارة في هذه العبارة التي نرد نقد الناقد لها، نريد أن نحذفها ونقول «ولكن قواها (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام» بدل «ولكن

هذه القوى كلها ، فان هذه الاشارة وقعت بعد كلام ليس مرادا منها ، والناقد لم يلمح ذلك

(الموضع السابع — بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلكة ما امتاز به بنو هاشم آل الرسول (ص) على سائر قومه من قريش : ان جملة ذلك الاخلاق العليه ، والفواضل العملية والفضائل النفسية ، والبعد عن الاثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام .. فرد علينا الناقد بقوله : لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده ، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية لقريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب ، وعلى الثاني بحمل الآل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ

وأقول في الجواب انني أجل الناقد الفاضل عن ان يكون سوء الفهم ، هو الحامل له على هذا النقد ، كما يتبادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل ، وأكاد أجزم بأن سببه نزعة العصبية التي أشرت اليها آنفا ، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بجملتها على عدم استعداد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملك ، وما يلزمهما من أمور الحروب ، فأراد أن يرد على ذلك نغفل عن أصل العبارة وعن معنى الآل ، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وعنايتهم بأمرها ، بما كان لغيرهم من قريش من مناصبها ، وبما كان من الرياسة والملك لبعض أصول قريش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة ! ولم يكن لبني هاشم من تلك المناصب والرياسات التي ذكرها شيء ، انما كانت لهم سقاية الحاج فحسب ، وكان يتولاها العباس ، الذي لا يعده الناقد ولا ذريته من الآل ، أعني الذين وردت الاحاديث في فضلهم وتحريم الصدقة عليهم ، فأما الندوة واللواء ، فكانت لبني عبد الدار ، وقيل ان الندوة والمشورة كانت لبني أسد ، وأما السفارة فكانتا في بني عدي وتولاها قبل الاسلام عمر بن الخطاب (رض) وتفسير هذه المناصب يعلم من هامش ص ١٠ من ذكرى المولد

ثم انه غفل عن جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب ، وحب الاثرة والكبر ، علة لغلبة غيرهم إياهم على الرياسة الدنيوية حتى بعد الاسلام ، ولم يفهم نكتة هذه الغاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

في امتيازهم وتفضيلهم ، فكان مقتضى ذلك أن يقدموا على غيرهم،في كل ما يساوون غيرهم في الاستعداد له ، ونبهنا الى حكمة ذلك . وهذا الغالب يصدق ولو لم يكن الا لبني أمية ، اذ العبارة لا تدل على انهم يغلبون في كل زمان وكل مكان ، على انهم غلبوا في أكثر الازمنة والامكنة، هذا هو الواقع الذي لا مراء فيه .

على انني اطلقت ضمير الآل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة في ذهني الا العلويين وما كان من زهد أئمتهم في الدنيا ورياستها ، وما قابل ذلك من أثرة غيرهم وتكالبهم عليها ، وظلمهم إياهم، لتعلق القلوب بهم ، فأطلقت العام وأنا أريد منه الخاص ، والعبارة صادقة في كل حال ، لا تنقضها خلافة العباسيين من الهاشميين الذين لا يعدهم النقد من آل الرسول

ثم ان نفينا الجعل العناية بأمور الحرب من مزايا بني هاشم التي فضلوا بها سائر قريش لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها،أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها، اذا هم اضطروا اليها،فالحرب في نفسها شر،لا يبيحه الا جعله دافعة لمفسدة هي شر منه، واقامة مصلحة تصغر في جانبها هذه المفسدة،كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال، وذلك قوله تعالى في سورة الحج(٢٢: ٣٧ أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقديرٌ ٣٨ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ الا أن يقولوا ربُّنا الله ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لهدمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرنَّ اللهُ من ينصرهُ ان الله لقويٌّ عزيز (٤٢) الذين ان مكنّاهم في الارض أقاموا الصلاةَ وآتوُا الزكاةَ وأَمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الامور)

فبنو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب للرياسة والكسب، كغيرهم من العرب وغير العرب، ولم يوقدوا لذلك نارحرب قط، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دفاعا عن الحق وأهله ، وتأمينا لحرية الدين ودعوته ، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في مواقف القتال، ويليه (ص) في ذلك عمه حمزة وابن عمه عليّ المرتضى (رضي الله عنهما) والشجعان من بني هاشم لا يحصون عددا ، ولكن الشجاعة شيء وحب الحرب للرياسة شيء آخر ، وفي كلامه هنا مآخذ أخرى سيعلم بعضها من الرد على بعض المواضع الآتية ، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه .

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

﴿ قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ﴾

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكلترة حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الاكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متعذرا، وهو تأليف لجنة من علماء الازهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحقانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الاربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجعل القانون الذي كان وضعه قدري باشا الحنفي هو الاصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الاخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقا على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما تمنى طلاب الاصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التيسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية منتقد من وجوه أخرى بيناها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كاشفنا ببعضها بعض أولي الشأن، وأهمها جعل الاحكام الشرعية قانونا وما يترتب على ذلك، فالقانون اذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف الى ما يقابل الشرع من الاحكام، ويتوقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء اياه، وصدور أمر الحاكم العام (الدكريتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جعله تشريعا جديداً من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الواضعة له، وينفذه وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلما، وكون القضاة يطبقون الحكم على ما يفهمون من نصوصه وان كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في غاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين فتستنبط الاحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستعين بشرحه القضاة ووكلاء الدعاوي على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت منتقدا لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

رأبي في مواده عند ما أرسل الى وزير الحقانية الجزء الاول الذي تم منه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهليين ، لان ابداء الرأي في ذلك يتضمن اقرار أصل العمل والموافقة عليه ، واست مقرا له ولا موافقا

وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل اليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشتغلة بوضعه ، وعلمت أن بعض المحامين الاهليين اقترحوا على وزير الحقانية اغتنام هذه الفرصة لابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ما كان اقترحه قاسم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي يسمونها تحرير المرأة ، ولا أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزمت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الاربعة ؟

وقد كثر بحث المتفرنجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الاحكام الشخصية وحديثهم في وجوب جعله مطابقا لآراء الذين يسمونهم الفئة الراقية — يعني المتفرنجة — وقد عني بهذه المسألة أحمد افندي صفوت وكيل نيابة (الدلنجات) فألف فيها رسالة خرج فيها عن الموضوع الى ما هو أعم منه وأكبر ، وأهم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الاسلامية كلها وابطال قواعدها وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه ، ووضع أصول أخرى لها يراها الواضع مرقية لهذه الامة الاسلامية من حضيض الهمجية القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم بزعمه ووهمه ، الى قنة الترقي المدني الجديد الذي صعدت اليه الامة المصرية أو الفئة الراقية منها ، التي يجب عنده أو ينتظر ان يتبعها غيرها . وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة – أو محاضرة كما سماها — على جمهور كبير من هذه الفئة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ٥ اكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي الطون بك سلامة . ثم طبعت ووزعت على الناس ، وألقي الي نسخة منها ، فوجب علي الرد عليها شرعا ، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بينت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا

ان مواضع النقد والبحث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها . القواعد الجديدة التي وضعها هذا الباحث لنسخ الشريعة الاسلامية بهدم أصولها القديمة كلها ، ويليه المسائل المراد اصلاحها من قانون الاحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها مجملة في ص ٥ (١) حرية المتعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) عدم التناقض مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) تسهيل اجراءات الدعوى . ويلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقي الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الاهم فنبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعها النسخ ونتبعها بنقدها العلمي الشرعي فنقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه: « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس. (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » يعني انهم سيقيسون على الاصول التي يشرعونها بأنفسهم بناء على ان لهم حق التشريع في الاحكام الشخصية كالاحكام المدنية والعقوبية التي تشرع الحكومة فيها ما تشاء بارشاد المسيطرين عليها كما سيأتي بيانه ، ومنها ما يأخذونه عن قوانين الافرنج كما هيه. مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الانثى متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها ان تعاشر من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعي ، وليس لوالدها حق ارجاعها عن غيها لداره ، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها ان يردها ويمنعها عن غيها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق ، أو بغيا تعرض نفسها للزنا في المواخير والاسواق ، كذلك لا يجوز لقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يردها عن هذا الحق الذي حققه لها القانون ، ولماذا ؟ لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فلكل حاكم ان يحرمه عندهم كما سيأتي قريبا

قال : (وأما الاجماع) وحجتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق (كذا) وعلى حسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشرع الا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بصفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن خلفه ان يلغيه طبقا لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تلغي ما تقرره طبعا لا تأثير لشخصية الحاكم» (كذا) وقد استشهد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلغي ما وضعه من قبله ، وجعل إلغاء الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي انه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلف، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فانظر كيف يتقيد بذلك ! قال في ص ٢٢

= ﴿ السنة ﴾ أريد أن أبحث القرآن من قبل لان حكم اتباع السنة ناتج من حكم القرآن

« القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم اتباعه، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون للفرد حرية التصرف فيه ولولي الامر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازما لمصلحة الجمهور.

فالرسول بصفته ولي الامر حاكم الامة وقاضيها كان اذا سئل عن أمر حكم فيه وهذه الاحكام اما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها واما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفس هذه السلطة يملكها الحاكم في كل زمن بعده فيملك الغاء ما تقرر بمقتضاها

« واذاً استنتج ان السنة اما انها تخصصت بحوادث فردية فصارت أحكاما قضائية في طبيعتها، واما تعممت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريعا صادراً من ولي الامر لزمنه، واذا ظهر من بعد اللاحقين من أولياء الامر مصلحة الناس في تغييرها أو الغائها كان ذلك ولا حرج. وهذا كله خاص بالاحكام المدنية فقط دون الدينية. ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اذ اننا اذا رأينا لزوما للخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئا آخر. وبديهي ان الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= ﴿ الكتاب ﴾ قلت في الكلام عن السنة ان الله أودع الكتاب كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه. فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر. وبهذه المناسبة أعيد القول ان ليس لاي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به. وما زاد عن الكتاب من سنة أو اجماع حكمه الجواز اذا شاء قام به الفرد وان لم ير مصلحة في ذلك فله العدول عنه

« والاحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الاصولية العامة على ثلاثة أقسام

(١) ماحرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجيز »

ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء يخالفه في مرماه، كتحريم الأم والاخت والجمع بين خمس أزواج. ومرمى الشيء غرضه، والمراد أن يعتبر الغرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو اذاً كالقسم الثاني. وحكم القسم الثاني ان يبقى منه ماتتحقق به الحكمة المقصودة منه. ومثل له بإيفاء العدة والاشهاد على عقد الزواج. وبين أن حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الاشهاد إعلان الزواج (قال) « فلا حرج في ان نصل الى الغرض المقصود من أقيد الطرق وأخصرها » وعدّ جعل العقد رسميا مغنيا عن الاشهاد، ومرور أكثر مدة الحمل على الطلاق مغنيا عن التقيد بالتربص ثلاثة قروء. أي ومثل ذلك ما اذا علم عدم الحمل بالاطلاع على ما في الرحم بالاشعة التي تشف الجسم (أي تجعله شفافا) كالاشعة المعروفة بأشعة رونتجن، فبذلك يمكن إلغاء العدة على قاعدته. ثم قال بعد التمثيل الذي ذكرناه بالمعنى « وبذلك ينقض وجوب التقييد بالمعاني الحرفية الالفاظ القانونية الواردة في القرآن » وأما حكم الثالث وهو ما جعله القرآن جائزا كتعدد الزوجات فهو ان الانسان مخير فيه ولكن لكل حكومة ان تحرم منه بالقوانين الوضعية ما تشاء

هذا رأي أحمد افندي صفوت في أصول الشريعة الاسلامية ذكرناه بقوله ويقترحه بصفته مسلما، وهو هدم لاصول الشريعة كلها لا يوافقه عليه مسلم في الارض وهو مسلم، وسنبين ذلك بالدليل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل رضا

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ذي القعدة الحرام الحال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٦ هش — ٢٩ اغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) الا انه أوسع غرة وأنحف بنية، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فنحمد الله ونشكره على ما حبانا به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه، حتى يكون قرة عين لنا ولامته وقومه، ومثل ذلك لاخيه وأخته، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما)



المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ الميزان (خ ١) ١٢٩٧ ه ش ١٦ اكتوبر ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (*

﴿ الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب ﴾

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوهم الحصر . ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكرهم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وانما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكليات دينه ومزايا ملته، وذكرنا من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب والعباس وحمزة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم ان هؤلاء جميع ولد عبد المطلب ولذلك نقحنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحمزة

*) تابع لما في ج ٩ وبراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله » . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

﴿ الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم ﴾

أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والايذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والايذاء من زعماء قومه الذين أشقاهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التعبير بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك. ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وانما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قلتهم؛ وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود الانبياء وعقر ثمود للناقة. وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

﴿ الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة ﴾

أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحمايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد ؛ واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر لخال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية ، وغرضه ان ينزه قريشا مما ذكر و يسنده الى زعماء الشرك على الابهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قريشا اشتد إيذائها للرسول (ص) بعد هلاك عمه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط . وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصبية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضع الآتي =

﴿ الموضع الحادي عشر — ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضعة نفر من قريش و بني هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرعوها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع ، فالاولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيدوه بما سيأتي للجمع بين الروايات ، ففي بعض ألفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار ؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار : قالوا لبيك يارسول الله نحن معك» الحديث ، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل : أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا — الحديث — وفي رواية : أفررتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال : لكن رسول الله (ص) لم يفر ... وفى رواية انه سئل : أتوليت يوم حنين ؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي(ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان ابن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء » الحديث . وأبو سفيان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحا فأسلم وحسن اسلامه . وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتيبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) الا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر قال وليس يقبل نحوه أحد الا قتـل . واختلفت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضعة وثلاثون من المهاجرين والباقون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة و يروى عن العباس (رض) الله عنه انه أنشد في ذلك

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافى الحمـام بنفسـه لمـا مسـه في الله لا يتوجع

قال الحافظ في الفتح ولعل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى وانهزم الطلقاء من قريش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فارا من القتال بل منهم من كان متحرفا لقتال أو متحيزا الى جهة أو فئة لاجل القتال، و بعضهم جرفه التيار وهو لايدري أين ذهب ، وقالوا في الجمع بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يتبعونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار فلبوه فكان النصر بهم وان كان فضـل المهاجرين وثباتهم لاينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وما لبث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قريش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئا فوجد بعضهم لذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى و يعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فجمعهم (ص) في قبة أدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال فقهاؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « اني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم — وفي رواية ان قريشا حديث عهد[1] بجاهلية ومصيبة واني أردت أن أجبرهم وأتألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم ؟ قالوا بلى . وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي (ص) الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعبها ، الانصار شعار والناس دثار » الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار ، فيراجع في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح

وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « اليّ عباد الله اليّ عباد الله » ولا يلوي عليه أحد . وروي نحوه عن ابن عباس وعطية العوفي وقتادة الا الجملة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتا فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلوا مثل فعله ، فقد كان سبب الهزيمة الاكبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداه أبي وأمي (ص) فالسابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين ، واياتهم ، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) مجوّب (أي مترس) عليه بحجفة له وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد بعضهم ان أصله حديثو عهد

رجلا راميا شديد النزع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول «أنثرها لأبي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما المشمرتان أرى خدم سوقهما [1] تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم [2] ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا

وفي حديثه عند مسلم انه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع) فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني يكون رجل من قومي ويني وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فانتهينا الى رسول الله (ص) فقال «دونكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت أصبعه الخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص) وهو يقول له «أرم فداك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في الفداء . وروى عن أبي عثمان النهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الايام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وهما حدثا أبا عثمان النهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت فقلت اذود عن نفسي فاما أن أنجو واما ان أستشهد فاذا رجل محمر وجهه وقد كاد المشركون ان يركبوه فملأ يده من الحصى فرماهم .. واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي ياسعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الاذى وأجلسني أمامه وجعلت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار وقد نقله دحلان في سيرته عن المستدرك بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلاخيل وقيل الخدمة أصل الساق ، والسوق جمع ساق
(٢) أي ترفعان قرب الماء بخفة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بصبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل ففعل ذلك مراراً. فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر،

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان النهدي من الفتح : وعند ابن عائذ من مرسل المطلب بن عبدالله بن حنطب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثناعشر رجلا من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد و بقي معه احد عشر رجلا من الانصار وطلحة[1] واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلا ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر. و٧ من الانصار . ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان النهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وان المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء . وأما المقداد فيحتمل ان يكون استمر مشتغلا بالقتال ، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعد هذا. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبدالرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة بدل الاخيرين، فان ثبت حمل على أنهم ثبتوا في الجملة ، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولا فأولا والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فعلم مما تقدم ان منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم احد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

---

[1] هو ابن عبيد الله وملخص تتمة الحديث أن النبي «ص» قال لما لحقهم المشركون وهو يصعد في الجبل « ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله ، فقال « كما أنت ياطلحه » فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى قتل . فاعاد « ص » القول فاباه طلحة فقال له كما قال أولا فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله . وفي رواية شلت أصبعه أو أصبعاه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحا

الحفظ المظيم منهاه وانه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

﴿ الموضع ١١٢ — مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ ﴾

قال الناقد : ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اه

ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأغربها فما ذكرناه هو المنصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد . وانما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وفترته وبين الامر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الامر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين ، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير . فهل بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجماليا ثم نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعة عشر عاما من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة !! ومن المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة عن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل

وقد أضاف الناقد الى هذا الموضع مسألة أخرى فادعى انا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم ، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء . ونجيب بأننا ذكرناه بالاجمال ، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لاخينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل مايتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وانما شرحنا الحديث شرحا لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية « الرد بقية »

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٣

الاسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقالتين الاولين ان من المتفرنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة الاسلامية كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بآرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أمم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم، وان من هؤلاء المتفرنجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح ، وان أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعي امكان الجمع بينه و بين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم انها وضعت لقوم لم يرتقوا الى الكمال الانساني الذي ارتقى اليه هؤلاء المتفرنجون ، ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخدان لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بنيتها مستعدة لهذا التمتع المفسد للصحة الجالب للادواء القاتلة المقلل لنسل الامة المشوه لآدابها الموقع للعداوة والبغضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي نرد عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه واننا نبدأ الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الاسلام وبين ما جاء به ودعا اليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وان كنا قد بينا هذا في المنار من عهد قريب لئلا يقع بعض الجاهلين فيما يعده جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فنقول

الاسلام والكفر

ان الاسلام الصحيح عبارة عن الاذعان النفسي والخضوع الفعلي لجميع ماجاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخير وان كل ما يخالفه باطل وشر ، سواء كان ذلك الجزم بدليل قطعي أو اقناعي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في صحة ايمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهراوهو غير مؤمن بما ذكرفهو منافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يذعن فهوجاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وان الاذعان والخضوع لبعض ماجاء به الرسول دون بعض كفر كالايمان ببعضه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض أحكام كتابهم الدنيوية (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والعقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الاسلام. وليس منه مخالفة بعض الاوامر والنواهي بجهل أو تأول أو جهالة كغلبة غضب أوشهوة مع الاذعان النفسي في عامة الاحوال، والعملي فيما سوى هذه الشواذ، فان الجاهل يرجع اذا زال جهله بالعلم الصحيح، والفاسق يتوب اذا زالت جهالته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

فهذا هو الاسلام الذي لا يعتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم ان يزوجوه مسلمة منهم، ولا أن يدفنوه في مقابرهم. ثم ان ما جاء به الرسول قسمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد بينا حكم كل منهما في تفسير الجزء الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا (ص) خاتم النبيين ويلزمه أن شرع الاسلام باق ما بقي البشر لا ينسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين ان يبلغوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره، ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الاسلام ويزعم ان ماجاء به الرسول من أحكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله الا الذين كانوا في زمنه لانه كان حاكمهم، وأن من بعدهم لا يكلفون الا اتباع ما تشرعه لهم حكامهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وانه لافرق بين هؤلاء الحكام وبين الرسول في كونهم شارعين يجب اتباع أحكام شرعهم في الامور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء، وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله — من يدعي ماذكر — فقد جاء بدين جديد معارض لدين الاسلام مع انتحاله لاسمه،

ولا يعتد أحد باسلامه الا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قديما وحديثا فانهم حرفوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين مالم يأذن به الله، فلم يعتد المسلمون بانتحالهم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالاسماعيلية والدروز والنصيرية والبابية والبهائية ، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبائحهم ولا تزويجهم ولا التزوج منهم ، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين يبيح السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبائحهم والتزوج منهم ، فكيف بالتوارث الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب ؟ فيجب على قائل ذلك القول وعلى من صدقه أن يرجعوا عنه اذ قد قالوه عن جهل بحقيقة الاسلام، وعسى ان يكونوا قد فعلوا ، فنحن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينتمي للاسلام من حظيرته، وانما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها، وانما نعين الاشخاص على الحكم على أنفسهم ، وعلى معرفة حكم الله فيمن يعرفون حالهم ، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها . ومن الاصول المجمع عليها بين المسلمين أن لاحكم لغير الله بعد ورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الاصل فيجب عليه ان يبحث حتى يزيلها، و يطمئن قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر الشرع وسنرد الشبهات التي ذكرها احمد افندي صفوت في بحث الكتاب والسنة

بعد هذه المقدمة التي وفينا فيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية ، نبدأ بنقل كلام أحمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول :

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الاصول التي أجمع عليها المسلمون بل الفقهاء فيه فريقان أحدهما يثبته وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والقائل بانه ضرورة تقدر بقدرها ، ومنهم المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، وثانيهما ينكره وهم الظاهرية. وقد بينا حجج الفريقين وتحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (٥: ١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية[1] والقياسيون لم يقولوا بالقياس الا بما ظهر لهم من

(١) يراجع في المجلد ١٨ من المنار وفي ج ٧ من التفسير وهو بحث يستغرق ٧٥ صفحة

الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدهما مغنية عنه

وأما غلاة المتفرنجين فانهم يردون القياس لانه مبني على كتاب الله وسنة رسوله لا لانهم يستغنون عنه بنصوصهما كالظاهرية من علماء السنة ، بل هم يرغبون عنهما بالذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولها وأحكامهما أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد افندي صفوت في خطابه كما نقلناه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » أي الاصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم بيان ذلك والتمثيل له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لانها غير مقصودة لذاتها ، ولان رده القياس الفقهي ليس لدليل شرعي ولا عقلي على فساده ولا لكونه ينافي الحق والعدل ، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد .

الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الامور » فقال بعضهم بعدم امكانه و بعضهم بعدم امكان العلم به و بعضهم بعدم امكان نقله الى من يحتج به و بعضهم بعدم كونه حجة ، والامام أحمد والظاهرية لا يحتجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتجون بالاجماع الاصطلاحي — وهم جمهور سائر المذاهب — بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجية الاجماع أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن تجتمع أمتي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا تجتمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار » كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي ، وقد حررنا بحث الاجماع وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وبينا هنالك ان أصول الشريعة الاسلامية أصح

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي يسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية و بالدمقراطية [1]

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم لانهم يرغبون عن كل ما هو اسلامي قديماً كان أو حديثاً الى قواعد تشريعهم الجديد الذي نذكر بعض مسائله في الاحكام الشخصية من هذا البحث لا لمخالفة لاجماع للعدل أو للمصلحة وشأنهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفاً

قال السابهم محمد افندي صفوت في خطابه المعهود : [وأما الاجماع وحجتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال [2] » فنقسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا نتقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم] اهـ فجعل حكم ولي الامر السابق داخلا في معنى الاجماع وما هو منه في شيء ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتبادر من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفاً . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم بحكم السابقين (قال) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينازع في دلالته على ذلك يرفضه بصفته مسلماً ويدعي أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالعربية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي ، فهو اذا لا يرفض شيئاً من أصول الشريعة — دع فروعها التي هي تبع لها في الرفض — لانه لا دليل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما بني عليه ما يشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

---

[1] راجع ذلك في مجلدي المنار ١٣ و ١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

[2] صوابه ضلالة كما تقدم آنفاً

السلطة والنفوذ فيه بحيث يكون للمسلمين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما يتبعهما وفي سائر الاحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما سماهم الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الاسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والمتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الامة وتقطيع جميع الروابط والمقومات التي كانت بها أمة؟ ومن كان مكانه من الاسلام والملة ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يعد هذا الافساد اصلاحا وطنيا كما نسمع من أفواه هؤلاء المتفرنجين كثيرا ونرى مثله فيما يكتبون أحيانا؟

قلنا ان فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لانه اجماع المسلمين ، وما ذلك الا انهم مرقوا من دينهم ولا يحبون ان يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنته من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الاديان أو دعاة الالحاد

قلنا انهم يرفضون القياس الاسلامي أيضا لانه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بهما ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما انهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الافراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم

وقلنا انهم لا يرفضون ذلك بدليل عقلي ولا شرعي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية ونفاة الاجماع الاصولي على اطلاقه ومثبتيه وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا .

وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجا من الفقه الاسلامي اذ يرى كثيرا من فروعه غير معقولة أو غير عادلة ويرى ان قائليها لاحجة لهم عليها غير أقيسة لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات لعبارات كتب مذهبهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دعوى اجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين على نقله ، ولا حجة على جمله كالنص الذي لا سبيل الى نقضه

ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيرا مما ذكروا له مسالك العلة ، ومن ينكر حجية الاجماع أو إمكانه أو امكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

شرعاً ثابتاً يجب العمل به وان ظهر لنا من النصوص خلافه ، أو ثبت بالتجربة ضرره في مصالح الامة الشخصية أو المنزلية ، أو شئونها الاجتماعية والسياسية

ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي ان أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء المجتهدين إن كانت كلها أو جلها موافقة للمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن

وفي كل فريق ممن ذكرنا مقتصد في تقدم لهذا الفقه ومسرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما ينتقد من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألفت اللجنة المعهودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنار الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين

وقد مر على أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زغلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الامثلة المنتقدة مسألة الربا وهي : ان تحريم الربا منصوص في القرآن وكل ما نص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث، وإنما نبحث في أقوال الفقهاء . اه وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الاستاذ الامام في يوم عيد فألفيته في مكتبه داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول (باشا) محتجبا عن جماهير المهنئين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال ريثما يشربون القهوة وينصرفون، فلما جلست اليهما وجدتهما يبحثان في مسألة الاجماع ورأيت الاستاذ يوافق جليسه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة، فقلت لهما اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الاصول وهو اتفاق أهل الحل والعقد كلهم أو أكثرهم مجتمعين على ما لا نص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الامة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على ادلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي للتشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجر به سنة نبوية ، وفي مبايعة الخلفاء . فقال الاستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبته في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطلع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم زدته بيانا في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان نقلت عن الاستاذ الامام قوله انه اهتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها عدة سنين ، وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره . وقد ذكرت هنالك ان النيسابوري أخذه عن الرازي وزاده بيانا ثم أيدت قولهما ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المبايعة بالإمامة. وقد حققت في المسألة ان الاجماع في الاسلام في معنى مجالس نواب الامة في القوانين الافرنجية الا انه أكمل منها. والقياس وهو ركن الاجتهاد للافراد معهود عندهم أيضا يجري عليه القضاة ووكلاء الدعاوي وشراح القوانين، فالقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفروعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أهملنا وقصرنا ورضينا بالجهل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا ينفرون ويفرون منه ويقلدون الافرنج أو يجتهدون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمراء الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم ، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم ،

ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين، ولا بتداع كثير من المبتدعين ولا اضعف سائر المتفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكانته من المساواة والعدل، وموافقته لمصالح الناس، من جميع الاجناس ، وشرح معنى قولنا انه أعظم مقومات هذه الامة تبقى ببقائه وتزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء المتفرنجين على كراهته وهم لا يشعرون بعلة ذلك ولا بعاقبته، فاذا ظل صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جمودهم ، وايجاب تقليد ما اختاره المؤلفون المتأخرون الذين يعالجون مصنفاتهم ، فيغلبهم هؤلاء المتفرنجون واعوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يجعلونهم أعوانا لهم على هذا الهدم ، على جهل بذلك أو على علم ، وها نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد ، ووضع طريف يلبس بتليد ، يصيح بجانبيه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد، وقد رأينا من أصحاب العمائم من نصر ذلك القصد الخفي ، ولم نر منهم من أنكر هذا الصوت الجلي فأين الغيرة على الدين ؟ انا نراها تظهر على أشدها في تضليل من يدعو الى هداية

الكتاب والسنة ولم نرلها أثرا في مخطئة من يدعو الى ترك كل من الكتاب والسنة فان كان ذنب الاول انه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فالثاني يهدم كلا من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة العلماء مجتمعة عليه. فصار سببا للتفرق في الدين والارتداد عنه

واذا كان الاجماع — وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد، — والقياس — وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم، هما أرقى ما اقتبسه منا الافرنج ، وسبقنا اليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر انه لا علة لرفض من يرفضهما من المتفرنجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين ، وتقييدهما بنصوص الكتاب والسنة ، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة ، فننتقل الى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة ، لنتبين هل ينبذونهما لذاتهما ، أم لعلل يستنكرونها فيهما ، وموعدنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه، وأديب من أبرع أدبائه ، وكاتب من أبلغ كتابه ، وقاض من أعدل قضاته ، أحد أعضاء النهضة الاصلاحية الحالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تغمده الله برحمته

ولد الفقيد في قرية (جنبواي) احدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فليبي الاصل، وأما الوالدة فعربية المحتد، وكان بين بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاورا في الازهر تعاشرا معاشرة الاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان العمل تعاونا تعاون أخلاء الاصحاب ، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب ، وعاشا ما عاشا متوادين موادة اللدات والاتراب ، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب ، فعسى أن يكون هذا مصليا لذلك المجلي الى دار الثواب، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام ، ولكن هذا فاقه ففاته في الجد والاجتهاد، وتسديد سهام الارادة الى كل مراد، والعادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل الى رأيهم واختبارهم

(كطلب العلم في مثل الازهر) والسبب الخفي لذلك انهم لا يشعرون بما يشعر به من دونهم في الذكاء الى التعب في التحصيل ، الا من كان له من نفسه حافز يحفزه الى مقصد عظيم، وكان الاستاذ الامام من هؤلاء فانه طلب العلم بباعث ديني قوي نماه في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة و يحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهون به فيه فيعييهم ذلك منه، ولو كان الشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته لكان للامة منه نابغة طار صيته في الاقطار، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار ، على أنه مشى الهوينا فسبق الاقران ، فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثنيان [1]

كان أول عمل تولاه الاستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وادارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضده الاول في قلم تحريرها ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء العرابيين إثر احتلال الانكليز لمصر، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا الى أن ألغي القسم الادبي من الجريدة واستغني عن عمله في المطبوعات بعد عودة الاستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الاستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الازهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل الى آخره، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر — في عشر سنين) كتبه عقب استقالتهما من مجلس ادارة الازهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الاستاذ الامام، بعد اطلاعه عليه واجازته له، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاصلاح الاسلامي، وعبارته تشهد لهما بما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبجح والدعوى

فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيرا ووديدا للاستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

[1] تطلق العرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثنيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم

ثنيانا ان أتاهم كان بدأهم وبدؤهم ان اتانا كان ثنيانا

بإدارة المطبوعات . وفي الحركة الاصلاحية الثانية التي توسل اليها باصلاح التعليم في الازهر، وتفصيل ذلك في سيرة الاستاذ الامام. وقد تخرج مع الاستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الازهريين في الافكار والكتابة والخطابة كان في مقدمتهم ابراهيم بك اللقاني، واشتغل معهما في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن الموتى سيد افندي وفاء، ولكن ترك كل أولئك زي العلم الديني ،واستبدلوا به الزي الافرنجي العثماني،فكان اكثرهم بعد الثورة العرابية محامين في المحاكم الاهلية، ولم يجد الاستاذ الامام من يشتغل معه في الاصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم . وبهذا يعلم تأثير تغيير الزي في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج الفقيد من خدمة المطبوعات جعل عضوا (قاضيا) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيها قدوة صالحة في تحري العدل، والاستقلال في الرأي،ومن آيات ماوصفناه به من شدة الذكاء انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستئنافية وهو شافعي لم يتمرن على الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية، فلم يعجزه أن يضرب مع أكبر القضاة بكل سهم، ويكون سباقاً الى اصابة الحق والعدل في الحكم ، وكان له من الشهرة في المحكمة ماهو جدير به . ثم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافعي وغيره من كبار فقهائهم

ولئن وجد في زمن الفقيد أفراد يساهمونه في فضيلة استقلال القضاء ، وآحاد يجارونه في حلبة الادب والانشاء، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم ، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون ، فقد كاد يكون نسيج وحده في أفضل مايتفاضل فيه الناس، بعد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله ، وكمال الايمان والاخلاص، أعني مكارم الاخلاق ، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب ، فقد كان ممتازاً بالوفاء لاخوانه والاخلاص لاخدانه وخلانه ، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه، وان لم يكونوا من أصحابه ومحبيه، وأما أصحابه فكان أسبقهم الى عيادة مريضهم، وتشييع ميتهم، واصلاح ذات بينهم، وتهنئتهم بكل نعمة تحدث لهم، وكثيراً ما يسافر من بلد الى آخر للسعي بين متقاضيين ،والتأليف بين متباغضين ،وازالة الجفاء بين أسرتين ،

وكان له من الحذق في الاستعتاب ما يسل به السخائم ، ومن اللطف في العتاب ما يستخرج به الحفائظ، فلاتكاد تتعاصى حية على رقيته،أو تأبى عقدة أن تنحل بنفثه

ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقعده في آخر عمره عن مساعدة أعمال الاصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عناه بقوله لي في أول العهد بقدومي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخرله نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهبت به وقائع الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سترى ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة الميتة ، وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قالها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كعادته ثوب الدعابة والهزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذاً يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعهم فإني أخشى اذا صاروا منا ، أن نفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المعدة طال عهده وما نقه منه الا وقد ذهب سمنه ، وهزل بدنه ، وضعف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فنقلت جثته الى مصر ، وصلي عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان . وقد حضر تشييع جنازته وليالي مأتمه من لا يحصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم ومعزين لنجله المهذب حسان افندي ، وللفقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوقائع المصرية ومجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزو اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فعسى أن يأذن نجله بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الاولى الماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة ومكارم الاخلاق الاسلامية، ففي سيرته من العبرة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره، ولم يكن تركنا لترجمته عقب موته تعمدا كتركنا تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب والرتب العلمية، والمظاهر الدنيوية، العارين مما يتوخاه المنار، وإنما تركناها لان ما نعلمه من سيرته قليل مجمل، وكان محمد توفيق أفندي أبوطالب رئيس كتاب محكمة مصر الاهلية قد أخبرنا بأنه شرع في كتابة ترجمة له، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرويه خلاصة منها

ولد الفقيد بمصر لاربع خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل في مدرسة خليل آغا فكان الاول من طلبتها في جميع فصولها فمهد له ذلك دخول مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستثناء لفقده بعض شروطها، فمني وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة التجهيزية بعد أداء الامتحان المشترط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ أختير لتدريس اللغة العربية لابناء فاضل باشا فرافقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان يتردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هنالك من المصريين (اذ كانوا يجتنبون لقاءه لمغاضبته للخديو اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى أوربة لتحصيل علم الحقوق على نفقة الحكومة فنال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فرئيسا لمدة منها آخرها محكمة الاسكندرية تولاها عشر سنين ونصف سنة فمستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها مئة جنيه.

ومن خدمته للعلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للازهر والمعاهد الدينية وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تعلم لتحصيل مثلها اعناق أكثر المتعلمين ليست مما نحفل بذكر أصحابها في المنار وانما فضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابه الدينية التي فضل بها الجم الغفير من أمثاله رجال القضاء، وممن يعد فوقهم في المنصب والجاه كالوزراء والامراء.

كان الرجل محافظا على أوامر دينه ونواهيه من سن الصبا الى سن الشيخوخة لم يفتن

في شبابه بمعاصي الشهوات، ولا في كهولته بمنكرات العظمة والكبرياء ، ولا في شيخوخته بدناءة الطمع والحرص على المال ، ولم تزلزل الاقامة في البلاد الاوربية ، ما نشأ عليه من الآداب الاسلامية، ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم تحوله عن زيه الملي ولا عاداته، حتى إنه كان يتورع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحدة فيهم، ويذهب من محل اقامته الى جزار يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويطبخه لنفسه

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرنسة أنهم أغروا به امرأة بارعة الجمال لتراوده عن نفسه ، وجعلوا لها عشرة جنيهات ان هي فتنته عن عفته، فجاءت حجرته متبرجة بما استطاعت من زينة، وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها ؟ فضحكت ضحكة دل ومداعبة ، وراءت رأرأة مغازلة وملاعبة ، وحاولت الدخول عليه ، ومدت يدها اليه . فدفعها بعنف وأغلق دونها الباب ، فرجعت خائبة تجهر بالهجر والسباب .

ومما رووا من سيرته أنه كان أبر الناس بوالديه وأوصلهم لرحمه، وأحفاهم باخوانه وأصدقائه، وأشدهم عناية بكل من له عهد وصلة به، مرضت والدته بمصر أيام كان مقيما في الاسكندرية رئيسا لمحكمتها فكان يعودها كل أسبوع حاملا معه ملاءات فراشها كاملة النظافة والكي ويتولى ترتيب ذلك وفرشه بيده ، وكان وهو يطلب الحقوق بأوربة يرسل اليها في كل شهر جزءا من راتبه. وبلغني أنه كان ينفق ثلث الراتب ويرسل اليها الثلث ويجعل الثلث الثالث للكتب ، وما زال محبا للكتب باحثا عن نفائسها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف الى صغار باعة الكتب ويجلس عندهم باحثا عما عساهم التقطوه من بعض التركات ، أو أصحاب الحاجات

قال أبو طالب : وكان وفيا بالعهد فقد عرف في (قنا) يوم ولي القضاء فيها بدالا مصريا متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما عاد اليها وهو مستشار سأل عنه فقيل له ان حالته تضعضعت وتجارته كسدت وهو الآن يبيع المراوح، فلم يمنعه ذلك من زيارته وتعهد شأنه كلما ذهب الى قنا ، ولا تسل عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة فانها كانت أشهى اليه من رد ثروته بل شبابه عليه اهـ

وأفضل ما يؤثر من مناقبه مبالغته في الاستقلال والعدل في القضاء حتى انه لم يكن يقبل

شفاعة ولا حديثا في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كما انه لم يكن يكلم أحدا من أصدقائه القضاة ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشتهر بذلك حتى لم يكن أحد من أقرانه ولا ممن فوقه في المناصب يطمع أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف ووقائع تؤثر في ذلك ذكر بعضها أبو طالب. ويعجبني ماقاله في إثر هذه المناقب، وهو:

« ولقد أغفلت التوسع في حياة الفقيد القضائية وذكر الحوادث التي اتفقت له دلة على مبلغ ما كان عليه من الفقه في القضاء والعدل والشجاعة مكتفيا بأن المعاصرين أحاطوا بكل هذه الاحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من الصعوبة ما لا يظهر لاول وهلة ولذلك قصرت على هذا الالمام اليسير

« وما كنت لاطمع أن يكون كل المصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال قطعا ولا أرجو أن يكون واحد في الالف كذلك بل الذي آمله أن يتصفح هذه الورقات بامعان وأن لا يستصغروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثلا من أخلاقه عسى أن يحتذي حذوه ويهتدي بهديه نفر من الامة ايعملوا كما عمل امل الله يبعث فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها الا مثل هذه الاخلاق فان الذي يعيش الآن بين ظهراني المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدين في كل علم وفن، فمصر ليست فقيرة من هذا النوع، اذ للقضاء رجال وللطب آخرون وللهندسة والزراعة مثلهم ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم يشغلهم شأنه، وما ينقص المصريين الاشيء واحد وهو الاخلاق، فان ذوي الاخلاق الفاضلة قليلون بالنسبة لمجموع الامة ومدارسها ومعاهدها. واني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى بابا لهذه الاخلاق الا النفس التي بين جنبي كل حي من الامة فما عليه الا أن يروضها على الفضائل التي شاعت في الكتب وتداولتها ألسن الصغار وغفلت عنها عقولهم. فان أصغر كتاب مدرسي فيه بيان لاصول الفضائل، ولو مرنت النفوس مرانا حقيقا عليها لتغيرت الاحوال تغيرا عظيما في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الاخلاق وآداب المعاملات فما يعجز عن وصفه أكبر كاتب بليغ، واني ليحزنني جدا أن أجهل مصدر هذا الداء الوبيل الذي تفشى تفشيا مزعجا فان ابن عشر سنين يبرز في النفاق والمداهنة على ابن الستين، فنحن نتقدم فيها ولكنه تقدم معكوس، لان كل من أتقن

هذا النفاق عد ظريفا كيسا، وقد عم جمود الاحساس والعواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شيء بسيط حتى تكون من أرقى الامم وذلك باعتدال أبنائهم في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

« وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهلت طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها وسهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار العاملين من أبنائها من أصغر عامل عمومي وهو الخفير الى أكبر موظف وهو الوزير، فما كل النفوس بصالحة للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من أول نشأته، فاذا صح انتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد لحكامها. اه المراد

[المنار] لقد هدى هذا الكاتب الى ما يجب من العبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه عني بتهذيب أخلاقه وتربية نفسه حتى ظن أن ذلك يسير على أكثر الناس المتعلمين. وهيهات هيهات، إنهم عن السمع لمعزولون، وعن الحاجة الى تزكية النفس لغافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، ولن يكون ذلك الا بانقلاب يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرهما موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم؟ وكيف السبيل الى تفويض الامر اليهم؟ وأما اختيار أمثالهم لاعمال الحكومة فمن يقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمتأملين.

﴿ التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح ﴾

هجم الالمان في أول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضربون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويمطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلا من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميلا وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والامريكية للتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للاخرى أو تخضع لطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما يحاولونه حتى حدث في خطة

دول الاحلاف أعظم حادث انعقد الاجماع على وجوبه من قبل لولا ماعارضه من تقدم المانع على المقتضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيس من وصل ما انقطع من التواصل ومزج الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجومين آخرين عظيمين بلغ من تقدمهم بهما أن قطعوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يضربونها كل يوم بمدافع بعيدة المرمى. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لان وزراء الاحلاف كانوا يصرحون بأن تفوق الالمان عليهم في العدد والمدد عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا انقضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون مصابرون لصدمهم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بكثرة الجيوش الامريكية التي ستكون في صيف السنة القابلة مساوية لجميع الجيش الالماني

بينما ينتظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التقهقر المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الاين الى شماله وكان يظن أن ذلك لخطة حربية يعقبها هجوم أشد مما قبله ، ولما استمر التقهقر ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشتوا فيه كما فعلوا في العام الماضي، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشا من الحكومات الروسية التي آذنت الاحلاف بالحرب ، وظن آخرون أن سبب التقهقر اتفاق سري على الصلح، وقوى هذا الظن مانقلته البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سياسي مع رجال الدولتين الجرمانيتين : إنه لم يبق لاستمرار الحرب فائدة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام . ثم ما زال الالمان يتقهقرون والاحلاف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يغادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرها مبادي انقلاب سياسي ربما كان هو السبب الباطن للارتداد والانكماش

وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأتنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الاغوار والانجاد من تلك الارض الحصينة الخالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الامامية في جلجلة والطيرة وطول كرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ العفولة

وفي ١٤ منه بلغ بيسان وجنين ونابلس والسامرة وماجاء ١٧٠ منه الا واحتلوا حيفا وتمتها عكا وفي ٩ منه احتلوا طبرية وسمخ وعمان وبلغ عدد من أسروا من الجيش التركي أربعين ألفا ولم نسمع في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعدد من القتلى يذكر، وما زالوا يوغلون في ولايتي سورية وبيروت شمالا من الجانب الغربي، ويحاذيهم جيش الامير فيصل العربي من الجانب الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٣٠ منه وكان الترك قد أجلوا عنها وتألفت فيها حكومة موقتة

ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها والانكماش الى بلادهم التركية تمهيدا لطلب الصلح . واذا يئس الاتحاديون من ولاياتهم العربية فانهم يفضلون بيعها لاعدائهم أو تركها لهم غنيمة باردة على ابقائها لاهلها العرب كما معروف عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم (امبراطوريتهم) بسيف العصبية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس

أما أخبار الصلح ومقدماته فأولها ان النمسة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقتراحا تدعوهم فيه الى ارسال مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر الصلح وتمهيد السبيل الى الاتفاق الممكن في ذلك. وفي ٢١ منه علمنا أن الحكومة البلغارية طلبت الصلح وعقد الهدنة وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء للهدنة بدون بحث لانهم يريدون بالشدة فيها الأمن من كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على قواعد الجنسية، فقبل نصحه. وروت البرقيات أيضا ان المعتمد نفسه سافر الى مركز قيادة الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وان الترك سيحذون حذو البلغار

ولم ينقض اليوم الاخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جواء ارجاء العالم بأن الدولة الالمانية نفسها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة حليفتيها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعها هو . فسبحان محول الاحوال ، ونسأله أن يحول حالنا الى أحسن حال

﴿ تصحيح أغلاط ﴾ سقط جملة من التفسير موضعها أواخر السطر ٢٠ ص ٣٦١ من المجلد التاسع عشر فينبغي أن تكتب بإزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

﴿ وضل عنهم ماكانوا يفترون ﴾ أي وغاب عنهم ماكانوا يختلقونه في الدنيا من كون معبوداتهم تشفع لهم عند الله، أو ضلت المعبودات نفسها عنهم فلم تهتد الى الشفاعة لهم سبيلا. وغلب ما لا يعقل منها كالاصنام فعبر عنها بما للتقبيح ولان أكثرهم ماكان يعبد في عامة أوقاته غيرها .

جملة « أو نفع أصاب حبيبا دعوا له » في س٢١ص٣٣٢م٢٠ محلها قبل جملة « أو ضر أصاب عدوا دعوا عليه » في س ٢٢ بعده

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢٥	عيال	الاعيال	٣٨٦	٢٢	خمسة	أربعة
٣٤٧	٣٠	مافي	على مافي	»	٢٣	سماؤهم	أسماؤهم
٣٤٢	٢١	ليفسد	ليفسد فيها	»	٢٤	بشر وادريس ولوط	البشر وادريس
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	مهتدقا	مهتديا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مخلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذ	٣٩٤	٨	وأحمد والترمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله نختم المجلد العشرين من المنار، وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات، وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كاجزاء المجلد الذي قبله، ولكننا اضطررنا الى تصغير حجمها من الجزء الخامس وما بعده، لان الحرب اشتد غليان سعرها، وجميع الاشياء اشتد غلاء سعرها وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتريه من الورق بمئة صار ماسعره ٤٠٠ أو ٥٠٠ ونقول في هذه الخاتمة انه تضاعف بعد ذلك الى ١٠٠٠ بل الى ١٦٠٠ السعر الاول فقد علمناه بأنفسنا، وأما السعر الآخر فيما نقل الينا، وقد غلت أثمان سائر الاشياء أيضا حتى الاغذية الوطنية التي بينا ثمنها في الجزء الثامن فلنا العذر في تصغير حجم المنار مع عدم الزيادة في قيمة الاشتراك، وقد فعل مثل فعلنا أصحاب الجرائد والمجلات في جميع الآفاق

هذا وقد اخرنا البدء بهذا الجزء الاخير الى شهر ذي الحجة، كما أخرنا ما قبله من أجزائه[1] وأجزاء ماقبله من سني الحرب فأدغمنا في سنيها الاربع سنة من سني المنار اذلم نصدر في هذه السنين الاربع الا ثلاثة مجلدات، وبذلك وافقت مجلدات المنار عدد

(١) قد صدر ماقبله في أواخر ذي القعدة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

صفيه الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب ، فقد صدر أول عدد من سنة المنار الاولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ و يوافق ذلك منتصف الشهر الاول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها

والمرجو أن يتم الصلح العام بين الامم المتحاربة في العام الذي نستقبله ، وان يتيسر لنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين ، وان كان لا يرجى أن يعود ثمن الورق الى ما كان عليه قبل الحرب الا بعد سنين ، فان عود الرخص الى المصنوعات انما يكون بالتدريج البطيء

الانتقاد على المنار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه برمته في الجزء الثامن والرد عليه في التاسع والعاشر و بقي له بقية تنشر في السنة الجديدة

وورد علينا انتقاد آخر لمسألة أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبي طالب التي ذكرت استطرادا في الكلام على أبي ابراهيم الخليل (ص) من هذا المجلد . فالناقد ممن يجزمون بنجاة الابوين الشريفين وأبي طالب خلافا للمروي في الصحيحين وغيرهما ، وكل ماذكره في مسألة الابوين قد تقدم في بحثنا ، وأما ايمان أبي طالب فانتقد علينا عدم ذكر ماورد في ايمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في تاريخه فنستوفي كل ماجاء فيه ، وانما كان في بيان حكمة ماورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى التصريح بكفر أبي ابراهيم (ص) وقد صرحنا بحظر اعتداء بيان النصوص وحكمها وأحكامها في ذلك الى ما يعد ايذاء للرسول (ص) أو لاحد من أهل البيت الذين من ذريتهم ، وان أقوى ما يستدل به على نجاة الابوين الشريفين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لاهل الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به ، ومن أجدر منهما بذلك ؟ ونتمنى أن نجد أدلة أقوى من هذا ، فان وجدنا شيئا نشرناه مغبوطين ، والا سكتنا مؤمنين مفوضين ، ولا نرتاح الى الرد على المنكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين ، وهو خلاف ما نهوى فما نحن للهوى بمتبعين ، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل

صفحة